

أَلْبَابُ الْأَوَّلِ فِي التَّوْحِيدِ

فِي كَلَامِهِ تَعَالَى

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ . هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي . خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْأَنَارِ . وَمَكُونُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . أَلْعَالَمُ بِالْخَفِيَّاتِ .
وَمَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِبْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْأَطْيَفُ الْخَبِيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مَعِينٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَمُنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُ لَمْ . وَلَا يُجَاوِرُهُ أَينَ . وَلَا تَلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعْدُهُ كَمَ . وَلَا
تَحْصُرُهُ مَتَى . وَلَا تَحِيطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تَظْهَرُهُ قَبْلَ . وَلَمْ تَفْتَهُ بَعْدُ . وَلَمْ
تَجْمَعْهُ كُلُّ . وَصْفُهُ لَا صِفَةَ لَهُ . وَكُونُهُ لَا أَمْدَ لَهُ . وَلَا تَحْتَاطِلُهُ الْأَشْكَالُ
وَالصُّورُ . وَلَا تَعْبُرُهُ الْأَنَارُ وَالْغَيْرُ . وَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَاسَةُ وَالْمُقَارَنَةُ .
وَلَا تَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ التَّحَاذَاهُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَينَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْإِمْكَانُ وَجُودَهُ . لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى أَينَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ . غَنِي
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَسْكَنِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مَنَّهُ بَدَأُ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ . مَا مَوْضُوعَةٌ السُّؤَالِ عَنِ الْجُلُوسِ . وَالتَّوْدِيمِ

تَعَالَى لَا جُنْسَ لَهُ وَإِنْ قُلْتَ كَمْ هُوَ هُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ . مُتَسَمِّدٌ
بِصِفَاتِهِ . وَإِنْ قُلْتَ : مَتَى كَانَ قَدْ سَبَقَ الْوَقْتُ كَوْنَهُ وَإِنْ قُلْتَ :
كَيْفَ هُوَ . فَمِنْ كَيْفِ الْكَيْفَةِ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفٌ . وَنَ جَازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفَةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَإِنْ قُلْتَ هُوَ . فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ حَلْفُهُ . فَمَا تَصَوَّرُ
فِي الْأَوْهَامِ . هُوَ بِخِلَافِهِ . وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعُيُونُ . وَلَا تَحْلِلُطُهُ الظُّنُونُ .
وَتَتَصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ . وَلَا تَقْدِرُ قُدْرَةُ الْأَيَّامُ .
وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . وَلَا يَقَارِنُهُ زَمَانٌ . وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ . وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدٌ . قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ . وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ . عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ . وَجَمْعُهُ مِنْ
غَيْرِ تَعَلُّلٍ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ .
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوک للعارطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا مُنَادٍ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا ذُرِّيَّ مَنْ لَا دُرِّيَّ لَهُ .
وَيَا مُجِيرَ الضُّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَجَّ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَيَبَاضُ النَّهَارُ . وَصَوَّ الْقَمَرُ وَشَاعَ الشَّمْسُ . وَخَفِيفُ
السَّحَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُجْمِلُ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْمُؤْمِنِينَ .
الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدُهُمْ وَقَابَلَهُمْ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى صَوَابِهِمْ .
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَهْوُوفٌ . إِذَا أَوْحَشَنِي الْغُرْبَةُ

آتَسْنِي ذِكْرَكَ . وَإِذَا أَكْبَتَ عَلَى النُّعُومِ لَجَأْتُ إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عَلِمًا بِأَنَّ أَرْزَمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِكَ . فَأَقْلَبْنِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَغْضُومًا بِطَاعَتِكَ يَا قَهْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظُ قَلْبِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُؤَاقَفَةِ الْحَقِّ أَتْبَعًا وَجِهَكَ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ . وَارْزُقْنِي الْعُلْطَةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ النِّفَارَةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتِدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي تَخَجُّجٌ فَصَخِّنِي فِي ثَوَائِبِ الْمُرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِنَاءٍ وَلَا سَمْعَةٍ . وَاجْعَلْنِي أَتْبَعِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ
 وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَلَّاحِ وَلِينَ الْجَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الثَّقَلَةِ وَالنَّسِيَانِ فَأَهْجِنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرُ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 الشَّاطِطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالتَّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ تَنَبَّيْ بِالْعَيْنِ وَالْأَبْصَارِ وَالتَّقْوَى وَذِكْرُ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْحُشُوعَ فِيمَا يَرْضِيكَ عَنِّي وَالْحَسَابَةَ لِنَفْسِي
 وَإِصْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أَحْتَجِبُ بِشَمَاعِ نُورِهِ
 عَنْ نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسْرِبُ بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَاشْتَهَرَ بِالتَّجَرُّبِ فِي
 قُدْرَتِهِ . يَا مَنْ تَمَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ فِي تَعَرُّدِ عَجَلِهِ . يَا مَنْ أَتَنَانَتِ

الْأُمُورُ بِأَرْزَاقِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِحُجَّتِ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيَّنَ السَّمَاءَ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحَلْقِهِ . يَا مَنْ
 أَنَارَ الْقَمَرَ النُّجُومِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَفَارَ الشَّمْسَ
 النُّجُومِ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحَلْقِهِ . وَجَعَلَهَا مُرَقَّةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِبَشَرِهِ سَخَابَ نِعَمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَايِدِ الْعِزِّ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْقَلْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَتَتْهُ فِي قُلُوبِ الْخَائِفِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ يَا أَلَمَاءَ أَلِيَّيْهِ تَجَلَّتْ بِهَا لِلْكَلِمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شُعَاعُ نُورِ الْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعَظَمَةِ خَرَّتْ الْجِبَالُ
 مُتَذَكِّرَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلا إِلَهَ إِلا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ يَا أَلَمِ الَّذِي فَتَحْتَ
 بِهِ رُتُقَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعُيُونِ لِلنَّاظِرِينَ . الَّذِي بِهِ تُدِيرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . بِمَعْرِفَتِكَ نَظَرَ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَرِّفَ عَنِّي وَأَهْلَ خِرَاتِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ آلِقَاتِ وَالْمَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَرْضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشُّكَّ وَالْكَفَرَ وَالنِّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالَةَ وَالْجَهْلَ وَالْمَقْتِ وَالغَضَبَ وَالسَّرَّ وَالصِّيقَ وَقَسَادَ الْهَمِيمِ
 وَحُلُولَ النِّعْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَعَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ تَسْمِعُ الدُّعَاءَ
 الطَّيِّفُ

(الكَشْكُولُ لِبَهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المائدة

٥ يا سامع الدعاء . يا رافع السماء . يا دائم البقاء . يا واسع العطاء .
يا عالم الغيوب . يا غافر الذنوب . يا سائر العيوب . يا كاشف
الكروب . يا قاتل الصفات . يا مخرج الثبات . يا جامع الشتات .
يا منشر الرقات . يا قاتل الصبح . يا مرسل الرياح . يا مجرأ مع
الرواح . يا منجى في النواح . يا هادي الرشاد . يا ملهم السداد .
يا رازق العباد . يا منجي البلاد . يا مطلق الأسير . يا جازم الأكيدر .
يا منفي القعير . يا غادي الصنير . يا مالك النواصي . يا من طاهر
وخاص . يا من مخلص من مئاص . يا عبد أو خلاص . يا من أنجى من
من هو لها العظيم . يا من عيشها الدميم . يا من حرها المقيم . يا من
الجانا . يا مني الأمانا . يا منزل تعالى . يا منور قد
اللا . يا مني به الجلالا (ديوان علي)

٦ قال الأتحمي شمت غلاما يمجّد ربه بأبيات من الشعر وهي هذه:
يا قاطر الخلق البديع وكافلا رزق الجميع تتعاب جودك هائل
يا منسج البر الخليل ومسل السر الجليل عيم طورك طائل
يا عالم السر الخفي ومميز الوعد الوفي قضاء حكمك عادل
عظمت صفاتك يا عظيم قيل أن يخصي التناء عليك فيها قابل
الذنب أنت له يترك غافر وتوبة العاصي بملك قابل
رب ربّي العالمين بربّه ونواله أبدا إليهم وأصل

تَفْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ تَحْوِكَ دَائِمًا
 مُتَقَبِّلُ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُدُودِهِ
 وَإِذَا دَجَّ لَيْلُ الْجُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
 وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النُّجَاةِ قَالَهَا
 يَا نَيْكَ مِنَ الطَّافَةِ الْقَرِجِ الَّذِي
 يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مَنْ أَلْقَى إِلَى
 وَمَنْ أَسْرَجَ يَغْيِرُ ذِكْرَكَ أَوْ رَجَا
 رَأْيِي يُلِمُّ إِذَا عَرَّتْهُ مُلْمَةٌ
 عَمَلٌ أُرِيدُ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
 وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيْنٌ
 أَنَا عَبْدٌ سَوْدٌ آتَى كُلَّ عَلَى
 قَدْ أَهْلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
 هَا قَدْ أَتَيْتُ وَحَسَنَ ظَنِّي شَافِعِي
 فَأَنْعَمَ لِعَبِيدِكَ مَا مَضَى وَأَرْزُقُهُ تَوْ
 وَأَفْعَلُ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
 ٧ قَالَ الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الزَّمَرِيُّ :

يَا مَنْ يُحَلُّ بِذِكْرِهِ
 يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْكَى
 يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا
 عَقْدُ الْوَاوِبِ وَالشَّدَائِدِ
 وَإِلَيْهِ أَمْرُ الْخَلْقِ حَائِدِ
 صَدَقَ تَنْزُّهُ عَنْ مُضَادِّهِ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعَبَا
 أَنْتَ الْمَلِيقُ بِمَا يُنْبِئُ
 إِنَّ أَلْهُومَ جِيوشِهَا
 قَرَجَ بِحَوْلِكَ كُرْبَتِي
 فَخَفِي لَطْفِكَ يُسْمَعَا
 أَنْتَ الْمُسِيرُ وَالْمُسَاعِدُ
 سَبَبَ لَنَا قَرَجًا قَرِي
 كُنْ رَاحِي قَلْقَدَ يَأْسُ
 وَعَلَى الْبَدَى كُنْ نَاصِرِي
 يَا ذَا الْجَلَالِ وَكَافِي
 وَعَنْ أَوْرَى كُنْ سَارِ
 يَارَبِّ قَدْ ضَاقَتْ بِي آلُ
 قَامُنْ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا
 هَذِي يَدِي وَبِشْدَتِي
 فَلَاكُمُ إِلَهِي قَدْ شَهِدَ

دِ وَأَنْتَ فِي الْمَلَكُوتِ وَاحِدٌ
 تُ بِهِ وَأَنْتَ عَلَى شَاهِدٍ
 قَدْ أَصْبَحْتَ قَلْبِي تُطَارِدُ
 يَا مَنْ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدِ
 نُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمَعَائِدِ
 بُ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ
 يَا إِلَهِي لَا تُبَاعِدُ
 تُ مِنْ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ
 لَا تُشِيقَنَّ بِي الْحَوَائِدِ
 مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكَايِدِ
 عَيْنِي بِفَضْلِ مِنْكَ وَارِدِ
 أَحْوَالُ وَأَغْتَالُ الْمَعَائِدِ
 فَضْلًا عَلَى كَيْدِ الْحَوَائِدِ
 قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدُ
 تَ لِقَيْصِ لَطْفِكَ مِنْ عَوَائِدِ

محبة الله والتمه به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ إِسْطَاطٍ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عُصْبَةِ الْعَابِدِ الضَّرِيرِ وَكَانَ قَدْ تَعَبَدَ وَبَكَى حَوَاقِمَ اللَّهِ جَلَّ سَأْتُهُ حَتَّى
 عَمِيَ. فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: مَا أَشَدَّ أَلَمِي عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا فَسَمِعَ غَيْرُهُ قَوْلَهُ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمَى الْقَلْبِ عَنْ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا . وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
حُجَّتِهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا : (لِئَنِّي)

قَالَ بَعْضُ الرَّاهِدِينَ مُتَقَرِّلاً فِي حُجَّتِهِ تَعَالَى :
هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَبَنَيْتُ الْعِيَالِ لَكَ أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحَبِّ إِزْبًا لَمَّا حَنَّ الْقَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرْابٍ وَبِتُ مَجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّجِيمِ
فَهَنُونِي أَصْحَابِي وَقُولُوا لَكَ الْبَشَرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ
قَالَ آخَرُ :

مَا زَالَ يَحْتَرُّ الدُّنْيَا بِهَيْبَتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْآخِرَى بِهِ هَيْبَتُهُ
رَثَ الْبَلْبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرِّ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ سَمِيَّةُ
طُوبَى لِمَنْ يَجْبُلُ اللَّهُ مُتَمِّمِ عَلَى صِرَاطِ سَوِيٍّ تَابَتْ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّبِيِّ :

يَا طَالِبَ الطَّلَبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْءَاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يَرْجَى لِمَا قَبِيهِ لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْكَ لَيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمْ عِيْدًا فَأَنْتَ مَلِيْهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي إِلَيْكَ مُتَمِّدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طَوَّيْ لِيْنَ كَانَ نَاصِيَةً أَرَاكَ تَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَاؤُهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَمٌّ أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لَوْلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَلًى أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلْتُ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَتْفِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
صَوْتِكَ تَشْفَعُ مَلَائِكَةُ قَدْ نَبِّكَ الْآنَ قَدْ عَمَّرْنَا
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَا مَنَّا طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلَنِي بِلاَ خَشْيَةٍ وَلَا زَهَبٍ وَلَا تَخَفَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
١٠ أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْإِنْبَاءِ هُوَ الْقَطْعُ مِنْ سِنَةِ الْفِتْنَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
الْجُوعُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالْتِمَاسُ لِكِنْ وَرَعِ أَهْلِ
النَّسَبِ عَنْ الْحَرَمَاتِ وَوَرَعِ أَهْلَ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ الْحَاسِبَةُ
وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرِّقْعَةُ فِي نَيْلِ الْمَرَادِ مَعَ الْكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَةُ التَّوْبَةِ عَنْ غَيْرِ الْمَوْتِ . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَخْلِيَةُ الْقَلْبِ
عَمَّا خَلَتْ عَنْهُ أَيْدٍ . وَالْفَقِيرُ مَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ
الصَّبْرُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حُلُّ النَّفْسِ
عَلَى الْمَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشَّكْوَى وَقَعِ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَا
وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبُلُوِّ . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ عَنْ مَعَاذِلِهِ
الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْإِعْتِمَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
مَعَ الْعَالَمِينَ بَانَ الْخَيْرُ فِيمَا اخْتَارَهُ
(لباء الدين العاملي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا رَبِّ هِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا وَاجْعَلْ مَوْتَكَ فِي غَمْرِنَا مَدَدًا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَإِنَّ نَفْسَ تَعِيزٍ عَنْ إِصْلَاحِ مَا قَسَدَا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلَى عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ يَقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حَتَّى يَفْقَى الْأَجَلَ . وَيَقْطَعُ الْعَمَلَ .
أَعْيَى عَلَى الْتَوْبِ وَكَرْبِهِ وَعَلَى الْغَيْرِ وَعَمَّتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِصَّةِ وَعَلَى
الْأَصْرَاطِ وَذَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً غَيْرَ لَا
تُعَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعِ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا نُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ
فِيهِ يَا رَبِّ تَطَاهَرْتُ عَلَى نِكَ النَّعْمِ . وَتَدَارَكَتْ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ .
فَلَاكَ الْحَمْدُ عَلَى النَّعْمِ الَّتِي تَطَاهَرْتُ وَاسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكَتْ .
وَأَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ قَبِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا أُبْطِلَتْهُمْ
صَبَرُوا . وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا وَأَوَّابًا . لَا فَاجِرًا وَلَا
مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا .
اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ وَاخْضَيْتُ فِي كُلِّ
مَا حِطُّ بِهِ شَفَعْتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَعِيزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ
دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ . مُتَظَاهِرَةً ذُنُوبُهُ . ضَائِعَةً عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ

صَعَفُ وَمَتَّعَ عَاجِزَهُ . قَدْ أَتَيْتُ عِدَّتَهُ . وَحَلَقْتَ جِدَّتَهُ . وَتَمَّ طَوْدُهُ .
 اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُمَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . اَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
 طَوْلِ السَّيِّئَةِ . وَحَسَنِ الْبَلَاءِ وَكُنْجِ الرُّوقِ وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ وَتَأَخَّرِ
 الشَّدَائِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْيَةِ بَيْدِ حِلْيِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَيْدَ قُدْرَتِهِ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا بِكَ وَمِنَ الذَّلِّ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ
 بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى حُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَرْوَرًا . وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ . وَغَضَالِ الْأَدَاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأَقْلَيْشِيِّ مُسْتَطَفًا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبُ خَائِفُ
 قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَ قَلْبُ مِنْ اللَّهِ خَائِفُ
 تَرِيدُ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَهِيَ هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ
 تَطْلُعُ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلَمُ فَاصْطَفَ مِنْهُ مِنْ سَبَى الْحَقِّ طَائِفُ
 تَلَاوُنَ عَامَا قَدْ تَوَلَّى كَانَهَا حُلُومُ تَقَعَّضَتْ أَوْ يُرُوقُ خَوَاطِفُ
 وَجَاءَ الشَّيْبُ النَّذِيرُ الْمُرَّ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَالِفُ
 فَمَا أَحْمَدُ الْخَوَانَ قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِ الْكُهُولَةِ هَائِفُ
 فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى وَأَبَكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
 فَجَدَّ بِالْمَمُوعِ الْحَزَنُ حُرْنَا وَحَسْرَةً قَدَمَعَكَ يُبْنِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ
 قَالَ آخَرُ :

إِلَهُ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمْتَ ذُنُوبِي فَسَاحِجَ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكِ

أَجْرًا سَيِّدِي عَبْدًا قَصِيرًا أَنَاخَ بِبَايِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَأِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَيَغْفِرُ
لِمَنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصَغُرُ
١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَفِرًّا :

يَا مَنْ مَرَى مَا فِي الصَّغِيرِ وَبَسَمَ أَنْتَ الْمَعْدُ يَكْلُ مَا يَتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدِيدِ كُلُّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْتَجَأُ وَالْمَنْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمَنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى هَرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِفْتَارِ إِلَيْكَ هَرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْنِي لِبَايِكَ حِيلَةٌ فَلَمَّا رُدِدْتُ قَائِي بِأَبْ أَفْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ قَصِيرٍ يَتَمَعُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يُقْطَعَ حَاصِيَا أَلْفَضْلُ أَجْرٍ وَالْمَوْلَاهُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْقُرَيْشِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَا يَا عَبْدَ بَايِكَ وَأَقِفْ عَلَى وَجَلٍ يَمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ دُنُوبًا لَمْ يَنْبَغْ عَنْكَ عَيْهَا وَمَرْجُوكُ فِيهَا هُوَ رَاجٍ وَخَافُ
فِي سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَافُ
فَمَنْ مُؤَنِّسِي فِي ظُلُمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا بَصْدُ دُورِ الْقُرْبَى وَيَخْجُو الْمَوَالِفُ
لَمَنْ صَاقَ عَيْنِي عَفْوَكَ الْوَلَسُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي قَائِي لَتَالِفُ

العالم العلي

١٥ مِنْ التَّوَحُّجَاتِ عَنْ أَفْلَاطُونِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَبِّمَا خَلَقْتُ نَفْسِي
 كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ. وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ
 الْمَادِيَّاتِ. وَخَلَقْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصِرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلا بَدَنٍ عَادٍ عَنِ
 الْمَلَابِيسِ الطَّبِيعِيَّةِ. فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَغْلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
 فِيْمَاعِدَاهَا وَخَارِجَاعَنِ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ. فَحِينَئِذٍ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحَسَنِ
 وَالْإِبْهَاءِ وَالسَّئَاءِ وَالضَّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْقَرِيبَةِ الْهَيْجَةِ الْأَنِيَّةِ مَا أَتَى مَعَهُ
 مُتَّحِبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا. فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
 الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ. وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَالَةٍ. ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
 الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْخُصْرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَصِرْتُ كَأَنِّي مُوَضَّعٌ
 فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ التُّورِيَّةِ. فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
 الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْإِبْهَاءِ وَالتُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ
 عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَفْسِهِ. فَإِذَا اسْتَفْرَقَنِي ذَلِكَ الشَّانُ
 وَوَلَّيَنِي ذَلِكَ التُّورَ وَالْإِبْهَاءَ وَلَمْ أَقْوَعَلِ أَحْتِمَالَهُ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
 عَالَمِ الْفِكْرَةِ. فَحِينَئِذٍ حَجَبَتِ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذَلِكَ التُّورَ فَأَبْقَى مُتَّحِبًا أَنِّي
 كَيْفَ اتَّخَذْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ. وَتَحَيَّيْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مِمْتَلِئَةً
 نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا. فَمِنْهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرُوسٍ حِينَ
 أَمَرْنَا بِالطَّلَبِ وَالتَّجَسُّصِ عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالْإِدْرَتَاءِ إِلَى
 الْعَالَمِ الْعَلِيِّ

(إِبْهَاءُ الدِّينِ)

الْبَابُ الثَّانِي
فِي الزُّهْدِ

فِي الْحَوْفِ

١٦ قَالَ عَلِيٌّ: أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْبَلْعَةِ
فِي أَلْبَنَةِ قَاصِحِينَ. وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مَعْدَبِينَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ.
وَقُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ. وَأَنْفُسُهُمْ غَفِيفَةٌ. وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ. صَبْرُ أَيَّامٍ
قَلِيلَةٍ. لَيْقِي رَاحَةً طَوِيلَةً. أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفُّوا أَفْدَانَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
تَجَرِّي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يُجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ: رَبَّنَا رَبَّنَا. يَطْلُبُونَ
فِكَالَ رِقَالِهِمْ. وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعَلَمَاءُ حُدَاهُ بَرَّةٌ أَتَقِيَاهُ كَانَتْهُمْ الْقِدَاحُ
(الْقِدَاحُ السَّهْمُ يُرِيدُ فِي صُكْرَتِهَا). يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاطِرُ يَقُولُ: مَرَضَى
وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ. (وَقَالَ مَنصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجَالِسِ الزُّهْدِ
إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ مَثَلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ
وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا. فَهُمْ أَنْفُسُ
عِبَادَتِهِ. حُلُقَاءُ طَاعَتِهِ. قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَأَقْرَبُوا
جِبَاهَهُمْ فِي مَحَارِبِهِمْ. يُتَاجَرُونَ ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَالْعِظَةِ فِي فِكَالِ رِقَالِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ أَمْرِيٍّ الْقَيْسَ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْحَوْرَتِ وَالسَّيْدِ
أَشْرَفَ عَلَى الْحَوْرَتِ يَوْمًا فَاعْتَجَبَ مَا أَوْتِيَ مِنَ الْمَلِكِ وَالسَّعَةِ وَنَفُوذِ

الْأَمْرَ وَإِقْبَالَ الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا
 أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ : هَذَا الَّذِي أُوتِيتُ شَيْءٌ
 لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ :
 بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ :
 فَسُرِرْتُ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذُنُّهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْمَرْبُ .
 قَالَ : إِمَّا أَنْ تُعِمْ وَتَمَلَّ بِطَلْعَةِ اللَّهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتُلْقَى بِجَلْدٍ
 تَبْدُرُ بَكَ فِيهِ وَتَقْرَأُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا أَفْطَلْتُ
 ذَلِكَ فَمَا لِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرُمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقُمُ .
 وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبُولُ . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا بَيْنِي وَاللَّهِ لَا أَطْلُبُ عَيْشًا
 لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَأَخْلَعُ مِنْ مُلْكِيهِ وَلَيْسَ الْأَمْسَاحُ وَسَاحٌ فِي الْأَرْضِ .
 وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ وَجَعَلَ يَسْمَعَانِ وَيَعْبُدَانِ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ
 يَقُولُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرِ إِذَا انْشَرَفَ يَوْمًا وَلِلْمَدَى تَفَكِيرُ
 سِرَّهُ بِمَا لَهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَحْرُ مَرْضًا وَالسَّيْدُ
 فَأَرْغَى قَلْبُهُ وَقَالَ قَسَاغِيْطُهُ حَيَّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
 ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْتِمَسَةِ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
 ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ مَ فَأَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالْدُّبُورُ

عدي بن زيد والشعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ الشَّعْمَانَ بْنَ الْمُتَدْرِخِ خَرَجَ مُتَصِدًّا وَمَعَهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

قَرَأَ بِشَجَرَةٍ . قَالَ عَدِي بْنُ زَيْدٍ : أَلَيْهَا أَلَمَّا أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ
الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُؤَفٍّ عَلَى قُرْبِ رَوَالٍ
قَصُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا . وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُفُوفُ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَتَاخَوْا حَوْلَنَا . يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِأَلَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِقُ عَلَيْهِمْ قُدُمٌ . وَجِيَادُ الْحَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِبَيْتِ حَسَنِ . أَمْنِي دَهْرِهِمْ غَيْرَ عِيَالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ هَيْهَاتُ . فَاقْرَضُوا . وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا لَا يَبْدُو حَالُ

قَالَ ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ قَرَأَ بِشَجَرَةٍ . قَالَ لَهُ عَدِي : أَتَدْرِي مَا
تَقُولُ هَذِهِ الْمُقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرِّكْبُ الْخَبِيُّ . نَ عَلَى الْأَرْضِ الْعَبِيدُ وَنَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كَمَا . كَمَا تَحْنُ تَكُونُونَ

قَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمُقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عَظَمِي فَيَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي
تُذَرِّكُ بِهِ النِّجَاةَ . قَالَ : تَدَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَسْبُدْ اللَّهَ وَنَحْنُ . قَالَ :
وَفِي هَذَا النِّجَاةَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حِينَئِذٍ
وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ

(الطُّرُطُوشِي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزُلْمَتُهَا

١٩ (مِنْ الشَّجَرِ) أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْرَبَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنْ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْإِضْمَارَ . وَغَدَا
السَّابِقَ وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَقْلَانِيبَ مِنْ خَطِيبَةٍ . قَبْلَ مَنِيَّةٍ .
أَلَا عَمِلَ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُؤْيَسِهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأَيْهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفْعُهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . قَدْ خَسِرَ
عَمَلَهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرِّغْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرِّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرِ كَلِمَةً قَامَ طَائِبُهَا . وَلَا كَالْيَاوِي نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذُبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمَرْتُمْ بِالظُّلْمِ . وَذُلْتُمْ عَلَى
الزَّادِ . وَإِنْ أَخَوْفَ مَا لَخَافَ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدَا

٢٠ (عَنْ تَوْفِ الْيَكَالِي) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا تَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقُ؟ قُلْتُ: بَلْ رَامِقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: يَا تَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ انْتَحَلُوا
الْأَرْضَ بِسَاطًا وَزَارِبَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالَّذِينَ شَعَارًا وَالِدُعَاءَ دِتَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ السَّعْيِ (لبهاء الدين)

اللاعب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ السَّيِّحُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وَبَيْنَهُ مَوَاسِمٌ . قُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . قَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ رَحْمَتَهُ . لَهُ الشُّكْرُ
عَلَى مَا تَعَلَّبُ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّحَتْ بِهَا الْأَبْصَارَ . وَرَعَتْ بِهَا
الْأَسْمَاعَ . وَنَقَطَتْ بِهَا الْأَلْسُنَ . وَسَكَنْتْ بِهَا الرُّوُقُ . وَأَمْتَرَجَتْ بِهَا
الْأَطْلَاجُ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . قَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . قُلْتُ :
وَمَا أَكْمَلُ الْعَمَلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يَبِينُ عَلَى
الْفُحْشِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْفُسَاءَ أَمْلِكَ .
قُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصُّومَةِ .
قَالَ : لِأَحْسِنَ هَذَا السَّعْيَ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ يَدَيْهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَذْيِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينِ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتَحَاطَبُنَا . قَالَ : لِأَنَّ
الْأَشْيَاءَ الْوَلِيَّةَ بِأَسْرَافِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . قَالَ : لَوُذِقْتُ حَلَاوَةَ
الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحِشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَيْسَتْ السَّرَادُ .
قَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي جَدَادٍ . وَإِذَا حَرَنْتُ لَيْسَتْ
السَّوَادُ . قُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . قَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرَفَهُ عَيْنٌ إِلَّا
ظَنَنْتُ أَنَّي مَيْتُ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . قَالَ : لِأَنَّكُمْ
عَرَفْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الثُّغْلَةَ مِنَ الْعُمَرَانِ

إِلَى الْحَرْبِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . هَآلَ : أَلْبَغُ الصِّفَاتِ النَّظَرُ
إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِئْتَ
جَنَازَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ الْحُمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَتَسَنَّ مِنْ لَا يَتَسَنَّكَ .
وَأَحْسِنْ مَرِيرَتَكَ . يُحْسِنُ اللَّهُ عِلَاقَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يُخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْمَعْلَمَ تَعَمُّلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتَبَاحِي أَوْ تَمَارِي بِهِ السُّقْمَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوَيْقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيُجَنِّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيُرْتَكِبُهَا . وَلَا تُشْرِبِ
السُّكْرِ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تَجَالِسَ مَنْ يُشْمِتُكَ
بِالْكَلَامِ وَتُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَا وَتُؤَقِّصُكَ فِي هَذِهِ التُّنُومِ . وَيَتَبَرَّأُ مِنْكَ
وَيَتَقَلَّبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهْ فِي طَعْمِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْمَظْمَاءِ
وَلَا فِي مَشِكَ بِالْجَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يَرْجَى خَيْرَهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرَّهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَبْلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أَعْتَلَتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنِّسْمَةَ فَإِنَّهَا
تَرْدُعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّعَائِفِ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَبِيَيْنِ . وَانْظُرْ مَا اسْتَخْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمْتَلِهِ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَخَبِّئْهُ . وَارْضَ النَّاسَ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْأَوْصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوِدُّكَ اللَّهُ وَأَقْرِي عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَصَبَّحَهُ يَقُولُ : إِلَهَنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا نَبِيَّ مَلَكُوتِكَ . تَكُونُ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ. أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمَ يَوْمٍ.
 أَغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَأَلْمَنَّا. وَلَا تُخْلِفْنَا فِي الْفِتَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِلْسَّيِّئِ وَبُقَدْسِكَ وَتُجِدَّكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ. ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيْضًا: اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَطَمَنِكَ. اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا.
 فَصْنَمَكَ أَفْضَلُ مِنْ أَمَانِنَا. اللَّهُمَّ أَجْلَانَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ حَتَّى
 تَشْتَبِلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحَنَا. وَتُعَلِّيَ قُلُوبَنَا. اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَتَبْتَعِيَ طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ. اللَّهُمَّ وَهَبْنَا لِمَنْ لَمْ يَفْعَرْهُ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ. مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْإِزْ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ. قَالَ
 السَّيِّئُ: فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ. وَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَافْصَرَفْتُ
 وَأَنَا مُتَعِجِبٌ مِنْ حَسَنِ مَقَالِهِ (أسواق الأشواق للبقاعي)

٢٢ قَالَ قَتْمُ الزَّاهِدُ: رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْقُدْسِ. فَقُلْتُ
 لَهُ: أَوْصِنِي فَقَالَ: كُنْ كَرَجُلٍ اخْتَوَشَتْهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَذْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَيَقْتَرِسَهُ أَوْ يَلْهُو فَيَنْهَسَهُ. قَالَهُ لَيْلُ خُفَاةٍ إِذَا آمَنَ فِيهِ
 الْفَتْرُونَ. وَنَهَارُهُ نَهَارُ حَرْزٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَالُونَ. ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَزَكَّنِي
 قُلْتُ: زِدْنِي. فَقَالَ: إِنْ الطُّغْيَانُ يَقَعُّ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنْ الْحَاسَةُ الْجَلِيدَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْفَقَةً بِرَمْدٍ وَتَحْوَهُ فِي حُرْمَةٍ مِنْ
 الْأَشْئَةِ الْفَاضَةِ مِنَ الشَّمْسِ. كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْفَقَةً بِالْهُوَى
 وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْلَاطِ بِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِي حُرْمَةٍ مِنْ إِذْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ مُجَوَّبَةً عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ. وَلِلَّهِ دَرَمٌ قَالَ:

ذَا مَرَّتْ بِكَ ذَا مُتَّصِبٌ ذَا مُتَّعِصٌ ذَا مُتَّعِصٌ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا وَجَدُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ لِمَا عَدِمُوا
أَهْوَاءَهُمْ قُومِهِمْ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِمَا بَدَاهَا صَمٌّ
(لِهَا الدِّينُ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْجُمَيْرِيُّ:
عَجِبْتُ لِبَيْعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَلِلْمَشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالَّذِينَ عَجِبُ
وَأَعْجِبُ مِنْ هَذِينَ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ قَوْمٍ ذِينَ أَخِيبُ
٢٤ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ: أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَائِهَا بِمَا
يَقْضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مَلَكِهَا بِمَا يَقْدُرُ . تَجَمُّعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلِأَهْلِكَ الْأَمْوَالَ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَرَكَتْ
أَمْوَالُكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْمَتَاهِيَةَ فَقَالَ :

أَبْقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ
الْقَوْمُ بَيْنَكَ فِي حَالٍ نَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلَأُوا أَلْبَابَكَ فَمَا يَبْكُوكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ أَقْبِلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَبْكُو إِذَا اخْضَرَّتْ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبٌ
هِيَ الدَّارُ مَا أَلَامَالُ إِلَّا قَيْحَانُ عَلِيَّهَا وَلَا أَلَذَّةَاتُ إِلَّا مَصَابِ
فَكَمْ سَخَنَتْ بِالْأَمْسِ عَيْنَا قَرِيَّةٍ وَفَرَّتْ عُيُونَا دُمْعُمَا أَلَا نَ سَاكِبُ
وَلَا تَكْتَحِيلُ عَيْنَاكَ فِيهَا بَعِيرَةٌ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عُرْمَانَ :

أَفَرِّ لِدُنْيَا قَدْ شَغَفْنَا بِهَا جَهْلًا وَغَفْلًا لَهْوَى مُتَبِعٍ
فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طَلَابَهَا فَلَا تَكُنْ بِمَنْ بِهَا يَتَخَدَّعُ
أَضْعَافُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوْمِضُ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعَ

٢٥ (مِنْ خُطْبَةِ لَامِيزِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
أَنْتُمْ خَلْفَ مَا ضَيَّعْتُمْ وَبِقِيَّةِ الْمُتَعَدِّينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بِسُطَّةٍ وَأَعْظَمَ
سَطْوَةً . أَرْجَحُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا قَدَّرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِلَّ مِنْهُمْ بَدَلُ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا نُفُوسَكُمْ
بِرَادٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تُوْخَذُوا عَلَى فِتْنَةٍ . هَدَّ غَفْلَتَكُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنْ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا . وَهَدُّوا لَهَا قَبْلَ
أَنْ تَعْدُبُوا . وَرَوِّدُوا لِلرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ تَرْجِعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْفِقٌ عَدْلٍ
وَقَضَاءٌ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ

٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بِلَادٍ . وَتَنْزِيلُ قَلَمَةٍ وَغَنَادٍ . قَدْ زُرِعَتْ مِنْهَا
نُفُوسُ السُّعْدَادِ . وَأُتْرِعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَاسْمَعُوا النَّاسَ
فِيهَا أَرْضَهُمْ عَنْهَا . وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْضَهُمْ فِيهَا هِيَ النَّاشِئَةُ لِمَنْ انْتَصَحَهَا
وَالْمُتَوَبُّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَأَلْهَاكَ مِنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِمَنْ أَتَى فِيهَا
رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُظَهُ الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ . فَيَضِجُ فِي بَيْنِ غَيْرِهِ . مُذَلِّمَةً ظُلْمَاءَ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يَبْشُرُ فَيُخْشِرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمًا أَوْ تَارٍ لَا يَتَدُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْكَلَاءِ: الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَلَتْ. وَإِنْ أَدْبَرَتْ
بَرَتْ. أَوْ أَطْبَقَتْ بَقَتْ. أَوْ أَرَكَبَتْ كَبَتْ. أَوْ أَبْجَحَتْ هَجَتْ. أَوْ
أَسْفَقَتْ عَفَتْ. أَوْ أَتَمَّتْ نَمَتْ. أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ. أَوْ عَاوَنْتْ وَتَتْ.
أَوْ مَاجَنْتْ جَنْتْ. أَوْ سَاحَتْ حَحَتْ. أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ. أَوْ وَصَلَتْ
صَلَتْ. أَوْ بَالَعَتْ لَعَتْ. أَوْ وَفَرَتْ قَرَتْ. أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ. أَوْ
تَوَهَّتْ وَهَتْ. أَوْ وَلِهَتْ لَهَتْ. أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لِهَا الدِّين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

ذَهَبَ الدِّينَ عَلَيْهِمْ وَجَدِي وَبَقِيَ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَخَدِي
مَنْ كَانَ يَنْتَبِذُ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شِرَارٌ فَهُوَ بِمَاءِهِ الْبَعْدِ
تَوْ بَعِثَتْ لِلْفَلَقِ أَطْبَاقُ التَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْوَلَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِلَعْمِ الْخَدِ
٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُلَاوِيَةٍ هَذِهِ الْآيَاتُ:

أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ أَلْظَمَ سُوءُ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ تَهْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا اتَّفَقَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظُّلُومِ
سَتَنْقَطُ اللَّذَاذَةُ عَنْ أَنَاسٍ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطُ الْقُومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتْ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتْ الْأَيَّامُ
سَلَا أَلْيَامٌ عَنْ أَمْرِ تَقَضَّتْ سَخِرَكَ الْعَالَمُ وَالرُّسُومُ

رَوْمُ الْخَلْدِ فِي حَارِ الدُّنْيَا فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا رَوْمُ
تَكَامُ وَلَمْ يَنْتَمِ عَنْكَ الدُّنْيَا تَلْبَهُ لِلنَّيَّةِ يَا قَوْمُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَقِي قَا شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ:

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحِرِّ الرَّجَاءِ وَتَارِ الْأَمَلِ
يَوْمَلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُو الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَقْبَلُ هَذَا عَدَا وَدُونَ غَدِ الدُّنْيَا عَمَلِ
قَالَ آخَرُ:

عَجِبْتُ لِقَتُونٍ يُخْلَفُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَا لَهُ ثُمَّ اسْتَهْلُوا لَعَبْرَهُ بِأَيْدِي بُكَاءٍ تَحْتَهُ ضَحِكُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ:

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَبَاقِي رِزْقُهَا رَعْدَا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْمِلُ غَدَا
قَالَ آخَرُ:

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَلِلْهُولِ الْجُهُولِ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى قَالَتْ وَالْمَوْتُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٩ أَوْرَدَ ابْنُ جُلَيْسَانَ عَنْ بَعْضِهِمْ:

عَنْتِ الدُّنْيَا لِبَطَالِهَا وَأَسْتَرَاحَ الزَّاهِدِ الْهَاطِنِ
كُلُّ مَلِكٍ قَالَ زُخْرُهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفْنُ

يُثْنِي مَالًا وَيَرْكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُصَنِّعُ
أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مَرْتَنُ
أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَحْوِيهِ وَسْنُ
لَمْ تَنْمِ قَلْبِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَذَا أَلْهَمَ وَالْحَزَنُ
وَأَشَدَّ آخِرُ:

أَيُّ كِبَرِي كِبَرِي الْمُلُوكِ أُنُوشِرُ وَإِنْ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامِ مُلُوكِ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ نَجْبِي إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ
شَادَهُ مَرَمًا وَجَلَّلَهُ كُلِّسَا فَلَطِيفُ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ
لَمْ يَهَبْ رَبُّ النُّونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورُ
قَالَ غَيْرُهُ:

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَيْنَ فِكْرِي تَرَى الدُّنْيَا الدَّيْنَةَ كَالْحَيَالِ
وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
قَالَ آخَرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَانْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ
مَا قَاتَ مِنْهَا فَحَلَّمْ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي
٣٠. اسْتَشَدَّ الْمُتَوَكِّلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ. قَال: إِي فِي لَقِيلُ
الرَّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ. قَال: لَا بُدَّ. فَأَشَدَّهُ:
بَلَّوْا عَلَى قَلْرِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعَهُمُ الْقُلُ

وَأَسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزِّهِ عَنْ مَعَالِهِمْ
تَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا
أَيُّنَ الْوُجُوهِ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
فَأَفْصَحَ الْفِرْعَوْنُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
قَدْ طَلَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
وَطَلَمَا كَثُرُوا الْأَمْوَالُ وَأَذْخَرُوا
وَطَلَمَا شَبَدُوا دُورًا لِلْمُحْصَنِينَ
أَصْحَتِ سَكَاتُهُمْ وَحَشَا مُعْطَلَةً
سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَاقَتْ مَنِيئَهُ
أَيُّنَ الْكُنُوزِ الَّتِي كَانَتْ مَقَاجِحَهَا
أَيُّنَ الْعَبِيدِ الَّتِي أَرْصَلَتْهُمْ عُدَا
أَيُّنَ الْقَوَارِيسُ وَالْفُلُكُ مَا صَنَعُوا
أَيُّنَ الْكَلْبَاءِ أَلَمْ يَكْنُفُوا خَلِيفَتَهُمْ
أَيُّنَ الْكَلْبَاءِ أَمَا حَامُوا أَمَا عَصَبُوا
أَيُّنَ الرُّمَاهُ أَلَمْ تَنْفَعْ بِأَسْهَمِهِمْ
هَيْبَاتٍ مَا مَنَعُوا ضَمِيمًا وَلَا دَفَعُوا
وَلَا الرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحٍ لَوْ بَدَلُوا
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَلْتَشِي بِهِ أَحَدٌ

وَأَدْعُوا حَرًّا يَابِسَ مَا تَرَلُّوا
أَيُّنَ الْأَسِيرَةِ وَالْقَيْمَانِ وَالْخَلْلِ
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسَارُ وَالْكَفَالِ
تِلْكَ الْوُجُوهِ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتُلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
فَحَلَفُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَزْخَلُوا
فَصَارَفُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَأَتَمَلَّوْا
وَسَاكُنُوا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَّرَحَلُوا
أَيُّنَ الْجُنُودِ وَأَيُّنَ الْخَيْلِ وَالْحَوْلِ
تَوَّاهُ بِالْمُصِيبَةِ الْمُقَوِّينَ لَوْ حَمَلُوا
أَيُّنَ الْعَبِيدِ وَأَيُّنَ الْيَبْرِ وَالْأَسَلِ
أَيُّنَ الصَّوَارِمِ وَالْخَطِيبَةِ الذُّبُلِ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَتَهَلَّلُ
أَيُّنَ الْحَمَاءِ الَّتِي يُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ
لَمَّا آتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْقُضُ
عَنْكَ الْمَنِيَّةَ إِذْ وَاقَى بِهَا الْأَجَلَ
وَلَا الرُّقَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْخَيْلُ
بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَابِسَ مَا فَعَلُوا
وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنْسَ بِهِ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا
 لَا تُنْكِرُنَ قَدْ دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ
 وَلَا أَتَانَا عَلَى الْمَوْتِ وَالْوَجَلِ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا
 وَرُوحُهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
 وَجِبْنُهُ لِلْبَائَاتِ الرَّدَى غَرَضُ
 وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وَرَوَى هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي دِيْوَانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

حفظ للمؤلف

٣١ قَالَ الْمُحَلِّي الصُّوفِيُّ: شَكَّوْتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَّادِ فَسَادَ أَجَدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَلَّفْتَ إِلَيْهِ نَفْسَكَ. قُلْتُ: نَعَمْ.
 قَالَ: أَخْضَطِّعْ نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنِ اطَّلَعْتَهُمَا أَوْفَعْتَكَ فِي مَكْرُوهِهِ. وَإِنْ
 مَلَكَتَهُمَا مَلَكَتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسْلِمُ الْخَوَاصِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ
 عَلِيِّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِيَنِي. فَقَالَ: أَوْصِيَكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ.
 وَإِيَّاكَ مَا يَجِبُ عَلَى نَفْسِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ
 وَشَوْقُكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِمَا مَا يُطَالِيَانِكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ أَلَدَّاهِي لَهَا إِلَى مَا
 أَرَدَتْ. فَلَمْ يَمُضِ لَكَ أَمْرٌ وَلَا يَرُدُّ أَلَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِ تَطِيعُهُ وَهُوَ مُدِيرُهَا وَمَصْرِفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَيَأْزِيهِ تَنْبِيهُهُ وَفِي طَاعَتِهِ تَقَلُّبُ. وَوَزِيرُهُ النُّعْلُ. وَمُعَايِدُهُ

أَقْبَهُمْ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلَيْعَتُهُ الْأَذْنَانِ . وَمَا فِي الْقَمَلِ سِوَاهُ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)
الدهر وحادثه

٣٣ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ
وَيَجِدِّدُ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَنِرَ مِنْهُمْ لَيْسَ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُفْنِي عَنْهُ .
قَالَ : قَطْعُ الرَّجَاءِ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَبْرَأُ وَأَوْفَى . قَالَ : الْمَسْلُوكُ
الصَّالِحُ وَالْمُتَّقِيُّ . قَالَ أَنَّهُمْ أَضْرُّ وَأَزْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْمَوْتُ . قَالَ :
فَأَيُّ الْخُرُوجِ . قَالَ : سُلوُكُ الْمُسْلِمِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٤ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفْرِ الدَّهْرُ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيْامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعَ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَذْلِ . لَا يُبْطِئُ يَدَهُ إِلَّا أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يُؤْمِنُ بِوَعْدِهِ . وَيُخَافُ غَدَهُ . يُرْضِعُ نَدِيَّهُ وَيُخْرِجُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَرُوءُ وَيَمُرُّ . وَيَسُووُ مِنْ حَيْثُ يَسُرُّ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْوَاهِبُ . حَتَّى تَهْلِكَ الْمَصَائِبُ . وَلَا تَقْصُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدِرَها الشَّوَابِبُ . (وفي فصل ابن المعتز) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوْنُ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبُلْدَانِ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرُ . مُطْلَقُ أَجْنَةِ الظُّلَمِ حَابِسُ
رُوحِ النَّدَلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْكَأَبِ مِنَ الْبَهْجَةِ
وَالْقَطُوبِ مِنَ الْبُسْرِ . مُرْاثِمَةُ بَعِيدِ الْمُجْتَنِي . قَابِضُ عَلَى النَّفْسِ

يَكْرِتِهِ . مُنْجٍ عَلَى الْأَجْسَامِ يَوْحِشْتِهِ . لَا يَبْطِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَابْوَى . (وَمِنْهُ فَصْلُ الصَّاحِبِ) : أَلْزَمَانُ
حَدِيدُ الظَّفَرِ . لَيْمُ الظَّفَرِ . حُلُوُ الْمَوْرِدِ مُرُّ الْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ الْمُرْدَاثِ
السَّيْفِ فِي الصَّرِيَّةِ وَاللَّبِثِ فِي الْقَرِيَّةِ . (وَلَيْسَ الْمَالِي قَابُوسِ) :
الْدَّهْرُ شَرُّ كُلِّهِ . مَفْصَلُهُ وَجَمَلُهُ . إِنْ أَصْحَكَ سَاعَةً أَبْكِي سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أَبْتَنَى مِنْهُ الرِّعَايَةَ . أَبْتَنَى مِنَ الْقَوْلِ الْهَدَايَةَ
(طَرَائِفُ اللَّطَائِفِ لِلْقَدَمِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الْحِرْصُ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَغْيَتُهَا نِعَمَ النُّصُورِ وَلَكِنْ بِسَمَاءِ الْفَرِّ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَلْفَاتِ مَقْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَلْفَاتِ أَجْمَعًا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَحْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ جَمَاعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتُ كَأَلْبَازِي الْمُنْتَفِ رِيشُهُ بَرَى حَسَرَاتٍ كَمَا طَارَ طَائِرُ
بَرَى خَرَقَاتِ الْحَيَوَانِ تَخْرُقُ فِي الْهَوَا فَيَذْكُرُ رِيشًا مِنْ جَنَاحِهِ وَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُتَمَمًا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الْعَمِيدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَاصْبَحَ مَقْصُوصَ الْجَنَاحَيْنِ خَاسِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحْيَرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهَا
بِحَاثِيهِ وَمَصَائِبُهُ أَمْوَاجٌ ذَوَاخِرٌ تَنْتَضِعُ
وَالْعَمْرُ يُسِيرُ مُسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَبْقَى لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا قَضَى وَدَجَى ضَوْدُ ظُلُمٍ
وَالنَّاسُ بِظُلْمٍ جَاءَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحُلُمُ
صَمٌّ بَعْدَ كَرَمٍ نَعِي ٢٢ نَعِمٌ قَسَمْتُ لَهُمْ نَعِمٌ
فَرَّقُوا فَرَقًا فَرَّقُوا فَرَقًا وَمَضُوا طَرِيقًا لَا تَلْتَمِ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدَرُ مَا
وَهَيْهَاتُ مَا فِيهِ زَوْلٌ وَإِنَّمَا
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهْنَأُ
يَكُونُ صُعُودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُفُوطُهُ
وَقَفَا بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذَكَرَ الْمَوْتَ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِ :

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطَوَّى وَهَنْ مَرَّاحِلُ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْمَوْتِ حَمًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّهَ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَمَا أَفْجَعَ التَّقْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ فِي الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ شَاخِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ مِنَ التُّقَى قُتِرَكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ لَنَا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْقَرِدًا وَجِيدًا
كَأَنَّ الْأَيْكَلِ عَلَى يَوْمَا
ذَكَرْنَا مَيْتِي قَمِيتَ نَفْسِي
وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ
أَتَفْرَحُ وَالنَّيْءُ كُلُّ يَوْمٍ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّكَ يَوْمًا
مَسْئَلُ كُلِّ مَا جُمِعَتْ مِنْهَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيْتٍ :

صَعُوا خَدَيَّ عَلَى لَحْدِي صَعُوهُ
وَمِنْ غَرِّ التُّرَابِ قَوَسِدُوهُ
وَشَبُّوا عَنْهُ أَكْثَانًا رِقَاقًا
وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ قَسَبُوهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَشَّتْ
صَبِيحَةُ تَالِثِ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلْتَ تَوَاطُرُ مُعْتَبِيهِ
عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى أَيْلِي هَذَا فَلَانُ
هَلُمُّوا فَانْظُرُوا هَلْ تَرَوْهُ
خَلِيلُكُمْ وَجَارُكُمْ الْمَقْدَى
تَقَادَمَ عَهْدُهُ قَاسَمْتُمُوهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُنْدَرِكُهُ
وَالْأَبَرَّ مَسْكِيَّهُ وَأَلْبَثَ مُخْرِجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ حَتَاتِ سُبْحِهِ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ نَارِ سَبْحِهِ
 فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى النَّفْسِ بِسَجٍّ
 رَزَى الَّذِي اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا
 وَقَالَ آخَرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
 يُجِلُّ مُخْلِصَ النَّفْسِ مِنَ الْآذَى
 وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ رَجُوعًا أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي
 أَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَمُوتَ فَأَعْتَمًا
 فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَُا
 عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلَهُ أَنْ يُعْشَأَ
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسْلِمًا
 عَلَى الرَّمِيمِ فَلَمْ يَدْ جَوَابِي
 يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُتَادِيًا
 أَنْكَرْتُ بَيْنِي خَلَّةَ الْأَصْحَابِ
 قَالَ الرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ
 وَأَنَا رَهِينُ جَدَائِلِ وَثَرَابِ
 أَكَلِ التُّرَابِ حَاسِبِي فَلَسْتُ بِكُمْ
 وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَحِبَائِي
 وَقَالَ آخَرُ:

إِسْمَعِي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَأَسْعِي لِلْجَنَّةِ
 فَالْحَازِمُ الْمُسْتَعِدُّ
 قَدْ تَيَسَّرَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ حُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ
 إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تَرُدِّينَ وَالْعَوَارِي تَرُدُّ
 أَنْتِ تَسِيرِينَ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْمُو وَتَلَوِّنَ وَالنَّاسُ يَا مُجِدُّ

أَيِّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيِّ حَظٍّ لِمَرِي حَظَّهُ مِنْ الْأَرْضِ لَحْدٌ
لَا تُرْجَى الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ حُوشَا لَكَ وَرُدُّ
التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنْ الْأَجْبَةِ وَالْمَدَامِ وَمَلْتُ عَنْ التَّهْتِكِ وَالْمُيَامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَعْتُ الْغَوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمَلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدِمَا طَالَ عَزْمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بِنَدَاهَا مُعْطِي عَنَانِي أَلْهَوَى لَكِنْ رَأَى يَدَيَّ زَمَانِي
أَبْعَدَ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخُو سُكُونٍ يَلْبِقُ بَأَن أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرِّاحَ نَقْصُ بَعْدَهُذَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَذَرُ التَّامِ
فَكَمْ أَجْرَيْتُ فِي مِيدَانِ لَهْوٍ خَوْلَ هَوَى وَكَمْ ضَرَبْتُ خِيَامِي
سَاوِي الْكَلَسَ تَعْدِسًا وَصَدًّا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِالنِّسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرُّجُوعِ عَنِ الْمُنَاهِي وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى اعْتِرَامِ
صِدْقِ الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدٍ الْمُنْتَهَرِ فَحَظُّ الْقَوْمِ بِالشَّرِّ قَالَ :

٣٨ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيَّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي سِرِّي وَأَلْجِدُ
مَنْ يُطِعُ اللَّهَ قَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِيهِ أَوْ الصَّيِّرَ خَابَا
كَأَنَّهُ لَأَمْ بَقِيَ لَدَيْكُمْ نَحْيٌ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَوْا عَنْ قَصِيدِهِ أَوْ نَفْخِهِ تَضَلُّوْا
لَا تَتْرُكُنْ نَضِجِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ قَاعْلَمَنَ وَاضِحٌ

مِنْ يَتَى اللَّهُ يَجِدْ غَيْبَ التَّنْبِي
 أَنْ التَّنْبِي أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْحُجْمَ إِخْوَتِي لَكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَذْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يَحْصُدُهُ
 فَاسْتَمْتَرُوا رَبَّكُمْ وَتَوَبُّوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَارُوا إِلَى اللَّهِ
 أَرَى جَمَاعَ الْيَرِ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ الْفَلَاءِ تَرَفُّوا مَا سَرَكُمْ
 فَأَتَّصُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَمَا يُقَدِّمُ مِنْ صَلَاحٍ يَحْصُدُهُ
 فَلَمَّوتُ مِنْكُمْ فَأَعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَعَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامٌ أَنْتَ يَا إِلَهِيكَ مُشْتَعِلٌ
 تَنْضِي مِنَ النَّهْرِ بِالْعَيْشِ الدَّيْمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَأَنْهَضَ إِلَى ذُرْوَةِ الْعَلْيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَهَرْتَ هَذَا جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَصَيْتَ مِنْهُمْ وَجْهًا فَأَحْسَنُ مَا
 عَنْ نَجْحِ قَصْدِكَ مِنْ خَيْرِ الْقَوَى قِيلَ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يُغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزَمًا لَتَرَقَى مَكَانًا دُونَهُ زُحُلُ
 بَقَاؤَهَا بِبَقَاءِ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُقَالُ عَنْكَ قَصَى مِنْ وَجْهِهِ الرَّجُلُ
 ٤٠ قَالَ يَهْيَا الدِّينَ الْعَالِمِي فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَاصًّا بِحَرِّ الْأَمَانِي
 أَضْمَتِ الْعَمَرَ عَصِيَانًا وَجَلَا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلُ
 إِلَى كَمْ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَاتِمُ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 قَمَلًا أَيُّهَا الْمُرُودُ هَلَا
 وَفِي قُوبِ الْعَمَى وَالتَّنْبِي رَاقِلُ
 وَفِي وَقْتِ الْفَنَاءِ أَنْتَ نَائِمُ

وَكَرَّمَكَ لَا يَدَى إِلَّا طَمُوحًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَزَلْ أَبَدًا جَوْحًا
 وَقَلْبُكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَاصِي قَوْلِكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالْوَاصِي
 بَلَالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَقَارِقِ يَحْيَى عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
 يَجْرُ الْأَيْثَمُ لَا تُضْنِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْبَ فِي الْمَوَاعِظِ
 وَقَلْبُكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجْهَكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي أَزْدِيَادٍ
 عَلَى تَحْصِيلِ ذُنُوبِكَ الدَّائِيَةِ مُجَدًّا فِي الصَّلَاحِ وَفِي الْعَمِيَةِ
 وَجَدُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
 وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِحُلِّهَا فُلَامَهُ
 ٤١ قَالَ بِهِمَا الَّذِينَ زُهِدُوا:

تَزَلْ الشَّيْبُ وَإِنَّهُ فِي مَقَرِّي لَأَعَزُّ نَازِلُ
 وَبَكَتْ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُ قَاهِ أَوْ عَلَيْهِ رَاحِلُ
 بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فُلَانُ نُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ
 أَتُرِيدُ فِي السَّعِينِ مَا قَدْ كُنْتَ فِي الْعُسْرَيْنِ قَاعِلُ
 هَمَّاتٍ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثُ قَافِلُ
 قَدْ كُنْتَ تُنذِرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَلِكَ الْمُنْذَرُ رَاقِلُ
 مَنَنْتَ نَفْسَكَ بِاطِّلَا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
 قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحِ مَرَّاقِلُ
 ضَيَّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَنْفُزْ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاثِي

وَقَالَ دَاوُدُ الطَّائِي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِي تُكَلِّمُ ابْنُ السَّمَاءِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ قَالُ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَعْيَشَى بَصَرَ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَانَهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرُ . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجِبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَفْتُونِينَ
مَنْزُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتْ الدُّنْيَا عُمُوكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُجُبِهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ حَسِبْتُهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنُكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَنْتَبَهَتْ وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَفْتَ الْمَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَبْعَهُ .
وَوَخَّشْتَ اللَّبْسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَبَنَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَفَرَّبَتْهَا
قَبْلَ أَنْ تُهْبَرَ . وَعَذَّبَتْهَا قَبْلَ أَنْ تَعَذَّبَ بِحُجَّتِ نَفْسَكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
تُحَدِّثْ لَهَا لَوْلَا حَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فَرَّاشٌ تَحْتُكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلْبٌ تَبْرُدُ فِيهِمَا مَاءُكَ وَلَا صَفْحَةٌ يَكُونُ فِيهَا عَذَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدُهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَبْعُهُ وَلَا مِنَ الْإِبَاسِ لَبَنُهُ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدْتَ فِيهِ لَمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَضَرَّ مَا بَدَّلْتَ وَمَا أَخَرَّ مَا
رَزَكْتَ فِي جَنْبٍ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَرَكَ رَبَّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (ابن عبد ربه)

رثاء الاسكندر

٤٣ نَحْنُ مِنْ قَوْلِ الْمُلُكَمَاءِ عِنْدَ وَفَاةِ الْإِسْكَندَرِ لِما جِئَ فِي تَأْوِيْتِ
مِنْ ذَهَبٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّ الذَّهَبَ وَقَدْ
صَارَ الْآنَ الذَّهَبُ يُحِبُّهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضِينَ
وَمَلَكَهَا ثُمَّ جِئَ مِنْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ :
أَنْظُرْ إِلَى حِلْمِ النَّاسِ . كَيْفَ اتَّقَصَّى إِلَى ظِلِّ الْعِثَامِ وَقَدْ انْجَلَى .
(وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُثِقِلُ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَعِلُّ مُلُوكَ الْعِيَادِ . (وَقَالَ آخَرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ ضَيْقِ الْمَسْكَنِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَيْتَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِلْأَيَّامِ وَقَدْ مَلَأَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخَرُ) : مَا كَانَ أَفْجَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبِيرِ أَمْسٍ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُثَلِّبُ . (وَقَالَ رَيْسُ
الطَّبَّاخِينَ) : قَدْ نَضَّدْتُ النَّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَصَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَلَسْتُ أَرَى عِمِيدَ الْجُلُوسِ (للقيرواني)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرَى وَلَدَهُ :

وَإِكْبَادًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَيْدِي قَدْ حَرَقَهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لَيْسَتْ أَسْفَا أَعْدَرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةً اللَّهُ جَاوِرِي جَدْنَا
 وَتَوَرِّي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى
 مَنْ كَانَ خُلَوا مِنْ كُلِّ بَاقِيَةٍ
 يَا مَوْتَ يَحْيِي لَمَّا دَهَبَتْ بِهِ
 يَا مَوْتَ لَوْ أَقَلَّتْ عَثَرَتُهُ
 يَا مَوْتَ لَوْ لَمْ تَكُنْ مُعَاجِلُهُ
 أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْبَنَانِ لَهُ
 أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَمَهُ
 وَأَيُّ سَاقِي قَطَعَتْ مِنْ قَدَمِ
 يَا قَمْرًا أَجْجَفَ الْخُسُوفُ بِهِ
 أَيُّ حُشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفَا
 لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدَ
 لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدَا
 يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَأَجْمَحَا
 ٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسَكَّنُ إِلَّا قَارِقُ السَّكَنَا
 لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السَّرُورُ بِهِ
 إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَأَحْرَا
 يَا سَيِّدِي وَمَرَّاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي
 وَلَا أَمْتَلَا قَرَحًا إِلَّا أَمْتَلَا حَرَامَا
 لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَخِيَا الدِّينِ وَأَسْتَنَا
 وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَأَحْرَا
 هَلَا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَرَى بَا فِي قَمَرٍ مُظْلَمَةٍ لَحْدٍ وَيُلَيْسَا فِي وَاحِدٍ كُنْتَا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا صَمَهُ بَدَنُ اسْتَدْعَى اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنُ
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مَعَاوِصَةً مِنْهُ لَأَا كُنْتُ الدُّنْيَا لَهُ تَمَنَّا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي النَّيَّةُ تَأْثِيرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَتَّقِ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
لَنْ عَمَرْتُ دَوْرَ عَيْنٍ لَا أَحِبُّ لَقَدْ عَمَرْتُ بِمَنْ أَحِبُّ الْمَقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكْنَى
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لِقَائِكَ . فَقَالَ :

يَا بِي وَأُمِّي مَنْ عَبَاتُ حُوطُهُ يَيْدِي وَفَارَقْنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ أَسْأَلُوهُ وَكَيْفَ أُنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَأَنَا أَدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخَرُ بَنِي لَهَافٍ :

أَخْ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ قَدْ صِرْتُ أَسْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَعْدُو إِلَى قَصْرِهِ قَدْ صِرْتُ أَعْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ قَالَتْ الْحُفَسَاءُ تَرَى لَهَا هَا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمِدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَفْرِ الْأَدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْحَرِيِّ الْجُودَا أَلَا تَبْكِيَانِ أَلْقَى السَّيْدَا
طَوِيلُ التَّجَادِ رَفِيعُ الْمَا دِ سَادَ عَشِيرَتُهُ أَمْرَدَا
مُحْمَلُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَمَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْرُهُمْ مَوْلَدَا

جُمُوعُ الصُّبُوفِ إِلَى بَابِهِ بِرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أَخْتُ الْوَلِيدَيْنِ طَرِيفُ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكُورُ :

أَبَا نَجْدٍ لَطَائِرُ مَالِكِ مُورِقَا كَأَنَّكَ لَمْ تَخْرُجْ عَلَى بَنِي طَرِيفِ
فَتَى لَا يَرِيدُ الْعَزَّ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا أُمَالٌ إِلَّا مِنْ هَذَا وَسُيُوفِ
فَقَدَنَاهُ فَهَذَانِ الرَّبِيعُ فَلَيْسَا قَدَنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِنْ عَادَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَفَا بِكُلِّ شَرِيفِ
قَالَ ابْنُ مَسْنُونٍ بِرَى عَلِيٌّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ :

حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَقْضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَذَّرَا
وَارْحَمَاهُ لِصَارَ خَلَّتْ حَوْلَهُ تَبَكَّى لَهُ وَلَوْ جِئَا لَنْ نُسْرَا
مُلِقَى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَظُنُّهُ دَاوُدُ فِي الْخِرَابِ حِينَ نُسُورَا
لَهْفِي عَلَى الْمَاهِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرَّهَوِي مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوْ أَنَّهُمَا اتَّصَلَتْ لَكَاتِ الْجُورَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَدِّلٌ عَرَضَتْ مِنِّي لَهُ قَعْمَرَا
لِحَقِّ الْبَارِ جِنَّةً وَلَطَلَّا فِي شَأْوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَبَرَا
٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَسَرَكُمَا الرِّزْيَةُ هَذَا مَالٌ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ هَذَا حَرٌّ يَمُوتُ لَمَوْتِهِ خَلَقَ كَعَمِيرُ
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبَلَّى حَلْسُهُ اللَّهُ يُؤَلِّكَ غُرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتُ جَرَعْتُ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَيْتُ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ الْقَاضِيَّ الْبَاقِلَانِيَّ الْبَصْرِيَّ :
 أَنْظِرْ إِلَى جَلِيلِ تَمْثِيلِ الرِّجَالِ بِهِ وَأَنْظِرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْجُو مِنْ الصَّلَفِ
 وَأَنْظِرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُتَمَدِّدًا وَأَنْظِرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدَفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودِعٌ لَمَذَخْتُ أَنْ أَبْقَى بَقِيَّةَ خَلِيلِ
 وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَمُوتَ مِنْتِي وَيُفَرِّدَنِي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخَرُهُمْ فِي أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتَنِي حَيْبٌ زُرْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَصْرَعِهِ الْأَعَادِي قَمَا تُلْقَى لَهُمْ مُتَقَشِّمِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوْبِيُّ بِرَأْيِ أَبَا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّمًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِمُتَلَيِّ فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْتَ فَمَلِكُكَ كُنْتُ أَحَادِرُ

٤٩ كَانَ ابْنُ بَسَامٍ بِرَأْيِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْمُتَمِّمِ :
 قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوُجَابِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ زُرَابَهُ فَلَطَمًا عَنِّي حَمَلَتْ نَوَائِي
 قَالَ الْمُتَمِّمِيُّ فِي ابْنِ لَهُ نُوفِي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَلَكَ صَنِيعًا فَلَأَمْسَى غَيْرُ صَنِيعٍ
كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَى وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
عَرَسَتْهُ فِي بَسَائِيسِ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَمَّا لَأَمْسَى عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبَكَاءِ
فَقَالَ أَتُنْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتُهُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبِثُ الشَّجَا فَدَعْنِي هَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَا لَكَ
قَالَ آخَرُ :

لِكُلِّ أَنَاثٍ مَعْبُورٍ يَفْتَلِمُهُمْ
وَمَا مِنْ ذَاكَ رَسْمٍ دَارَ قَدْ خَلَقْتُ
هُمْ جِبْرَةَ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارُهُمْ
قَدَانٍ وَأَمَّا الْمَلْتَقَى فَبَعِيدُ
•• قَالَ الْفَطْمُسُ الصَّبِيُّ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْإِلْمَامِ أَصَابَكُمْ
قَالَ آخَرُ :

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ
لَأَجَارِي لَوْ نَفْسُ قَدَتْ نَفْسُ مَيْتَةٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَ حُجَّةً
أَلَا قَلِمْتُ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا
إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَكَاثُرًا
قَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِي
فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِي
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ جِذَايَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّيْبِ التَّيْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا أَسِيرٌ يُقِفُ عَنْهُمْ فِي السَّلَاحِ
 لَمَعْرِ لَبَنٍ عَرِّمَ السَّيْحَنَ خَالِدًا وَأَوْطَأَتْهُ وَطَاءَةُ التَّهَاقُلِ
 لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ وَيُعْطِي اللَّهُ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ
 فَإِنْ تَسَبَّحُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْبُحُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْبُحُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ
 قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ :

كُنَّا كَصَفَتَيْنِ فِي حُرُومِهِ سَمَاءًا وَطَلَبَ قِيَامَهَا وَأَسْتَنْظِرُ الْقَمَرُ
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا يُبْنِي عَلَى وَاحِدِي رَبِّبَ الزَّمَانِ وَمَا
 كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 ٥٢ وَقَالَ التَّيْسِيُّ فِي مَنْصُورٍ :

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ يُبْنِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرٌ
 أَمَّا الْقُبُورُ فَأَنْهَى أَوَّلِسُ مَجْوَارٍ قَبْرِكَ وَالْذِيَارُ قُبُورُ
 عَمَّتْ قَوَاضِلُهُ قَمَمٌ مُصَابَهُ قَالَتِ النَّاسُ فِيهِ كَلَهُمْ مَا جُورُ
 يُبْنِي عَلَيْكَ لِسَانَ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا إِلَّا تَمَكَّ بِإِثْنَاءِ جَدِيدُ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ تَشْرِهَامَ مَشْهُورُ
 قَالَتِ النَّاسُ مَا أَهَمُّ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَدُّهُ وَزَفِيرُ
 عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَعِيرُ
 (الحماسة لابي تمام)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحُكْمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصْرِغْ أَمْرَ دَوْلِكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَهَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَهَرَ بِكَ لَمْ تُعَذَّرْ . وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَارُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُخْتَارِ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُخْتَارُ رَبِّمَا أَشْتَدَّ . كَمَا لَنْصَنِ النَّصْرَ رَبِّمَا صَارَ شَوْكًا . وَقِيلَ : لَا تَأْمَنْنِ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُؤْزِطَكَ . قَالَ رُحْ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانُ وَالزُّجَّ . قَالَ الْمَوْسِيُّ :

أَلْقِيبُلُ يَصْغُرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُغُوزِ

٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقَرْيَةِ دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ : الْبَطَرُ بِالْبَغْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَاءُ . فَقَالَ : الْتَوَضُّعُ بِعَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارَةِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ : كَلْمُ النِّيْظِ وَالْإِحْتِمَالُ لِلْمَالِ يُزَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِطْلَاقُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْهَدْرَةِ وَالرِّضَاءُ عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكِرَمُ . فَقَالَ : حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحَقِّ . فَقَالَ : مَا الْحَمِيَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَقَالَ : مَا السَّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحِمْلَةُ فِي وَجْهِهِ الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ . وَالْبَابُ فِي مَوْضِعِ الْفَرَارِ . وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ . قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصَحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِدَادُ . فَقَالَ :

مَا الْإِنصَافُ. قَالَ: الْمَسَاوَةُ عِنْدَ اللَّهِ عَاوَى بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: مَا
الذَّلُّ. قَالَ: الْمَرَضُ عِنْدَ خُلَاوِ الْأَيْدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ. فَقَالَ:
مَا الْخِرَاصُ. قَالَ: حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرِّجَاءِ. فَقَالَ: مَا الْأَمَانَةُ. قَالَ:
قَضَاءُ الْوَاجِبِ. فَقَالَ: مَا الْحَيَانَةُ. قَالَ: التَّرَاضِي مَعَ الْقُدْرَةِ. فَقَالَ:
مَا الْقَهْمُ. قَالَ: التَّفَكُّرُ وَإِدْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (لِلنَّزَالِي)

٥٥ (قَائِدَةُ جَمِيعِهِ وَلَمْ يَكُنْ سَاطِعَةً وَمَقَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ) قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
إِلَّا بِالْإِدَاءِ أَوْ الْقَبْرِ. يَغْفِرُ زَلَّتْهُ. وَيَرْحَمُ عِزَّتْهُ. وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ. وَيَقْبِلُ
عَثْرَتَهُ. وَيَقْبِلُ مَعْدِرَتَهُ. وَرَدُّ غِيَّتِهِ. وَيُدِيمُ نَفْسِيَّتَهُ. وَيَحْفَظُ حُلَّتَهُ.
وَيَرْحَى ذِمَّتَهُ. وَيَبُودُ مَرْضَتَهُ. وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ. وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ. وَيَقْبِلُ
هَدِيَّتَهُ. وَيُكَافِي بِصِلَتِهِ. وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ. وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ. وَيَحْفَظُ
سِرْمَتَهُ. وَيَقْضِي حَاجَتَهُ. وَيَقْبِلُ شَفَاعَتَهُ. وَلَا يُجِيبُ مَقْصِدَهُ. وَيُسَمِّتُ
عَطْسَتَهُ. وَرَدُّ شِدِّ ضَالَّتِهِ. وَرَدُّ سَلَامَتِهِ. وَيَطْلُبُ كَلَامَهُ. وَيُبْرِئُ أُنَامَتَهُ.
وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَتَهُ. وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا يَأْعَانَتُهُ عَلَى
وَقَادِحِهِ. وَيُؤَالِيهِ وَلَا يُبَادِيهِ. وَلَا يُخَذِّلُهُ وَلَا يُشْتَمُهُ. وَيُجِبُ لَهُ مِنْ
الْخَيْرِ مَا يُجِبُ لِنَفْسِهِ. وَيَكْزُرُهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْزُرُهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يُتْرَكُ
وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ: الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ طَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لِمَانٍ وَلَا نَمَامٍ. وَلَا
مُنْتَابٍ وَلَا فَنَاتٍ. وَلَا حَسُودٌ وَلَا حُفُودٌ. وَلَا بَخِيلٌ وَلَا خُنَالٌ. يَغْلَبُ

مِنْ خَيْرَاتِ أَغْلَاهَا. وَمِنْ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا. إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْدَعَهُمْ. غَضِضُ الطَّرْفِ. مَنَعِي الْكَفِّ. لَا يَرُدُّ سَائِلًا.
 وَلَا يَغْلُ بِسَائِلٍ. مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ. بَدَنُ كَلَامِهِ
 وَيَحْرُسُ لِسَانَهُ. وَيُحَسِّنُ عَمَلَهُ وَيُكَثِّرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ. يُتَأَسَّفُ عَلَى مَا قَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ. كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ. لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ. وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ. كَثِيرُ الْمَوْنَةِ قَلِيلُ
 الْمَوْنَةِ. يَنْطَفِ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عَشْرَتِهِ لِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ ضَعْفِهِ. هَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَقَائِصِ (للدميمري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمَلُوكِ الْجَبَّارِي تَحْوِي الْأَمْثَالَ) قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبْتَ الْمُلُوكَ عَنِ الْمَدْلِ رَغِبْتَ الرَّعِيَّةَ عَنِ الطَّلَعَةِ. (أَفْرِدُونُ) الْآيَاتُ
 صَحَائِفُ أَجَالِكُمْ فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ. (أَنُوشِروَانُ الْمَلِكُ) إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ يَمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْرُ سَطْحَ بَيْتِهِ يَمَّا يَقْتُلُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ. (أَبْرُوذُ) أَطْلَعْ مَنْ فَوْقَكَ يُطِمْكَ مَنْ دُونَكَ. قَالَ ابْنُ
 الْمُنْتَزِعِ:

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَطَلَتْ غُصَّةٌ نُفْخِي بِطُولِ تَأْوُفٍ وَتَتَدَمَّرُ
 لِمَا عَزَمَ الْمُتَصَوِّرُ عَلَى الْفَتَاكِ بِأَيِّ مُسْلِمٍ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ:
 إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَأْيِ أَنْ تَتَجَلَّأَ
 فَاجَابَهُ الْمُتَصَوِّرُ:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزَمَةٍ فَإِنْ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُجْهِلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا يُدْفِقُونَ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا عَدَا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْمَوْرَى بَطَلَ الرَّأْيُ (القيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْفَرَّيْدِ): النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَأَحْمَقٌ وَفَاجِرٌ.
فَالْعَاقِلُ الَّذِي شَرِيعَتُهُ وَالْجِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَمِيَّتُهُ. إِنْ سُلِّ
أَجَابَ. وَإِنْ نَقَطَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَحَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى.
وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ. وَإِنْ أَسْتَزِلَّ عَنْ رَأْيِهِ
زَلَّ. فَإِنْ جُلَّ عَلَى الْقَبِيحِ جُلَّ. وَلَمَّا أَلْفَلِحَ فَإِنْ انْتَسَتْ خَاتَكَ. وَإِنْ
حَدَّثَتْ شَانَكَ. وَإِنْ وَفَّقَتْ بِهَ لَمْ يَوْعَكَ. وَإِنْ أَسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمْ.
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَلْمِ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَقْنَمْ. وَإِنْ فَهَمَ لَمْ يَقْنَمْ.

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ مُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةٌ رِعَايَتِكَ. قَالَ: مَا هُنَّ. قَالَ:
لَا تَعْدِدْهُ لَا تَقْنَمَنَّ نَفْسَكَ بِإِنْجَازِهَا. وَلَا تَفِرَنَّكَ الْاِرْتِقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدُّ وَغَرًا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ
الْأَوْقَابَ. وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَقَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ. قَالَ عِيْسَى بْنُ دَاوُدَ:
مُحَدِّثٌ هَذَا الْحَدِيثِ الْمُهْدِي فِي يَدَيْهِ لَهْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ: وَبِحُكِّكَ أَعِذْ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِعْ لَهْمَتَكَ. فَقَالَ:
حَدِيثُكَ أَتَجِبُ إِلَيَّ (القزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمْ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاهُهَا. الْأُثْبَانُ سُمْ قَاتِلٌ

وَالْزُهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سَمُّ قَائِلٍ وَالْزَكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
 سَمُّ قَائِلٍ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمَلَكَ الدُّنْيَا سَمُّ قَائِلٍ وَالْعَمَلُ دِرْيَاقُهُ
 ٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمَمِ وَصَوْمُ
 الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمَمِ فَهُوَ كَفُّ
 الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
 وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْأَتَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
 خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْمُ الْقَلْبِ عَنِ الْمُنُومِ الدُّنْيَةِ وَالْأَفْكَارِ
 الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكثرة للمنفون).

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بَرَجِ جَهَنَّمَ حِكْمُ الْقُرْآنِ (قَالَ) : تَصَيَّيْتُ
 النَّفْسَ وَأَوْعَيْتُ الْأَوْعَاطَ شَفَقَةً وَتَصَيَّعَةً وَتَادِيَةً فَلَمْ يَعْطِنِي أَحَدٌ مِثْلَ
 شَيْئِي وَلَا تَصَيَّيْتُ مِثْلَ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضَاءَتْ بُحُورُ السَّمْسِ وَضَوْءُ
 الْقَمَرِ فَلَمْ اسْتَضِيْ ضِيَاءَ أَضْوَاءٍ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَلَكَتِ الْأَعْرَازُ
 وَالنَّسِيدُ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا تَهَرَّنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
 فَلَمْ أَرَأَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جِلَّتْ وَأَحْتَرَزَتْ لِنَفْسِي بِشَيْئِي مِنْ
 الْخُلُقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهِمْ وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا أَشْرَ الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا .
 وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قِبَالِهَا وَزَادَتْهُ الْضَائِقُ فَلَمْ يَزَحْمِي
 مِثْلُ الْخُلُقِ السُّوءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَبْعَدِ الْبَعْدِ وَأَطْوَلَ الطُّولِ فَلَمْ أَقْعُ فِي
 شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّفْضَاءِ
 فَلَمْ أَرَأَا أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ عَصِي . إِذَا عَمَّكَ مِثْيُ وَطَالَبَتْكَ الطَّلَبُ فَلَمْ

يُذَرِّكُنِي مِثْلَ إِسَاءَةٍ فِي . وَنَظَرْتُ مَا أَلَدَّاهُ الْعَالِلُ وَمِنْ أَنَّهُ بَاتِنِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سَجَانَهُ . وَأَتَمَسْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئًا أَرْوَحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَغْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبَحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْهُوَ لَا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوْدِ . وَعَالَجْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّنَابَ وَعَاسَرْتُهَا وَعَاسَرْتُنِي وَعَلَبْتُهَا فَعَلَبَنِي صَاحِبُ الْخَلْقِ
السَّوْدِ وَأَكَلْتُ الطَّيْبَ وَشَرِبْتُ الْسُّكَّرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَذْ مِنْ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنْ
الْإِنْسَانِ السَّوْدِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَمْرٍ مِنَ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاسَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قِرْنًا أَغْلَبَ مِنَ الْمَرَأَةِ السَّوْدِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ جِلا أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُدِلُّ الْعَزِيزَ وَيُكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذْلًا مِنْ ذَوِي قَافَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرَشَقْتُ
بِالنِّشَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السَّوْدَ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِ مُطَالِبٍ بِحَقِّ . وَعَصِرْتُ السِّجْنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوُلُوقِ وَضَرَبْتُ
بِسَيْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَيْتَنِي الْقَمُّ وَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ .
وَأَصْطَنَمْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَجَبْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشَّدَةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئًا أَخِيرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ النَّفْيَ مِنْ وَجْهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَصَدَقْتُ بِالْخَائِرِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

صَلَاةً إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْثَرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَذَلَّ مِنْ
مُقَاسَاةِ أَجَارِ السُّودِ . وَشِدَّتِ الْبَيَّانَ لِأَعِزِّ بِهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرَفًا
أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِلَاعِ الْمُرُوفِ . وَلَيْسَتْ الْكُفَى أَفْخَرَةَ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَاتِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مُتَمَحَلِّ
الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قَابِصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَلَايَ أَتَى عَثَرَاتِ
الْزَّمَانِ وَأَخْشَى تَسْلُطَ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَلَبَهُ الْأَذْهَرُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ
جَزَاءً فَأَتَى الْعَوَاقِبَ وَالْأَيَّامَ عَدْرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانَ مُتَعَلِّبٌ
مُتَوَلِّدٌ فَاحْذَرِ تَعَلُّبَهُ . لَيْمُ الْكُرَّةِ خَفَّ سَطْوَتُهُ . سَرِيعَ الْفَتْرِ فَلَا تَأْمَنُ
دَوْلَتَهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامٍ إِلَّا تَلَامَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشَّقَاءِ فِي دَارٍ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَهُ
وَأَسْتَبْدَهَا فِيمَا يُعَدُّ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نَبْلُهُ . وَمَنْ لَمْ
يَضْبُطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبُطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
يَضْبُطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَعِبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
وَخَشَوْتُهُ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَةُ الرِّعْيَةِ فِي تَوَاجِيهِ الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
الْمُلْكَةِ أَبَدٌ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِ الْمَلِكُ إِسْلَاطَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
عَدُوِّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَاهُ بِالْفَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعْ فِي فَهْرِ حَوَاسِهِ
الْخَفِيِّ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صُورِهَا قَدْ نَاقَتْ عَلَى النَّفْسِ

الْقُوَّةِ الْحَذَرَةَ فَكَفَتْ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمَ
أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِأُخْرَى فَأَقْرَبَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
وَأَمَّا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَرَّاشَ يَكُونُ الشَّخْصَ
فَيَسْتَكِنُ مِنْ خَرِّهَا وَيُجِبُّ ضِيَاءَهُ النَّارُ فَيَذْنُو مِنْهَا فَتُخْرِقُهُ . وَالطَّيْرُ عَلَى
إِنْفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ بَرَصِهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَكِيِّ فَيَمُوتُ أَهْلَانِصَ مِنْ
نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِمَهُ فَتُحْصِلُ السَّارَةَ
فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَقَّةٌ

٦٣ يُخَصِّنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ بَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطَائِعِ غَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
النَّسَبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالرِّيحُ وَالنَّارُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالْمَوْتُ . فَأَمَّا
شَبَّهُ (النَّسَبِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَقْعَتُهُ لِكُلِّ السَّنَةِ
كَذَلِكَ يُلَبِّي الْمَلِكُ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ يُقَدِّمُوا
لِتِمَّةِ السَّنَةِ . فَيَعْمَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
بِعِزَّتِهِ وَاحِدَةً كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْصَاةٍ وَشَرْفٍ وَعَاظِلٍ
مُسْتَقْبِلٍ . وَيَبْسُرُ كُلُّ مَنْ مَاتَ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
الْأَثْنَانَةِ أَشْهُرًا حَقُّوقَهُ مِنْ غَلَّتِهِمْ وَخَرَابِهِمْ كَمَا تَحْتَجِي الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
وَاحِدَةً فَلَهَا نَدَاؤُ النَّسَبِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْإِمطارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرِّيحِ)
فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةٌ الْمَدَاخِلُ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَقُوتَ مَكَانٌ
كَذَلِكَ الْمَلِكُ يُلَبِّي أَنْ يَتَوَجَّعَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِمَجَازِيْبِهِ وَعِيُونِهِ
لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَرِفَ مَا يَأْتِرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَا لَعْنًا إِذَا اسْتَهْلَ تَمَامُهُ فَأَصْنَاهُ وَأَعَدَّلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسَرَّ النَّاسُ
بِضَوْئِهِ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ يَهْتِمُّ بِزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي عَجَاسِهِ وَإِنَانِهِ
رَغْبَةً بِبَشَرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيحًا دُونَ وَضِيعٍ بِمَدْلِهِ. (وَكَا لِنَارٍ عَلَى أَهْلِ
الدَّعَاةِ وَالْفَسَادِ). (وَكَا لَأَرْضٍ عَلَى كَيْفَانِ السَّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ). (وَكَهَافَةِ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَقْصُرُ
عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَجَاوِزُهُ. (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لَيْسِهِ لِمَنْ لَا يَنْهَ. وَهَدِيمِهِ
وَأَقْبَالِهِ عَظِيمِ الشَّجَرِ لِمَنْ جَاذِبُهُ (للطارطوشي)

لشعار حكيم

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرِيشَةَ:

السَّيْلُ يَفْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الْقَصْفَرُ يَقْطُرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عِبَابَ الْخَيْرِ تَنْظَرُهُ قَدْ اضْطَحَلَ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَرُ
وَقَالَ آخَرًا:

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارَةٌ فَإِذَا بَادَرَتْهُ حَمْدًا
وَأَنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلًا أَرَى قَابِلَ تَشْوِي الْقَلْبَ وَالْكَفَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَا أَقَادُوكَ فِي إِحْمَادِهَا أَبَدًا
وَقَالَ آخَرًا:

أَرَى النَّاسَ يُؤَلُّونَ النَّبِيَّ كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرَفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلُوكُونَ عَنْ وَجْهِ الْقَبِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِكِبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَلْطَافُ جَهَنَّمَ فَأَصْحَحُوا الْأَحْدِيثَ ابْنُ دِينَارٍ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تَمِيلُ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ قَالَتْ لَهُ فِيمَا
قَالَ آخَرُ :

لَا يَجِئُكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
لَوْ زِيدَتِ الشَّمْسُ فِي أَبْجَاهِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَالَانَ الْخُرَاسَانِيُّ :

إِفْضِ الْخَوَاصَّ مَا اسْتَطَعْتَ
فَلْتَحْذِرْ أَمَامَ الْفَقِي
مَتَّ وَكُنْ لِمَنْ لَيْسَ بِأَخِيكَ فَارِخْ
يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْخَوَاصَّ

٦٦ قَالَ الْطَّبَّاعِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يَدْرِكُ الْمُنَافِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ تَقْسُوتُ عَلَى قَوْمِهِ حَوَائِجُهُمْ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ قَسَمْتَ مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَمَا حَسَنَ أَنْ يَغْدِرَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بِشِيرٍ:

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْغَرِيِّ بِالْخَلْقِ وَأَجْتَرِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعَلَقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِثْلًا مَمْقُودَةً لِلنَّاسِ فِي عُنُقِي
إِلَيَّ وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي وَكَانَ مَا لِي لَا يَتَسَوَّى عَلَى خُلُقِي
لَكَرِّكَ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يَلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمَنَهِلِ الرِّقِي
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا:

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرُّوحَانِ وَاللَّجَا أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكِبُ الْجَلَا
كَمْ مِنْ قَتَى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطُوبُهُ أَلْقَيْتُهُ بِسَهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
إِنْ الْأُمُورُ إِذَا أَسَدَّتْ سَالِكَهَا قَالِصِرٌ يَفْتِقُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْجَى
لَا تَبَاسَنَ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى قَرْجَا
أَخْلَقَ بِيَدِي الصَّبْرُ أَنْ يَخْطِي بِحَاجَتِهِ وَمُنْذِرُ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
قَدَّرَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخُطُوبِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلْمًا عَنْ غِرَّةٍ رَجَلَا
وَلَا يَتَرَنَّكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ قَرِيْبًا كَانَ بِالْكَفْدِ مُتَرَجَا
٦٨ قَالَ أَلْتَنَّتِي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ التَّزَمِ تَأْتِي التَّزَامُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْكَرَامُ
وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَمَارَهَا وَتَضَرُّ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَامُ
قَالَ آخَرُ:

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَارِجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ عَجَبَةٍ
يَأْمَنُ يَتَذَبُّ مَنْ يَشَاءُ بِمَنْلِهِ
إِلَيَّ أَبُوهُ يَتَرَقَّى وَخَطِيبِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْآيَةِ مُخْلِصًا
وَأَجِدُ لَكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرُ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتُ بِصَالِحٍ
وَإِذَا هَمَمْتُ بِسِيئَةٍ فَأَغْمِضْ لَهُ
وَالضُّعْفُ أَكْرَمُ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا أَخْبَتْهُ
وَأَطْلَبُهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُطِيعُكَ مَا فَوْقَ النَّفْسِ بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرُ ذَوِي الْمَلِكِ أَتَانَهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
وَلَقَدْ تَحَنَّنْتُ إِنْ قُلْتُ تَصِيحَتِي
وَكُتِبَ لَهُ أَيْضًا:

عَلَيْكَ يَبْنَوُ الْوَالِدَيْنِ كُلُّهُمَا
فَلَا تَحْنَنْ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
وَيَرْ ذَوِي الْقُرْبَى وَيَرْ الْأَبَاعِدُ
عَفِيًّا زَكِيًّا مُنْجِرًا لِلْمَوَاعِدِ

وَهَذَا الْأَذَى وَأَخْظَ لِسَانِكَ وَأَتَمِّي
وَنَافِسٍ يَبْذُلُ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
وَعَصْرَ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ
وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءَ مُؤْمِلٍ
وَكُلْ صَدِيقَ نَفْسٍ فِي اللَّهِ وَدَّةً
وَقَالَ أَيْضًا:

قَدِمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرَدُّدًا
وَأَهَمَّ لِلسَّعْرِ الْقَرِيبِ قَائِنُهُ
وَأَجْعَلْ تَرَدُّدَكَ الْخَافَةَ وَالسَّيِّئَ
وَأَقْنَعْ بِمَوْتِكَ فَالْتَمَعْ هُوَ الْغَنَى
وَأَحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّغَامِ فَإِنَّهُمْ
أَهْلُ الْمَوَدَّةِ مَا أَتَلْتَهُمُ الرِّضَا
لَا تُنْفِسْ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَرْمِي
فَكَمَا رَأَاهُ بِسَرِّ غَيْرِكَ صَانِمًا
لَا تَبْدَأَنَّ بِتَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ
فَالْعَمِيْتُ يُخَسِّنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْعَمِيَّ
وَدَعِ الزُّرَّاحَ قَرَبَ لَفْظَةِ مَا زَحَ

فَدَيْتُكَ فِي وَدِّ الْخَلِيلِ الْمُسَاعِدِ
بِهَيْمَةِ مُحَمَّدٍ الْخَلَّاقِ مَا جِدَ
يَصْنُكَ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَسِيدٍ
وَلَا تَكُ فِي النِّعْمَاءِ عَنْهُ بِمُجَاحِدِ
أَذَى الْجَارِ وَأَسْتَمْسِكْ بِعِجْلِ الْحَامِدِ
خُلُودًا فَمَا حَيَّ عَلَيْهَا بِمُجَالِدِ
فَتَادِ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ

وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضْمُهُ قَائِمُهُ
وَإِذَا اسْتَمَالَكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَفْرَةٌ
وَإِذَا اتَّخَذْتَ عَلَى السَّرَائِرِ قَانِصَهَا
لَا تَحْزَنْ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَاطِئُ آبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَأَجْلَهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُزِنِ النَّاسَ إِلَّا تَجْمِيلًا
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ لِلْيَقْدَرِ
يَمِزْ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرٍ مُتَوَكِّنٍ
جَوَادٍ إِذَا اسْتَقْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْأَخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ
وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ :

أَلَمْ يَجْعَ وَأَلْزَمَانُ يُفَرِّقُ
وَلَأَنْ يُبَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَارَبًّا يَنْفَسُكَ أَنْ تُصَادِقَ أَهْمًا
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَفَقْتَ قَائِمًا
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتَشِيرَ قِطْرُ

حَتَّى يَحِلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
 لَا أَقْنَيْتُكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
 مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ قَعَامِلُ
 وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَآشِ وَإِنَّمَا
 لَوْ يَرْزُقُونَ النَّاسَ حَسْبَ عَوْلِهِمْ
 لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
 وَإِذَا الْحَيَاةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقَا
 سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعُرُوسَ مَبْهَتَا
 وَإِذَا أَمْرُوهُ لَسَعَتْهُ أَفْقَى مَرَّةً
 بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَمُوتُوا يَكْذِبُوا
 ٧٤ قَالَ دِرْزُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:

وَلِصُحْبِ وَاللَّيْلِ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
 يَمْلِكُ شَيْئًا لِأَمْرِهِ وَزَعَهُ
 يَا قَوْمُ مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ
 وَيَأْكُلُ الْمَالَ ذَيْرٌ مِنْ جَمْعِهِ
 وَيَلْبَسُ الثَّوبَ غَيْرُ لَا يَسِيهِ
 فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
 وَصَلَ جِبَالُ الْعَمِيدَانِ وَصَلَ الْحَبْلِ وَأَقْصَرَ الْقَرِيبُ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تَعَادِ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرْكُمَ يَوْمًا وَالِدَهُ قَدْ رَفَعَهُ

أَلْبَابُ الْخَافِسِ فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمَ بْنِ صَفِيٍّ) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَمَلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَأَلْفَافِيهَا تَصَانِيفٌ . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ عَصَى بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنْ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِعَصْرَةِ نَفْسِهِ . الْعَلِيمُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى لَيْسٍ . مَنْ لَمْ يَتَيَمَّرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تَأَلُّ . قَدْ يُشْرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ . رَبُّ عِنَقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍ . أَنْتَ مُزِرٌّ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحَّحْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجَهْلُولَ . بِبُذِي مَقْضُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجَمَالَ فَلَيْسَ يَسْتَعِدُّ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الصَّمَاتَيْنِ . عَنْكَ خَيْرٌ مِنْ تَمِيمٍ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَدْرَكَ الْقِيلَ . جَارَ الرَّجُلُ الْجَوَادِ كَجَوَادِ الْبَحْرِ لَا يَخْفَى الْعَطَشُ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّيْمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فِي الْمَقَارَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَتَامُ قَرَانِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجِدَّةَ أَمِنَ الْهَتَارَ (لِلطَّرُوشِيِّ)

نذ من كلام الزمخشري والبستي.

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبُ الشَّمَّ
أَنْكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
الْعَالِيَةِ وَيُوَالِيهِ فِي السَّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
الْطُّفُ رُشُوءٌ مِنْ لَا رُشُوءَ لَهُ . مَنْ تَأَمَّرَ اللَّهُ لَمْ يُكْسَرْ بَيْعُهُ . وَلَمْ
يُخْسَرْ رَيْبُهُ . أَدْوِيَةُ الدُّنْيَا تُقْصَرُ عَنْ نُبُوْحِهَا . وَتُسَيِّمُهَا لَا يَنْبَغِي بِسْمُوحِهَا .
مَنْ دَرَعَ الْإِخْنَ . حَصَدَ الْخَنْ . لَا بُدَّ لِقَرَسٍ مِنْ سَوْطٍ . وَإِنْ كَانَ
بَعِيدَ الْقَوْطِ . سَمِعَ الشَّمْسُ لَا يُخْفَى . وَتَوَدُّ الْحَقُّ لَا يُطْفَى . أَعْمَالُكَ
بَيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُضَيِّحْهَا بَيَّةً . لَا يَجِدُ الْآخِرُ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طَوَى لِمَنْ كَانَتْ حَاطَمَةُ عُمرِهِ كَمَا يَحْتَجِيهِ .
وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاضِلِيهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ التَّقْوَى . وَأَجَلُ مَا لَيْسَتْ
أَلْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْسَبْتَ الْحَسَنَاتُ . كُنْ بِالظُّفْرِ شَفِيحًا بِالذَّنْبِ .
أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
خَيْرٌ مِنْ مَكُونِ الْخَيْدِ . قَالَ الْخِدَارُ لِلْوَيْدِ : لِمَ تَشْفِي . قَالَ : سَلْ
مَنْ يَدْفِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ ظَهَرَ الْحَقُّ . رَبُّنَا كَانَ خَفَّ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

مَا ضَرَبَ بِهِ اللَّيْلُ مِنَ الْحَيَوَانِ وَفِيهِ

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرَ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
يَلْعَنُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
وَالْأَخْنَاشِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّيْلِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَتَجْعَلُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجَبْنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمَضَى مِنْ لَيْثِ غَيْرَيْنِ . وَأَحْذَرُنْ مِنْ غُرَابٍ .
وَأَبْصَرُنْ مِنْ عَقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
قَرْسٍ . وَأَتَوْمُ مِنْ قَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ حَبِّ . وَأَجَبْنُ مِنْ صَفِيرٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سَيْتُورٍ . وَأَسْرِقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عُودٍ . وَأَطْلُمُ مِنْ حَبَّةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَأَكْلَبُ مِنْ فَاحِشَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأَنْوَقِ .
وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوَمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْمَقْوِقِ . (الْصَّافِرُ)
الْصَّنِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأَنْوَقُ طَائِرٌ يُعَالُ
إِنَّهُ يَبْضُ فِي الْمَوَادِّ . وَالزَّبَابَةُ الْقَارَةُ تَسْرِقُ دَوْدَ الْحَوِيرِ . وَفَاحِشَةُ
طَيْرٍ طَائِرٌ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثْلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنْ أَنْفَعٍ .
وَأَجُودُ مِنَ الدَّيْمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْنَحُ مِنَ الْبَحْرِ . وَأَتَوَرُّ مِنَ
النَّهَارِ . وَأَمَضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحَقُّ مِنْ دَجَلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمَيْيَةٍ .
وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدُّهْنَاءِ . وَأَسْرُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضْيَقُ
مِنْ قُرَادٍ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَقَازِقَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
الْوَحْيِ فِي صَمِّ الصَّلَابِ . وَأَخَفُ مِنْ رِشِّ الْحَوَاصِلِ (الابن عبد ربه)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٍ تَجْرِي الْمَثَلُ وَهِيَ لِشِعْرَاءِ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعَ إِلَى الْهَيْجَا يَنْتَبِهُ سِلَاحَ
إِذَا كَانَ غَيْرَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْمَكَايِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقَصَّدْتَ إِلَى الْأَبَابِ تَتَبَّعِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي قَوْلٌ هَجَرْتَنِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنَلِّمْ طَيْبِكَ كُلَّ مَا
 إِنِ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي
 إِذَا لَمْ يُنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ
 أَرَى مَا فِي عَيْنِ عَطَشٍ شَدِيدُ
 إِذَا رُمْتُ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ بَاحِيَا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَزْدِي بِقَدْرِهِ
 إِنْ الْأَهْوَى إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
 إِنْ تَجِدَ عِيَا قَسْدًا خُلِّلَا
 تَعَرَّقَتْ عَيْنِي يَوْمًا قُضِلَتْ لَهَا
 تَرَقَّبْ خِرَ الْخَيْتِ إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا
 ذَكَرْتُ أَهْلِي عَمْرُهُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدَحِ
 أَرَأَيْتَ يَصْدَأُ كَالْحَسَامِ لِمَارِضِ
 سَبْكَنَاهُ وَتَحَبُّهُ لِحِينَا
 عَفَاكَ عَمِي إِنَّمَا عَفَا أَهْلِي
 عَلَامَةُ أَنَّهُ الْوَلِيُّ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ
 وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَانْتَ صَدِيقُ
 يَسْأَلُكَ أَهْلُ الدَّوَاءِ عَنِ السُّمِّ
 قَصِّ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوَّلَاتِ
 فَإِنَّ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فَضُولُ
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُدِّ
 فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِي لَهُ الْوُدَّ اغْضِبْهُ
 إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَهْمِي مِنَ الْأَمَّا
 فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَقَاهُ
 وَصَدَقَ مَا يَتَّسَدُّهُ مِنْ تَوَهُمِ
 جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 يَارَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّبَّ وَالضَّبَا
 وَلَا تَحْشَ مِنْ سُوءِ إِذَا أَنْتَ لَا تُشِي
 وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَلَاةَ الْإِطْرِ
 مَا قَاتَهُ وَفَضُولُ الْعَيْشِ أَشْمَالُ
 وَإِنْ غَدَا أَقْوَمُ مِنْ قَدَحِ
 يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَلُّهُ التَّذَكُّيرُ
 فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَرِ الْحَمِيدِ
 إِذَا عَفَّ مِنَ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أَمْرٍ وَلَا آبِ

خَالَ قَمُ قُلْتُ رَجُلِي لَا تَطَاوَعَنِي
 وَلَا تَجْعَلْ الْحَسَنَ الدَّلِيلَ عَلَى أَلْفَتِي
 فَأَلْدُرْ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُعْتَنِي
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدَقَ وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُجِبُنَّ مَضِيًّا حَسَنُ بَرٍّ
 لَا تَرَجُّ سَيِّئًا خَالِصًا نَفْسُهُ
 لَا تَتَرَنَّكَ هَذِهِ الْأَوَّجَةُ الْفَرُّ
 لَا تَحْسَبِ الْجَدْرَ طَلَبًا أَنْتَ آكُلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَجْهَرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدُهُ
 لَمَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
 مَا لِقَوِي عَنْ ضَعِيفٍ غَنَى
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْقَابِ إِنْ زَارَتْ
 لَا يَجْعَلُ الْجَدُّ مَنْ تَلَوَّهَ الرَّبُّ
 الْمَرْءُ يَحْيَا بِإِسَاقٍ وَلَا عَصْدٍ
 تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَّلُنَا
 وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
 وَلَا تَقْرُبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

فَقَالَ خَذُ قُلْتُ كَيْفِي لَا تَوَايِدُنِي
 فَمَا كُلُّ مَضْمُولٍ الْحَدِيدِ يَأْتِي
 مَا حَطَّ قَيْمَتُهُ هَوَانُ الْعَائِصِ
 فَمَا أَحْتَالُكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
 وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودُهُ الْكَفَنُ
 فَأَلْقَيْتُ لَا يَخْلُو مِنَ النَّفْسِ
 فَيَارَبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَلْمَحَ الْجَدُّ حَتَّى تَلْمَحَ الصَّيْرَ
 حَتَّى يَرَأَى عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمَ
 وَلَكِنَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثَّلْبُ
 وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعِلَالِ
 أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مَحْمُودٌ
 لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَجَّتْ
 وَلَا يَتَالُ الْعَلَى مِنْ طَبْعَةِ الْغَضَبِ
 وَلَا يَعْيشُ بِإِلْقَابٍ وَلَا آدَبِ
 تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَمَا قَالُوا
 كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِزْمُ الْقَمَرِ
 حَلَاوَتُهُ تَقْنَى وَيَتَقَى مَرِيدُهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْجِمَارُ ثِيَابَ خَزٍ
وَإِذَا أَقْرَعْتَ إِلَى الدَّخَانِ لَمْ تَجِدْ
وَلَوْ أَنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُعْرِضًا
وَمَا أَقْبَحَ التَّغْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَلَشَتَّتُ الْأَعْدَاءَ فِي آرَائِهِمْ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُوَدُّ إِلَى بِلَى
وَإِذَا كَانَتْ الثُّغُوسُ كِبَارًا
وَمَا ذَا أَرِي عِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ فَارِسٍ
وَفِي السَّمَاءِ مُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَنَادُ إِنْ نَفَخْتَ بِهَا أَصْنَافَتْ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَا حَيَا
وَيُمْكِنُ وَصْلُ الْجَلِيلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
وَعَيْنُ الرِّمَاءِ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَإِذَا كَانَ مَتْنَعِي الْعُمَرُ مَوْتًا
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
وَمَنْ بَشَّشَتْ فِي الْمَنَاوَةِ كَهْفُهُ
يَهْوَى النَّشَاءَ مُبِيرٌ وَمَقْصِرٌ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حَسَارٍ
ذُخْرًا يَكُونُ كَهَالِجِ الْأَعْمَالِ
وَتَحِبُّ أَنْ أَبْصُرَ فِي عَيْنِي الْقَذَى
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَالِمٌ
سَبَبُ لُجْجِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤْمَرُ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
تَبَيَّنَ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامٍ نَائِمٍ
وَلَا مِثْلَ حُصْنِ الصَّبْرِ جَنَّةٌ لَا يَسِرُ
وَلَيْسَ يَكْشِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رِمَادٍ
كَأَخْطِ فِي الْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُذَّةُ الرِّبْطِ
كَأَنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تُبْدِي الْأَسَاوِيَا
فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
يَا كَبْرَمَنَّهُ هُوَ لَا شَكَّ هَالِكُ
حُبُّ النَّشَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

الْبَابُ السَّادِسُ
فِي أَمْثَالٍ عَنِ السَّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بَازٍ وَدَيْكٌ تَسَاظَرَا . فَقَالَ الْبَازِيُّ لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرِفُ أَقْلًا
وَقَاءَ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُؤَخِّدُ بَيْضَةً وَتَحْمِلُكَ
أَهْلُكَ وَتَخْرِجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ قُطْعُمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَثُرَتْ
صِرَتْ لَا يَدُ تُؤْمِنُكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرِدَتْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحَتْ .
وَعَلَوَتْ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِتِينَ طَرَتْ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأَوْخِذُ مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبُرَ سِتِّي فَتُخَاطَبُ عَيْنِي . وَأَطْعَمُ الشَّيْءَ
الْبَسِيرَ وَأَسَاهِرُ فَأَمْنُ مِنَ النَّوْمِ وَأُنْسَى الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ . ثُمَّ أَطْلُقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَخِذِي فَأُطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَأُجِيبُهُ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكِ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْرَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفْوَةِ النَّارِ
مَا عُدْتُ لَهُمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّعَافِدَ تَمْلُؤُهُ دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ
حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ (لِهَا الدِّين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ أُجْمِعَ بُرْغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبُرْغُوثِ :
إِنِّي لَا أُحِبُّ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْصَحُ بِلِسَانًا .
وَأَرْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا هَذَا أَضْرِبُ

الْجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْجُوعُ . وَلَا أَرَأَى عَلِيَّةَ جَهْدَةٍ . مُبْعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَائِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبُرْعَوْتُ : أَنْتَ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْطِنَةٌ . وَعَلَى رُؤُسِهِمْ مُدْنِدَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي . بِسَبَبِ سَكُونِي

اللبوة والغزال والقرود

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبْوَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِنَابَةِ . وَبِجَوَارِهَا غَزَالٌ وَقِرْدٌ قَدْ
أَلِهَتْ جَوَارِهَا وَاسْتَحْصَلَتْ عَشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ اللَّبْوَةِ شَيْلٌ صَنِيرٌ
قَدْ شَفِنَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِجَارِهَا
الْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِفَارٌ . وَكَانَتِ اللَّبْوَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَنِي قُوَّتًا
لِشَيْلِهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِفَارِ الْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهُنَّ يَلْعَنُ بَابَ خُجْرِهِنَّ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاقتِصَاصِ
وَاحِدٍ فَحِيلَةَ قُوَّتِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَكَسَّرَتْ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَعَتْ
عَنْ هَذَا الْغَزَمِ لِحُرْمَةِ الْجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجِدُ مِنَ
الْقُوَّةِ وَالْعِظَمِ . وَأَكْثَدَ ذَلِكَ ضَرْفَ الْغَزَالِ وَاسْتِلاَمَهُ لِأَمْرِ اللَّبْوَةِ .
فَأَخَذَتْ ظِلْيَا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحَزْنَ وَالْقَلْقُ
وَلَمْ يَتَذَكَّرْ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ الْقِرْدِ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَمَّا تَقْلَعُ عَنْ هَذَا وَتُحْنُ لَا تَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَمَّا أَنْ
أَذْكُرَهَا عَاقِبَةَ الْعُدْوَانِ وَحُرْمَةِ الْخَيْرَانِ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَتْ ظِلْيَا
ثَانِيًا فَلَقِيَهَا الْقِرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاها وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا أَسْنُ

عَلَيْكَ عَاقِبَةُ النَّبِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . قَالَتْ لَهُ : وَهَلْ أَقْتَاتِي لِأَوْلَادِ
الْزَّالِ . إِنْ كَا قَتَاتِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكُهُ قَوْفِي وَقَدْ
سَافَهُ الْقَدْرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . قَالَتْ لَهَا الْقَرْدُ : هَكَذَا أَغْتَرَّ الْقَيْلُ بِعَظِيمِ
جُتَيْهِ . وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَجِثَّ عَنْ حُفْمِهِ بِظِلْفِهِ . وَأَوْبَعَهُ النَّبِيُّ رَعْمَ أَنْفِهِ .
هَآلَتِ اللَّبْوَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقَرْدُ : ذَكَّرُوا أَنَّ قَدْرَ بَرَّةٍ
كَانَ لَهَا عَشْرُ قَبَاصَتٍ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فِيلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَرْدُدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَرُفُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشْرِ الْقُبْرَةِ .
فَقَامِي ذَاتَ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ الْمَشْرِ وَوِطْهُ وَهَشَمَ
رُكْنَهُ . وَأَتْلَفَ نَيْضَهَا وَأَهْلَكَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ الْقُبْرَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِشَيْهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعَلِمَتْ أَنَّهُ مِنْ الْقَيْلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
رَأْسِهِ بِأَكْبَةٍ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتُ عُنِي
وَهَشَمْتَ نَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَانِي فِي جَوَارِكَ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
أَسْتَضْمَأَنَا بِحَالِي وَقَلَّةَ مَبَالِغِي بِأَمْرِي . قَالَ الْقَيْلُ : هُوَ كَذَلِكَ
فَأَنْصَرَفَتِ الْقُبْرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَّتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنْ الْقَيْلِ
هَآلَتْ لَهَا الطُّيُورُ . وَمَا عَسَانَا أَنْ نَنْلِغَ مِنَ الْقَيْلِ وَنَحْنُ طُيُورُ . هَآلَتْ
لِلْعَمَاقِ وَالْغُرَبَانِ : إِنْ أُرِيدَ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَمُوتُوا
عَيْتِهِ . فَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالَ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَلَجَأَ بِهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضَى إِلَى الْقَيْلِ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَادَبُونَ بَيْنَهُمْ وَيَتَمَرُّونَ عَلَيْهِ إِلَى
أَنْ هَوَّوْهَا وَنَبِيَّ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقَيْلِ . قَالَتْ
 الضَّفَادِعُ : مَا جِئْتَنَا مَعَ الْقَيْلِ وَلَسْنَا كُفُوهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الضَّبَّةُ : أَحِبُّ مَنَكُنَّ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ بِالتَّحَرُّبِ مِنْهُ فَتَمْنَعْنَ
 تَحِيَّجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ لَمْ يَشْكُ أَنَّ بِهَا مَاءً فَيَكِبُّ نَفْسُهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الضَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْقَيْلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْوَهْدَةِ
 قَوَّهَمَ أَنَّ بِهَا مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُحْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مُكْبًا عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الضَّبَّةُ تَرْفُفٌ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرِبُ بَعُوهُ الصَّائِلُ عَلَى ضَيْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 حِيلَتِي مَعَ صَغِيرُجَّتِي . وَبِلَادَةٍ فَهَيْكٌ مَعَ كَبِيرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَاقِبَةَ النَّبِيِّ وَالْعُدْوَانِ . وَمُسَالَمَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْقَيْلُ مَسْلَكًا لِحَوَائِجِهَا .
 وَلَا طَرِيقًا لِخَطَايَاهَا . فَلَمَّا أَتَتْهُ الْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا صَرَبَهُ لِلْبُؤْسَةِ مِنْ
 الْمَلِكِ أَوْسَعَتْهُ أَتَهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْقِرَالَ انْتَقَلَتْ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَنِي لَهَا شَجَرًا آخَرَ . وَإِنَّ اللَّبْوَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبَاهَهَا . فَرَى بِهِ قَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جُلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ اللَّبْوَةُ وَرَأَتْ شِبَاهَهَا
 مَمْتُولًا سَأَلَتْهَا رَأَتْ أَمْرًا عَظِيمًا . فَأَمْتَلَّتْ عِظًا وَتَحَتَّ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دَهَلُكَ . فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَفَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَصْنِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكَ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَلَيْكَ. فَكَمَا يَدِينُ الْقَتْلَى يُدَانُ. وَحِرَاءُ الدَّهْرِ بَيْرَانُ.
وَمَنْ يَنْدَرِ حَبَا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرْ بِذَرِهِ يَكُونُ الثَّمَرُ. وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
مِنْ أَمْنٍ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ. وَإِنْ حَمَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَجْزِيَ مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ. وَأَنْ تَنْدَرِيَ لَهُ بِالرَّضَا وَالصَّبْرِ. فَهَاتِ الْبُؤَةَ: كَيْفَ لَا
أَجْزِعُ وَهُوَ قُرَّةُ الدِّينِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزُهَّةُ الْفِكْرِ. وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
لِي بَعْدَهُ. فَهَاتِ لَهَا الْفَرْدُ: أَيُّهَا الْبُؤَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُعْدِيكَ
وَيَمْشِيكَ. قَالَتْ: لِحُومِ الْوُحُوشِ. قَالَ الْفَرْدُ: أَمَا كَانَ لِنَاكِ
الْوُحُوشِ الَّتِي كُنْتَ تَأْكُلِيهَا آبَاءُ وَأَهْلٌ. قَالَتْ بَلَى. قَالَ الْفَرْدُ:
فَمَا بَالُكَ لَا تَسْمَعُ لِنَاكِ الْأَبَاءِ وَلَا الْأَهْلِ صِيَاحًا وَصُرَاخًا كَمَا تَسْمَعُ
مِنْكَ وَلَقَدْ أُرِّلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرُ جَهْلِكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَعَكُّرِكَ فِيهَا.
وَقَدْ تَصَحَّحْتَ بَيْنَ حَرَبٍ حَقَّ الْجَوَارِ. وَأَلْحَقْتَ بِنَفْسِكَ الْعَارَ.
وَجَاوَزْتَ بِمَوْتِكَ حَدَّ الْأَنْصَافِ. وَسَطَوْتَ عَلَى الظُّلَمَاءِ الضَّعَافِ.
فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ خُلَاقَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ. قَالَتْ الْبُؤَةُ: وَجَدْتُهُ
مُرًّا مُلْدَقًا وَلَمْ أَعْلَمْ الْبُؤَةَ أَنَّ ذَلِكَ يَمَّا كَسَبْتَ يَدَهَا مِنْ ظُلْمِ
الْوُحُوشِ رَجَمْتَ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمْتَ نَفْسَهَا بِاللُّومِ. وَصَارَتْ تَقْنَعُ
بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الْقُلُوبَاتِ. (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَنْتَمِعُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِتْمَاعِ بِالْخَاضِرِ
٨٢ حِكْمِي أَنَّ سَاعَةَ قَدِيمَةٍ كَانَتْ مَرْكُورَةً فِي مَطْبَعِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَنْدُو مِنْهَا أَذَى بَبَبٍ يُكَدِّرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَعَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَقِفَّ أَصْحَابُ الْحُلِّ . فَتَمَيَّرَ مَنْظَرٌ وَجْهًا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدَهَشَ .
وَبَذَلَتْ الْقَارِبُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَّى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأَوَّلَى .
وَعَدَّتْ الدَّوَالِبُ عِدَّةَ الْحَرَكَةِ لِأَنَّهَا مِنْ التَّحَبُّبِ . وَأَصْبَحَ التَّمَلُّقُ
وَأَقْبَلَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَأَتْ كُلُّ الْوَلَدِ أَنَّ تَحِيلَ الذَّنْبِ عَلَى اخْتِيارِهَا
وَطَبِيقِ الْوَجْهِ يُبْحَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتْ الدَّوَالِبُ
وَالْقَارِبُ تَبْرِيءُ نَفْسَهَا بِالْبَيْتَيْنِ إِذَا بَصُوتُ خَفِي سَمِعَ مِنَ الدَّقَاقِ
بِاسْتِفْلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَعُ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَأَبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ ذَلِكَ لِسُكُونِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلَيْتُ مِنَ الدَّقِ . فَلَمَّا تَبَيَّنَتِ السَّاعَةُ
مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَا لَكَ مِنْ سِلَاقِ ذِي كَلَلٍ . فَلَجَأَ بِهِ الدَّقَاقُ : لَا تَأْسَ بِذَلِكَ بِأَسَدِي
الْوَجْهِ : لَا حَرَمَ أَنَّكَ تُرَضِّيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذَا قَدْ رَفَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَسَلًا
وَتَنْسِبُهُ إِلَى آتَوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْقِيقُ فِي وَجْهِ الْفُلْسُ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُؤْيَا مَا يَخْدُثُ فِي الطَّلُوعِ . أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي فِي مَوْضِعِ صَنْعِكَ
مُظْلِمٌ كَهَذَا . وَتَحْيِيزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ عَمَلٍ وَدَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَافَةٌ تَنْظُرُ
 مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلِمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي
 طَافَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى التَّطَلُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ
 طَرَفَةً عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَكْتُ هَذَا الْحَالَ . وَإِنْ أَسْتَرِدَّتْنِي شَرَحًا .
 فَإِنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصَّخْرُ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي
 صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِيَّةَ الْبَرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوَحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعٍ
 وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَظَنَمْتُ ذَلِكَ عَلَى . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقَ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ
 أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقَ . فَبَادَرَ عَرَبُ الدَّقَاقِ إِلَى الْعُدَّةِ وَقَالَ
 بَدِيحًا : إِنَّ عِدَّةَ الْبَرَارِ الَّتِي يَتَّبِعِي لَكَ فِيهَا الْحُجُبُ وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ
 الْمُدَّةِ الْوَحِيدَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَهًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ مَرَّةً . فَقَالَ
 الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . هَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُحَالُ
 أَنْ يُجَرَّدَ التَّفَكُّرُ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى
 أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَاقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ
 وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنَ عَظْمِي وَعَزَمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ .
 وَبَعْدَ تَحِيلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ
 فِي أَنْهَاءِ هَذِهِ الْمَكَالَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ لَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ
 بِحِلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ أَلَمْ يَزِدْنِي لَهِي حُجْبٌ عَظِيمٌ مِنْ
 أَنْعَالِ بَشَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ إِفْضَلُ هَذِهِ الْوَسَاوِسُ بَشَّةً . نَعَمْ
 إِنَّكَ وَلَبْتَ فِي عَمَلِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَمِلْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنْ

التَّمَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحْدَهُ يُوجِبُ الْمَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَأَتَسَّسُ مِنْكَ أَنَّ تُسَدِّي إِلَيَّ مَعْرُوفَكَ بِأَنْ تَلْقَى
 الْآنَ بَيْتَ دَقَّاتٍ لِيُفْخَجَ مِصْدَاقُ مَا قُلْتَ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ هَذَا وَدَقَّ
 بَيْتَ دَقَّاتٍ حَرَامًا عَلَى عَادَتِهِ . فَهَالَ لَهُ الْوَجْهُ حَيْثُ نَاشِدَكَ اللَّهُ :
 هَلْ أَبْدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْآنَ نَصَابًا وَتَعَبًا . فَهَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنْ
 مَلَّيْتُ وَتَصَبَّرْتُ لَمْ يَلْشَأَنَّ بَيْتَ دَقَّاتٍ . وَلَا عَنْ مِثْلَيْنِ دَقَّةٌ . بَلْ عَنْ
 أَلُوفٍ وَأَلُوفٍ أَلُوفٍ . فَهَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يَدْبِغِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِي . وَهُوَ أَنَّكَ حِينَ تُفَكِّرُ فِي هَذِهِ الْأَلُوفِ
 بِخُطَّةٍ وَاحِدَةٍ . فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةُ دَقَّةٍ
 وَاحِدَةٍ لَا غَيْرُ . ثُمَّ مِمَّا كَرِهَ مِنْ الدَّقِّ يَفْشَحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجَلٍ
 لِإِقَامِهِ فَهَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَالٌ فِيَّ وَأَمَّا إِلَيَّ .
 فَهَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَعُودَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمُنَزِّلِ مُسْتَرْفِقِينَ فِي التَّوَمُّرِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَنْقَالَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْحَقِيقَةِ مَا بَرَحَتْ
 تُنْفِرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَتْ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحَيْثُ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوَرَانِ . وَطَفِقَتْ الْقَعَارِبُ تَسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْلَعِ الْمُنْتَلَقِ مِنْ كَوْفٍ فِيهِ أَمْتَلَأَ الْوَجْهُ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى تَسْبِيهُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَلَمَّا صَاحَبُ الْمُنَزِّلِ
 فَلَمَّا رَلَّ إِلَى الْمَطْلَعِ لِقَطْرِ فِيهِ . فَظَلَّ إِلَى السَّاعَةِ الْمَرْكُوزَةِ فَهَالَ : إِنَّ

السَّاعَةِ الَّتِي يَجِيئُ تَأْخَرْتُ فِي السَّيْرِ لَيْلًا يَنْحَوُّ ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً

قَدْ وَغِيلِم

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا طَفِرَ بِهَا أَصْلَحَهَا

٨٣ رَعِمُوا أَنْ فَرَدًا يُقَالُ لَهُ مَا هُرْ كَانَ مَلِكُ الْقَرْدَةِ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ
وَهَرِمَ . قَوَّبَ عَلَيْهِ فَرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكَةِ فَتَلَبَّ عَلَيْهِ وَأَخَذَ
مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَاهُ إِلَى السَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةً
تَيْنِ فَارْتَوَى إِلَيْهَا وَاتَّخَذَهَا لَهُ مَقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ
ثَمَرِهَا . إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِنَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِنَّمَا . فَعَمِلَ
بِأَكْلِ وَبَرِي فِي الْمَاءِ فَطَرَبَهُ ذَلِكَ فَكَثُرَ مِنْ تَطْلُبِ بَيْحِ التِّينِ فِيهِ . وَكَانَ
ثُمَّ غِيلِمُ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِنَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقَرْدَ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَعَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَأَلْفَ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغِيلِمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَخَرَجَتْ
عَلَيْهِ وَشَكَّتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضُ
لَهُ عَارِضٌ سَوَاءٌ فَأَعْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنْ زَوْجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلْفَ
فَرْدًا وَأَلْفَةَ الْقَرْدِ . فَهُوَ مُوَاكَلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَبُحَالِسُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْغِيلِمَ أَنْطَلَقَ
بَعْدَ مَدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ صَعُومَةً . فَقَالَ لَهَا :
مَا لِي أَرَاكِ هَكَذَا فَلَمَّا جَاءَتْهُمَا : إِنْ قَرَيْتَكَ مَرِيضَةً مُسْكِنَةً . وَقَدْ
وَصَفَتْ لَهَا الْأَطْبَاءُ قَلْبَ فَرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ
عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ فَرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأَشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أَنْطَلِقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْفَرْدُ: يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي. قَالَ
 لَهُ الْعَلِيمُ: مَا يُبْطِئُنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي. كَيْفَ أَجَازِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُتِمَّ هَذَا الْإِحْسَانُ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي.
 فَأَتَى سَاكِنَ فِي جَمْرَةِ طَيْبَةِ الْقَاهِكَةِ كَثِيرَةَ الْأَثْمَارِ. فَأَرْكَبَ ظَهْرِي
 لِأَسْبَحَ بِكَ. فَرَفَعَ الْفَرْدُ فِي ذَلِكَ وَتَرَّلَ فَأَمْتَعَى مَطَا الْعَلِيمِ. حَتَّى
 إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ فَجْأٌ مَا أَصْحَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقَدْرِ فَتَكَبَّنَ
 رَأْسَهُ. فَقَالَ لَهُ الْفَرْدُ: مَا لِي أَرَاكَ مُتَمًا. فَقَالَ الْعَلِيمُ: إِنَّمَا هِيَ
 لِأَيِّ ذِكْرَتٍ أَنْ قَرِيبَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ. وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَكَ مِنْ الْأَكْرَامِ وَالْإِلَاطَافِ. قَالَ الْفَرْدُ: إِنْ الَّذِي
 اعْتَمَدَ مِنْ عَرَضِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْنَةُ التَّكْلِيفِ. قَالَ الْعَلِيمُ:
 أَجَلٌ. وَمَضَى بِالْفَرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً. فَسَاءَ ظَنُّ الْفَرْدِ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ: مَا أَخْبَسَ الْعَلِيمُ وَبَطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ. وَلَسَبْتُ أَمِنًا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَبَيَّرَ عَلَيَّ وَحَالَ عَنْ مَوْدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا. فَأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفَ
 وَأَسْرَعَ تَعَلُّبًا مِنْ الْقَلْبِ. وَيُقَالُ: يَدْبِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَقُولَ عَنْ الْإِنْسَانِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ. وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ. وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 قَلْبُ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رَيْبَةً. فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ وَيَتَّقِ
 ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ. فَإِنْ كَانَ مَا يُظَنُّ حَقًّا ظَهَرَ بِأَسْلَامِهِ.
 وَإِنْ كَانَ بِاطِلًا ظَهَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَصُرْهُ. ثُمَّ قَالَ لِلْعَلِيمِ: مَا الَّذِي

يَحْسَبُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ هُنَا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنَزَلِي فَلَا تُفَنِّي أَمْرِي كَمَا أُجِيبُ لِأَنَّ زَوْجِي
مَرِيضَةٌ . قَالَ الْفَرْدُ : لَأَتَهُمْ . فَإِنَّ الْهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
أَتَيْسُ مَا يُصْلِحُ زَوْجَكَ مِنَ الْأَذْوِيَةِ وَالْأَعْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
يَذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ النَّبِيُّ : صَدَقَتْ . وَإِنَّمَا قَالَتْ الْأَطْبَاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
لَهَا إِلَّا قَلْبُ فَرْدٍ . فَقَالَ الْفَرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءَ نَأَى لَهْدُ أَدْرَكَنِي الْخُرْصُ
وَالشَّرْدُ عَلَى كِبَرِي سِنِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورِطٍ . وَلَهْدُ صَدَقَ الَّذِي
قَالَ : يَعْيشُ أَلْقَانِعُ الرَّاحِي مُسْتَرْجِحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْخُرْصِ وَالشَّرْدِ
يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَبَرٍّ وَتَصَبُّ . وَإِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ الْآنَ إِلَى عَمَلِي فِي
الْتَّاسِ الْخُرْجِ بِمَا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعَلِّدَنِي
حَتَّى كُنْتُ أَجْمَلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَالِيرَ الْفَرْدَةِ إِذَا خَرَجَ
أَحَدُنَا لِرِيَاةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَفَ قَلْبُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لَتَنْظُرَ
إِذَا نَظَرَ تَأَلَّى حُرْمَ الْمَزُورِ وَمَا قَلْبُهُ بَامْعَنًا . قَالَ النَّبِيُّ : وَأَيْنَ قَلْبِكَ
الْآنَ . قَالَ : خَلَفَتْهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَأَرْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
بِهِ . فَصَرَحَ النَّبِيُّ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْفَرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَلَبَ
السَّاحِلَ وَبَّ الْفَرْدُ عَنْ ظَهْرِهُ فَأَرَاتِي الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى النَّبِيِّ
نَادَاهُ يَا خَلِيلِي أَجْمَلُ قَلْبِكَ وَأَرْزُلُ هَدَعْتَنِي . فَقَالَ الْفَرْدُ : هِيَاتِ
وَلَيْكَ أَنْ حَلَّتْ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَاسْتَدْرَكْتُ

فَارْطَأْمَرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُغْسِدُهُ الْجَلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعَلْمُ . قَالَ
الْعَلْمُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذَبَ
ذَنْبًا لَمْ يَسْتَعِجْ أَنْ يُؤَذَّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ الْفَخْلُصُ مِنْهَا .
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْتَرِ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَتَمَدَّدُ . هَذَا
مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كَلِيلُهُ وَدَمَنُهُ)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ قَتَانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَتَارُوا ضَبْعَةً فَفَقَرَتْ
وَمَرَّتْ فَأَتَبَعُوهَا . فَجَاءَتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسِّبْ مَسْلُولا .
هَذَا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَتَمَنَّاهُ مِنْ صَيْدِنَا . قَالَ : إِنِّي اسْتَجَارْتُ فِي
فَحْلٍ لَوَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَظَنَرُ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
الْأَبْنُ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَعِوُفًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَصَلَتْ حَالَهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . قَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ :
وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَرْوُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ . يَلَاقِي الَّذِي لَا قِيَّ حُجْرٍ أَمْ عَامِي
أَعْدَلُ لَهَا لَأَا اسْتَجَارَتْ بِفَرْيِهِ . مَعَ الْأَمْنِ الْبَانِ الْفَلَّاحِ الدَّرَارِي
فَأَشْبَهَا حَتَّى إِذَا مَاءٌ كُنْتُ قَرْنَهُ بِأَنْيَابٍ لَهَا وَأُظْفَارِ
فَقُلْ لِدَوِي الْمَرْوُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوجِّهُ مَرْوُفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وفُراب وابن آوى ورجل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُبَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ
٨٥ رَعُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ: ذُبُّ وَغُرَابٌ وَابْنُ أَوَى. وَإِنْ رَعَا مَرُّوًا بِذَلِكَ
الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَلٌ. فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ قَدْ خَلَّ ثَلَاثُ الْأَجْمَةِ حَتَّى أَتَتْهُ
إِلَى الْأَسَدِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ: مِنْ مَوْضِعٍ
كَذَا. قَالَ: فَمَا حَاجَتُكَ. قَالَ: مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ. قَالَ: تُسَمِّى
عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخَصْبِ. فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ الصَّيْدَ فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا. فَاتَّلَهُ
فَتَأَلَّشَ دَيْدًا وَأَقْلَبَتْ مِنْهُ مُتَمَلِّيًا مُتَحَنِّنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ. وَقَدْ
أَنْشَبَ الْفَيْلُ فِيهِ أُنْيَابَهُ. فَلَمْ يَكُنْ يَصِلُ إِلَى مَكَامِهِ. حَتَّى رَزَحَ لَا
يَسْتَطِيعُ جَرَّ أَكَاوِرِهِمْ طَلَبَ الصَّيْدَ. فَلَبِثَ الذَّبُّ وَالْغُرَابُ وَابْنُ أَوَى
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا. لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
وَقَوَاضِيهِ. فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ. وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَقَالَ: لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَحْجَيْتُمْ إِلَى أَنَا كَأُونَ. فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا تَهْمُنَا
أَنْفُسُا. لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا رَأَاهُ فَلَيْتَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلَحُ بِهِ. قَالَ
الْأَسَدُ: مَا أَشْكُ فِي صَحِيحَتِكُمْ. وَلَكِنْ أَنْتَبِهُوا لِدَعَاكُمْ فَهَيِّبُونَ
صَيْدًا فَأَكْسِبُكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ. فَخَرَجَ الذَّبُّ وَالْغُرَابُ وَابْنُ أَوَى
مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ. فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً وَأَنْتَمِرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا: مَا لَنَا وَلِهَذَا
الْأَكْلُ الشَّبُّ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِن شَأْنِنَا. وَلَا رَأْيُهُ مِن رَأْيِنَا.
الْأَرْضُ لِلْأَسَدِ فَمَا كَأَهُ وَطَعَمْنَا مِنْ لَحْمِهِ. قَالَ ابْنُ أَوَى: هَذَا بَيِّنَةٌ
لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ. لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ.

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَتُفَكِّمُ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُضِرُّ .
 وَنَحْنُ فَلَا نَسْعَى لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقَنَا لِرَأْيِ
 وَاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقَنَا الْمَلِكُ فَتَحْنُ لَهُ مَحَبُّونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَلِكَ قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلِ الْعُشْبِ الْمَتَرِّغِ بَيْنَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ
 مَنَافَةٍ لِنَا مَنَهُ وَلَا رَدِّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُعِيبُ صِلَتَهُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ . غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَعْجَزَ مَعَالِكَ وَأَبْذَلُكَ مِنْ
 الْوَقْفَاءِ وَالرَّحِمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيَ عَلَى يَدَيْهِ الْمُنَالِقَةِ
 وَتَسْتَمْلِكَنِي بِهَذَا الْخَطَابِ . مِمَّا عَدَلْتُ أَيْ قَدْ آمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ دِمَتِي . أَوْ لَمْ يَلْنُكَ أَنَّهُ لَمْ يَصْدَقْ مُصَدِّقُ بَصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِمَّنْ آمَنَ نَفْسًا خَائِفًا وَحَسَنَ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ آمَنْتَهُ وَلَسْتُ
 بِالْقَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ أَنْتُمْ
 الْوَالِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْيَتَمِ . وَأَهْلُ الْيَتَمِ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ تَرَكْتُ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةَ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ دِمَتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيَهُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَالْمَلِكُ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَطَرَفٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخَطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْثَلِ الْجَمَلِ : عَلَى أَنْ يَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

قَدَّرُ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتَمَامًا مِنْ أَمْرِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
 وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيَرُدُّهُ الْآخَرَانِ وَيُسْقِيهِ رَأْيَهُ
 وَيَبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَصْلِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
 عَنَّا فَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الثُّرَابُ : قَدْ اخْتِجَتْ أَيْهَا
 الْمَلِكُ إِلَى مَا يَقُولُكَ . وَتَحْنُ أَحَقُّ أَنْ تَهْبِ أَنْفَسَا لَكَ فَأَنَا بِكَ نَيْشُرُ .
 فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُ بَقَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرٍ .
 فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدِ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذَّبُّ وَأَبْنُ آوَى
 أَنْ أَسْكُتَ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَصْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
 آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشَيْعُ الْمَلِكِ . فَلْيَاكُلْنِي هَذَا رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
 عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذَّبُّ وَالثُّرَابُ يَقُولُهُمَا لَهُ إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ
 الذَّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسِي مِنِّي
 وَإِذَا خَلَصَ طَوِيَّةٌ . فَأَعْرَضَهُ الثُّرَابُ وَأَبْنُ آوَى وَقَالُوا قَدْ مَقَالَتْ
 الْأَطْيَابُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَاكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
 إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ اتَّسَمُوا لَهُ عَذْرًا كَمَا اتَّسَمَ بَعْضُهُمْ
 لِبَعْضٍ قَبْلَ سَلَامٍ وَرَضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي لِلْمَلِكِ شَيْعٌ
 وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طِيبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمِ
 أَصْحَابَهُ وَحَشَمَهُ . هَذَا سَمِعْتُ بِذَلِكَ طَوِيَّةً وَرَضًا . فَقَالَ الذَّبُّ
 وَالثُّرَابُ وَأَبْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَّقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
 لَبَّاهُمْ وَتَبَوَّأَ عَلَيْهِ وَزَفَّوهُ

(كَلِيلُ هُوْدَمَنْه)

الجدى السالم والذئب التام

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْضِ الْفَيْضِ لِذئْبٍ وَجَارٌ. وَأَهْلٌ وَجَارٌ.
فَحَرَجَ يَوْمًا طَلَبَ صَيْدٍ. وَنَصَبَ لِدَلِكِ شِبَاكَ الْكَيْدِ. وَصَارَ يَحْصُلُ
وَصَوْلٌ. وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْصُولٍ. فَأَثَرُ فِيهِ الْجُوعُ وَالْثَوْبُ. وَأَذْنَتَا
الشَّمْسِ لِلرُّوبِ. فَصَادَفَ بَعْضَ الرِّعَايَانِ. يَسُوقُ قُطْعًا مِنَ الضَّانِ.
وَفِيهَا بَعْضُ جِدْيَانِ. فَهَمَّ عَلَيْهَا لِشِدَّةِ الْجُوعِ بِالْعُجُومِ. ثُمَّ أَذْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّأْيِ الْوُجُومِ. لِأَنَّهُ كَانَ مُسَاقَطًا. وَمِنَ الذَّئْبِ عَلَى مَا شِئَتْ
مُتَحَفِّظًا. فَجَعَلَ يَرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ. وَالْخَرَصُ وَالشَّرُّ يَزِيدُ. وَالرَّأْيُ
سَائِقٌ. وَلِلذَّئْبِ عَائِقٌ. فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ عَنِّي. فَخَلَّ عَنْهُ الرَّأْيُ الَّذِي.
فَأَذْرَكَهُ الذَّئْبُ الشَّيْطُ. وَأَقْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ. وَبَشَرَ نَفْسَهُ بِالظُّفْرِ.
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَاسْتَبَشَرَ. فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيُ الذَّئْبَ. عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
يَوْمَ عَصِيبٍ. وَظَهَرَ قَصَابُ الْبَلَاءِ مِنْ قُصْبِهِ بِأَوْقَرِ صَيْبٍ. فَتَنَادَرَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ. وَاسْتَحْضَرَ حِيلَةَ جَانِبِهِ وَحَدْسَهُ. وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ مِنْ
تِلْكَ الْوَرُطَةِ الْوَيْلَةَ. إِلَّا مُنِيتُ الْخِدَاعَ وَالْحِيلَةَ. وَأَذْكُرُهُ مُذَكِّرَ الْخَطِيرِ.
مَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِقَصْدٍ مُبْصِرٍ
فَقَدَّمَ بِجَاشٍ صَلِيبٍ. وَقَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ الذَّئْبِ. وَقَالَ لَهُ مُجِثًا
الرَّأْيِ. لِيَتَابَكَ دَلِي. يُسَلِّمُ عَلَيْكَ. وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ. يَشْكُرُ
صِدْقَكَ وَشَفَقَتَكَ. وَحَسَنَتَكَ وَرَأْفَتَكَ. وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ يَحْسَنَ

إِبَائِكَ . عَادَةً أَجْدَاكَ وَأَبَائِكَ . قَلَمَ تَعَرَّضَ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظَرِكَ ضَمَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِمَصَافِيهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجَوَارِكَ
 الْجَمْعُ وَالْفَرْعُ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنَ الْخَرْعِ . فَسَيَجِلُ جَوَارِكَ وَغِيَاضُكَ
 أَحْسَنُ مُسْتَجِيرٍ . لِأَنَّ ضَمَافَ مَا شَبَّهِهُ شَبِعَتْ وَرَوِيَتْ . وَاتَّعَشَتْ
 وَقَوِيَتْ . فَأَرَادَ مُكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مُصَادَقَتَكَ وَمُصَافَاةَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَتَنِي . فَأَنِي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْإِنَاءِ . وَصَوْتِي يَزِيدُ شَهْوَةَ التَّغَادِي . فَإِنْ أَقْنَعُ رَأْيَكَ
 الْأَسْعَدُ . غَنَيْتُكَ غِنَاءُ يُبْسِي أَبَا إِسْحَاقَ وَمَعْبُدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَفْقَرْ بِهِ
 أَبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَغْصَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُبْـوِي كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَدَمَكَ . وَيُطِيبُ مَأْكَلَكَ . وَيُسْنِي مَأْمَلَكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 اللَّذِيذُ . الَّذِي لِلْخَائِعِ مِنْ جَدِي حَنِيذٌ . وَخَيْرٌ سَمِيذٌ . وَلَقَدْ مَطَّشَانِ مِنْ قَدَحِ
 تَبِيذٍ . قَرَأْتُكَ أَعْلَى . وَأَمِنْتُكَ أَوَّلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَاللَّهِ .
 فَعَنَ مَا بَدَأَكَ . فَرَقَعَ الْجُدِي عُقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصُّرَاخِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَتَشَدَّ :

وَعَصُورُ الْحَشَا يَهْوَى جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُوجَادَهُ
 فَاهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَازَلُ عَجَبًا وَعَجَبًا . وَقَالَ أَحْسَنُ يَازِينَ النَّمِ .
 وَلَكِنْ هَذَا الصَّوْتُ فِي النَّمِ . فَأَرْقَعَ صَوْتَكَ فِي الزَّرِ . فَهَذَا أَنْجَلُ
 الْبَلَابِلِ وَالزَّرَارِيزِ . وَزِدْ فِي بَاطِنِي . وَعَنْ لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقَرُّ هَذَا الزَّمَانَ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجَدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَعْتَمَّ الْجُنْدِيُّ الْقُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بِسَيْلِهِ الْقُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتُ . كَمَنْ عَايَنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَيْدًا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا نَفْتَاقُ . وَقَالَ :

فَوَاغُمُ أَنْظَرُوا حَالِي أَبُو مَذَّةَ أَكْثَالِي

فَقِيَمَهُ الرَّايِّي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالطَّرْقِ يَمْدُو . فَلَمْ يَشْعُرْ الذُّبُّ الدَّاهِلُ .
وَهُوَ يُحْسِنُ السَّمَاعَ غَافِلُ . إِلَّا وَالرَّايِّي بِالصَّاعِ عَلَى قَعَاءِ نَازِلُ .
فَرَأَى الذُّبُّ النَّمِيَّةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجُنْدِيَّ
وَأَقْلَتَ . وَنَجَا مِنْ سَنَفِ الْمَوْتِ الْمَصْلَبِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّى . إِذْ
تَلَقَّى . وَأَقْبَى يَعْصُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الدَّاهِلُ . الْأَتَمُّ الْجَلِيلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقَبْزُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدِّ لَكَ قَانُ . أَوْ أَبِ مُفْسِدِ جَانِ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَنَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمَلِكِ وَالْمَنَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَدَيْدُ عِبَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَانِئًا
تَتَلَوَّى . وَبِحِمَاةِ قَوَاتِ الْقُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَلِّطُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّايِّي مُضْطَاعُ لِعُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا قَالَتْ أَمْرًا عَابًا لَقَدَرَا

فَارَةً وَهَرًا

٨٧ كَانَ رَجُلٌ قَصِيرٌ عِنْدَهُ هَرٌّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنُ مَا وَاهُ . وَكَانَ اتَّعِطُ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّمَّةَ . وَأَلْفَ مِنْهُ الْمَوْدَةَ وَاللَّهْمَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتِهِ . وَلَا يَسْتَعِي لَطَلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْقَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
أَمْرِ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يَنْقِذُهُ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
نَفْسِهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْتَعْرِضُهُ مِنْ أَرَادِلِ الْقَارِ عَمْرُو
وَزَيْدُ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوَى لِرَيْسِ الْجُرَذَانِ . وَبِجَوَارِهِ
نَحْرُنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرَذُ لِيُضْفِيَ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِ مَا
يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يُمِرُّ عَلَى الْفِطْرِ لِمَتَا وَيَهْمُكَ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَمْتَلَأَ
وَكْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْقِرَاعُ مِنَ الْخَوَافِ وَالْأَرْحَامِ .
فَأَسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَأَسْتَمَانَ بِطَوَائِفِ الْقَارِ عَلَى الْبُذُونِ .
وَأَفْكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا أَذَاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الْفِطْرَ . وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُهْلِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِتْمَالِ . وَضَعَفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِفْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ
ضَمْنِهِ . وَهَذَا أَتَقَعُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْثِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ أَلْتَدَارُ . لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارُ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ أَلْزَمَانَ الدَّوَارِ يَنْهَبُ وَيَهْبُ . وَيَنْطَلِي مَا سَلَبَ . وَيَرْجِعُ
فِيهَا وَيَهْبُ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْفِطْرُ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَةٍ فِي إِلَيْهِ . فَيَقْوُرُ قَلْبُهُ . وَيَعُودُ
حَقُّهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِثْلُ أَرْفُهُ . فَلَا يَقْرَأُ فِي مَمَّةٍ قَرَارُ . فَأَضْطَرُّ
إِلَى الْفُتُولِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالْخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السُّكْنُ الْمُرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا التَّرَامِ .
وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْفَلَاحِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْاِقْتِصَاصِ
ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ اَلْمَثَالَ لِاِسْتِدَاسِ . فِي كَيْفِيَةِ الْفَلَاحِ مِنْ هَذَا اَلنَّاسِ .
فَأَدَّاهُ اَلْعَكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ اَلْمَلَأْسِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
هَذَا اَلنَّشَاطُ . وَيَسْتَرِ بِوَاسِطَةِ اَلصُّلْحِ بَسَاطَةَ اَلْاِنْسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
لَا يَفِيدُهُ إِلَّا اَلْآنَ يَزِدُّ اَلْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
اَلْعَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِّلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي اَلْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
بَقَرَّبَ عَلَيْهِمُ اَلْعُودُ . وَتَأَكَّدَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ اَلِاتِّفَاقُ مِنْ اَلْعُودِ .
وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَثِيرُ اَلْجِرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
اَلْإِسْدَادِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ اَلشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ اَلْمَالِ مَا
وَقَّيْتُ بِهِ اَلنَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَصِحَّ جَسَدُهُ . وَرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِّلْعُودِ اَلصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ اَلْمَدَاوَةِ اَلْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
مِنْ اَلخُبْرِ وَاَلْحِجْنِ وَاَللَّحْمِ اَلْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
بِقُوَّتِهِ وَقَدِمَ مَقَامَ اَلْهَرِّ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُكْرَمٌ مُبِيرٌ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
إِلَيْهِ . وَرَأَى بِكَثْرَةِ اَلْأَشْيَاقِ وَاَلتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَبِزُّ عَلَيَّ . وَيَنْظُمُ
لَدَيَّ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ فِي هَذَا اَلْإِضْطِرَارِ . وَسَيَكْفِيكَ اَللَّهُ هَذَا
اَلْجُحْدَ وَاَلضَّرَّ . وَلَكِنَّ اَلْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اَللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَسَاوَلَ اَلْعَطْفُ
مِنْ تِلْكَ اَلسَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ اَلصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
إِنْ لِي عَلَيْكَ مِنَ اَلْحَقْوِقِ . مِثْلُ مَا لِحَارِ اَلصَّدُوقِ . عَلَى اَلْحَارِ اَلشَّفُوقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ تَبْكَدَ الْجَوَارُ بِالْمَصَادِقَةِ . وَتَنْتَبِذَ الْجَبَّةُ بِالْمَوَاقِفَةِ .
وَأِنْ كَانَتْ يَتَنَا عِدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرْكُ مِنَ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْخَصْلَةَ
الْقَدِيمَةَ . وَتَسْتَأْنِفُ الْهُودَ . عَلَى خِلَافِ الْخُلُقِ الْمَعْرُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكُرُ
لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَتُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِخَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنْ أَنْ يَطْهَرَ فِيكَ صِحَّةً وَبَيِّنًا . فَإِنْ أَمْنَتِي مَكْرَكَ وَرَغِبْتَ فِي
صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأَكَّدْتَ ذَلِكَ لِي
بِمُطْلَقَاتِ الْإِيمَانِ حَتَّى اسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ أَيْتَانِي فِي عَجَلِكَ
وَذَهَابِكَ . وَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَأَلْبِي أَلْتَرِمُ لَكَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ خَلْقَكَ . وَيُنْقِي مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً وَقَدَاءً وَعَشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْخَيْرُ . هَذَا الْخَيْرَ . أَتَعْجِبُهُ هَذِهِ
الْتَعَمُّ . وَأَطْرَبُهُ هَذَا النِّعَمُ . وَأَقْسَمُ طَائِفًا مُخْتَارًا . لَا إِصْغَارَهَا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكَ مَعَ الْخَيْرِ ذَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
فَرَجَّحَ الْخَيْرُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ بَأْيِي الْقَطْعُ كُلُّ يَوْمٍ
بِمَا أَلْتَرِمُ بِهِ مِنَ التَّنَادِ وَالْعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقَطْعُ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْقَطْعِ ذِيكَ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ قَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْتِسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلذِّيكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَقِفْ لَهَا لِقَاءً .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنْ الْقَطْعِ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

أَلَيْكَ : مَاذَا زَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِمَجَرِّدِ الْحَزْدِ وَأَنَّهُ صَادَرَهُ عِنْدَهُ
 مِنْ أَمْرِ الْأَصْدِقَاءِ الْخَيْرِينَ الْأَمْتَاءِ . فَصَحَّحَكَ أَلَيْكَ مُسْتَرْبَا . وَطَمَقَ
 يُصَبِّقُ بِمَجَاحِيهِ مُتَجَبِّا . فَقَالَ لَهُ : يَمُّ فَصَحَّحَكَ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بَابِلِكَ .
 وَاتِّبَاعِكَ لِمَدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنَائِكَ . إِلَى عَائِشِكَ وَتَحَادِيكَ . وَمَنْ
 يَأْمَنُ لِهَذَا الْبَرِّمِ . الْوَالِجِ قَتْلُهُ فِي الْجِلْدِ وَالْحَرَمِ . الْمُقْسِدِ الْقَاسِقِ .
 الْوُزْدِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى آمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْفَكَ فِي
 حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَتَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
 مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَجْلُ عَهْدَهُ . وَتَقْضِ
 عَهْدَهُ . وَتَكُنُّ الْأَيَّامَ . وَتَجَازِي بِالسَّنَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ
 يَرْمِكَ مَا يَسْرُهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّفًا مَا يَصْرُهُ . وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حُشِرَ
 وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِالْشَرِّ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْبَبَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
 بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوَلَا فَضْلَهُ عَلَيْكَ . وَبَرَّهُ الْوَأَصْلَ إِلَيْكَ . لَمَتَّ هَزَالًا
 وَجُوعًا . وَلَمَّا عِشْتَ أَسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَافَاكَ . وَصَنَّاكَ وَصَافَاكَ .
 وَهَلْ تَبِمْتَ أَنْ جُرْدًا صَاقَ هَرَّةً . أَوْ أَتَفَقَ بَيْنَهُمَا مَرَأَتُهُ . فَمَا صَحَّةُ
 الْقَطْرِ وَالْقَارِ . كَمَصَادَقَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَطْرُ هَذَا الْكَلَامَ . تَأَلَّمَ
 خَاطِرُهُ بَعْضَ الْإِلَامِ . وَقَالَ لِلدَّيْكَ : حَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
 أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَيْرِ . وَصَدَّقَكَ مَا أَثَرُ . فَقَالَ : لَقَدْ عَرَفْتُ الْحَزْدَ بِلَقَبَاتِ
 مِنَ الْحَرَامِ . وَأَسْخَفْتُ النَّمْسَ فِي الْأَتَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ
 الْقَحْ . فَلَا تَشْعُرْ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْأَسْخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَنْشَعُ فِيكَ

وَلَا أَخَ . وَهَنَّاكَ يُعْرِفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَظْلَمْتُكَ عَلَى مَا قُلْتَ
إِلَّا مِنْ قُرْطِ الشَّقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّ جَانِبُ صِدْقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْقَطْرِ
صَالٍ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قَدْحَ صَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدِّيكَ مِنْ حِينَ
أَنْفَلَقْتَ عَنْهُ الْيَبْصَةَ . وَسَرَحْتَ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَّتْ
لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعَتْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . هُوَ أَبْعَدُ مِنْ
أَنْ يُخَدَعَ . وَأَجَلُ مِنْ أَنْ يُشْ وَيَصْنَعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
صِدْقَ هَذَا الْخَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوْبِهِ دَلَالَةٌ تُنْتَظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
وَرَبِّ الْحَرَمِ عَلَامَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
مُنْخَفِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ ثَانِيَةٍ . أَوْ زَوْلِ
مُصِيبَةٍ صَائِيَةٍ . مُتَلَفِّئًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نِكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
يَنْتَقِبُ . خَائِفًا يَرْقُبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالطَّائِفُ خَائِفٌ وَهَذَا
أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَهُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطِرَةِ وَالْمُشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَعْقُظَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
غَزْوَانَ . فَنَفَسَ وَصَهَرَ . وَتَوَقَّعَ وَتَمَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
وَقَدَّرَ . فَاشْمَازَ لِرُؤْيَيْهِ الدِّيكَ وَاشْتَمَلَ . وَانْتَفَضَ وَابْرَأَ . فَأَرْتَدَّ
الْجُرْدُ مِنْ شَجَرِ الدِّيكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَانْتَفَشَ وَأَرْوَى .
وَتَنَفَّضَ وَذَوَى . وَانْتَفَتَّ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَأَلْطَافٍ لِلْفَرَارِ عَجَالًا .
وَالْقَطْرِ بِرَأْفٍ لِحَوَالِهِ . وَتَمَيَّزَ حَرَكَاتِهِ وَأَقْصَاهُ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمُتَعَمِّقِ . وَهَمَّ وَانْتَهَرَ . وَرَفَعَتْ سُورِيَهُ وَأَرْبَابَهُ .

وَلَسِي الْهُودَ وَالْأَيَّامَ . وَبَضَّ فِيهِ عِرْقُ الْمَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْمَدَوَانِ .
فَوَسَّيَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي حَبِيرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

المجدد التبر المروي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ تُجَرِي الْخَيْرَ . عَالَمَ بَعْضِ عِيْدِهِ الصَّلَاةَ مَنْطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هَذَا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدَّدَا . فَبَيَّ بَعْضُ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْمُتَّهَدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَمِثٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مُشْغُولٌ بِالتَّبَسُّعِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِإِسْمَائِهِ الْقَصِيحِ فَتَادَهُ :
يَا صَاحِبَ الْكَلْبِ وَالْقَبَادِ وَالْذَّبَابِ لَا تُعْمِدْ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ قَتَانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبَنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ الْجِلَاحِقِ . فَقَالَ الْمُتَّهَدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنْتَ مَسْلُكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَا يَشِي دَعَزَمْتُ عَلَى الْهُودِ فِيهِ .
مَعَ طَبِيعَتِهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَبِيًّا وَأُظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يُرِيدُ لِي فِيهِ رَحْمًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَنِّي هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَفْرِجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصَّحَاكِ إِلَيْهِ . وَأَتَحَبُّ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَطْيِيلِ سَلَامَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَبُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّمْعِ . وَأَتَخَرُّ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَتَبُّهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خُرْعَائِهِ . فَتَرَكَهُ الرُّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَصَّى حَاجَاتِهِ وَانْقَلَبَ . فَرَأَى الْمُتَّهَدَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يَلْعَجُ بِمَقَالِهِ :

كَمْصُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلِ يَهْنِكُ تَقْلِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلُ يَلْبَسُ
 قَلَا الطِّفْلُ ذُو عَمَلٍ يَرَى لِحَالَهَا . وَلَا الطَّيْرُ مُنْقَلُ الْجَنَاحِ فَهَرَبُ
 فَكَادَهُ وَقَالَ : يَا أَبَا عِبَادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
 إِنَّكَ وَغَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْمُسْدُ هَذَا إِذَا
 نَعَرَ الْأَرْضَ يَنْفِرُ مَسَافَةً مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ شَعْرَةَ الْفَحِّ
 وَلَا مَا وَرَاءَهُ . وَتَاهِيكَ نَضِيَّةُ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ . كَيْفَ خَذِلَ لَمَّا عَوِي
 وَأَغْرَى وَبَطِرَ . وَكَذَلِكَ غَدْرُهُ يَمُنُّ أَشْتَرُ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشِرَ . وَأَنَا لَمَّا
 أَغْتَرَزْتُ بِجِدَّةٍ بَصْرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي . فَتَطَّطَ حِدَّةُ
 أَسِيْقَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَخٍّ أَغْتَارِي

مالك الخزين والسمحة

٨٩ كَانَ فِي مَسَاكِنِ مَكِينٍ . مَاوَى لِمَالِكِ الْخَزِينِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
 غِيَاضٌ وَعُذْرَانُ تَضَاهِي رِيَاضَ الْجَنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ مَا
 يَتَوَقَّعُ سَالِكِي السَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ . فِي دَعَا وَخَيْرٍ . مُدْجِي
 الْأَوْقَاتِ . يَطِيبُ الْأَفْوَاطِ . وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ .
 حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ وَأَنْتَدِرَانُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِتْقَارِهِ
 سَمَكَةٌ . فَأَتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنَاءِ . تَسَرَّعَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغَدَاءِ .
 وَأَرْجَحَ لِقَوْتَ قُوَّتِهِ أَبْوَابُ الشَّهَادَةِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
 وَالْمَلَكُوتِ . يَطْلُبُ مَا كَسَدَ الرِّمَقُ مِنَ الْقَوْتِ . فَلَمَّ فَتَحَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ
 مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْحَوْتِ . وَامْتَدَّ هَذَا الْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيْالٍ فَخَاضَ بَوْمًا فِي الرِّقَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنْ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
سَحَابَةً صَنِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَاجْتَنَبَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ النَّقَمَاءُ .
ثُمَّ بَعْدَ أَتْلَاعِهَا . قَصَدَ إِلَى أَتْلَاعِهَا . قَتَدَارَكَتْ رَأْسَهَا قَبْلَ
أَسْتِثْرَاهَا فِي رِمْسِهَا . فَتَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
الْبَرْغُوثُ وَدَمُهُ . وَالْمُصْفُورُ وَدَمُهُ . أَسْمَعَ مَا جَارَ الرِّصَا . وَمَنْ تَحْمَرَّتَا
فِي صَوْنِهِ أَقْصَى . لَا تَجِلُّ فِي أَتْلَاعِي . وَلَا تُسْرِعْ فِي صَيْحِي . هَبِي
بِمَا فِي قَوَائِدِ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنْ أَيْ قَدْ مَلَكَ هَذَا
أَسْمُكَ فَالْكَلَّ عَيْدَهُ وَرَعِيَّتَهُ . وَوَاجِبُ طَلْعِهِ وَمَشِيَّتُهُ . ثُمَّ
إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنْ أَيْ نَذَرَ النَّذُورِ . حَتَّى
حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي السَّرُورُ . فَمَا فِي أَتْلَاعِي كَبِيرُ فَايِدَةٍ . وَلَا أَسْدُ
لَكَ رَمَمًا . وَلَا أَشْفَلُ لَكَ مَعْدَةً فَصِيرُ مَعَ أَيْ كَمَا قِيلَ : فَأَقْهَرَنِي فِيمَنْ
أَجِبُ وَلَا أَسْتَفْنِي فَأَلَاؤِي أَنْ أَقْرَعَنَّكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنَكَ .
فَأَكُونُ سَبَابًا لِعُودِ الْمَصَادِفَةِ . وَقَاتِمًا لِأَعْلَاقِ الْحَبَّةِ وَالْمُرَاقَةِ .
وَيَجْعَلُ لَكَ الْحِمْلَةَ . وَالْإِنْتَةَ النَّامَةَ وَالْقَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَطْلَعُكَ إِنْ
أَعْتَمْتَنِي . وَمَنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَعْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِمَشْرِ
تَمَكَّاتٍ بَيْضَ بَيَانٍ وَدَكَّاتٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةٌ . غَيْرُ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَيْ مَكَا فَاهَ لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
وَلَا كَذِبٍ تَحْمَلُهُ وَلَا تَنْبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونَ . هَذَا الْخَبْرَ . أَغْرَاهُ
الطَّمَعُ . فَمَا أَبْتَلَعَ . بَلَّ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعْيِدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ

فَسَجَرِدْ مَا قَعَّ فَلَهُ بِالْمَنْزَةِ . أَخْلَصْتَ السَّكَّةَ مِنْهُ بِجَمْرَةٍ . وَقَاصَتْ
فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصْتَ مِنْ بَيْنَ فُكَيِّ الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصَلْ ذَلِكَ إِلَّا بِطَاعٍ .
إِلَّا قَطْعَ الْأَطْلَاعِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
لِتَتَأَمَّلَ عَمِّي أَمْرَكَ قَبْلَ الشَّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
مَبَادِيهِ . هَذَا قِيلَ : أَوَّلُ الْيَكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الملك والطلب

٩٠ . كَانَ فِي بَعْضِ أَهْلِ الرَّيْسِ دِيكٌ . حَسَنُ الطَّلَقِ وَدِيكٌ .
مَرَّتْ بِهِ الْفِتْيَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيحَ الْأَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَهَمَّتْ عَلَيْهِ
مِنْ الْعَمْرِ سِنُونَ . وَأَطْلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُتُونٍ . وَطَلَى
حُلُومَهُ وَمَرَّةً . وَهَمَّتْ حَرَهُ وَفَرَّهُ . وَقَطَعَ لِلشَّامِلِ شَبَاكَ مَصَايِدَ .
وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَابِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيْنِيهِ
نَوَائِبَ وَشَدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَنَوَائِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
كُتُبِ حَيْلِمَا طَلَانِغِ كِتَابَ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَابَ غَرَابِ .
فَأَتَقَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَفَّ عَلَى بَعْضِ الْجُدَانِ . فَظَلَّ
فِي عِطْفِهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَفْسِ بَرْدِيهِ . قَرَأَى خِيَالَ تَاجِهِ الْفَيْقِي .
وَنَظَرَ إِلَى حَذِيهِ الشَّقِي . وَنَفَضَ بِرَأْيِهِ الْمُنَشَّ . وَشَرَّ أَوَّلَهُ الْمُنَشَّ .
وَأَثُوبَ الَّذِي رَمَهُ نَفَاشُ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبْرَقِ . فَأَعْيَبَتْهُ
نَفْسُهُ . وَأَذَنَ فَاطِرُهُ جِسْمَهُ فَصَارَ يَدُهُ وَيَجْتَرُّ . وَيَهْصِفُ
وَيَحْطَرُّ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَنِّي سُوِيَّةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّمِيمَةِ . فَصِيدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدْ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتُهُ بِالْأَذَانِ . فَأَنَسَى
صَوْتَهُ الْكَتَّافِيُّ وَاللَّهْمَانُ . فَسَمِعَهُ نَمْلٌ . فَقَالَ : مَطْلَبٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةً مَكْرَهُ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَنْظَانِ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ نَحِيَّةَ الْخِلَالِ .
وَرَأَى لَهُ فِيهِ تَرَامِي الْإِخْوَانِ . وَقَالَ : أَنَسَى اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَدَّى مِنْ كَلِمَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوقَكَ وَصُدُوحَكَ . فَأَنَّكَ أَجَبْتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانِ . بِطَلِبِ النِّعَمِ وَالصَّيَاحِ فِي الْأَذَانِ . فَإِنِّي لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ تَوَائِبَ الْقُوتِ . وَمَصَائِبَ
الْمُوتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ . وَأَذْكُرَكَ مَا أَسْدَى مِنْ النِّعَمِ
إِلَيْكَ : وَأُبَشِّرَكَ بِبِشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْجَى تِجَارَةٍ . وَأَبْجَى مِنْ الْوَلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَتَّقِ مِثْلَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّعِ تَطْيِيرُهَا إِلَى
لُغْرِ الْمَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَبَدَ اللَّهُ يَدَوَلِيهِ أَذْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرٌ مُتَدَايِمٌ فَسَادِي بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَإِنْجِرَاءُ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حِدَارِيقِ الصُّخْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنَّ
تَشْمُلُ الصَّدَاقَةَ كُلَّ حَيَوَانٍ . مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيَاتَنِ . وَلَا
يَقْتَصِرُ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوُحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْهَيْبَانُ وَالضَّبَاعُ . وَالْأَرْوَاحُ وَالنَّمَامُ . وَالصُّفَرُ وَالْحَمَامُ . وَالضَّبُّ
وَالنُّونُ . وَالذَّبَابُ وَأَبُو قَلَمُونَ . وَيَعْمَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِنصَافِ دُونَ الْإِعْسَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحَسَنُ

الْمُعْشَرَةَ وَالْمُرَاقَةَ . فَخَيَّ مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوشُ النَّدَاوَةِ
 وَالْمُنَاقَةِ . قَطِيرُ الْقَطَامِ الْعَلَابِ . وَبَيْتُ الْمَصْفُورِ مَعَ الْعَرَابِ .
 وَيَرْغَى الذَّبُّ مَعَ الْأَرْبِ . وَيَتَأَخَّى الذِّكُّ وَالْثَلَبُ . وَفِي الْحِمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . قَسَامُنَ الْقَارَةِ مِنَ الْهَرَةِ . وَالْحُرُوفُ مِنْ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدْ أَرْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثَّلَ هَذَا الْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْمَدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَلْعُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمَصَادَقَةُ . وَتَنْفُخُ أَبْوَابُ الْحُبِّ
 وَالْمُرَاقَةِ . وَلَا يَتَرَّأَى أَحَدٌ مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يَزَايِي مَوَدَّتَهُ وَيُتَالِفُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَمَلَ الثَّلَبِ يُعَرِّضُ هَذَا الْمَقَالَ . وَالذِّكُّ يَنْطَفِئُ إِلَى
 هَذَا الْمَذْيَانِ وَالْحِكَايِ . فَقَالَ الثَّلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَحِي . أَنَا أُبَشِّرُكَ بِبَشَائِرٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَقْعُدْ فِي الْأَعْصَرِ
 الْقَلِيلَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزْتَ بِهَا مَرَّاسِيمَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَبْرَأَكَ
 لَا تَلْتَفِتْ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسْرِ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَالَمِ . وَلَا تَلْتَفِتْ
 إِلَيَّ . وَلَا تَوَلَّ عَلَى . وَتَسْتَشْرِفْ عَلَى بُعْدِ لَيْثِي . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَتَوَيْتَ . وَتَطْلَعَنِي فِيمَا تَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا نَائِرًا . وَنَفْسًا إِلَى الْعُلَانِ قَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرَقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ :
 أَبُو الْحَصَنِ . وَقَدْ لَسِي الْمَكْرَ وَالْمَيْنَ . يَا أَبَا تَهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَّانَ . قَالَ : حَيَّانٌ رَشِيقٌ . لَهُ أَذَانٌ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا أَحْمِلُ تَلْعَمُهُ . وَلَا أَرْجُ تَسْبَهُهُ . فَرَجَعَتْ قَوَائِمُ الثَّلَبِ . وَطَلَبَ
الْمَرْبَ . قَالَ أَبُو النَّذِيرِ : تَلَبَّثَ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَهَيِّقَ
رُؤْيَاهُ . وَأَتَيْنَ مَا هَيْتَهُ . فَأَنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرَفُ الْعَيْنِ .
وَيَكَادُ يَا أَبَا النَّجْمِ . يُخْفِئُ النَّجْمَ فِي الرَّجَمِ . قَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَهَذَا وَقْتُ التَّأْدِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ يَقُولُهُ :

لَا بَسَ الْتَلَجُ الْمَيْقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَيًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلَوِي

قَالَ الْدَيْكُ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتُ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالضَّرْعِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَّانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثَ حَتَّى يَجِيَّ وَيَقِيلَ بِدَيْكَ .
وَنَعَمْدَ بَيْنَنَا عُمُودُ الْمَصَادَقَةِ . وَصَبِرَ رَفِيقَنَا وَصَبِرَ رِفَاقُهُ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَاهُ حَاجَةٌ . فَدَعَيْتُكَ الْفَحْاجَةَ وَاللَّجَاجَةَ . قَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرِيقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَّا
قَالَ لَكَ الْكَلْبُ إِلَّا يَا قَتْلَ وَالصَّلْبَ . قَالَ : لَمَلْ هَذَا الْمَشُومُ . لَمْ يَتْلَفْهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَالِصِ جَانِبًا

الجلج والحق

٩١ كَانَ جَمَالَ قَبِيرٍ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَشَّى عَلَيْهِ . وَيَصَوْتُ هُوَ
وَعِيَالُهُ يَمَاصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي ثَقُلِ مَلْحٍ مِنَ الْمَلَّاحَةِ .

فَجَدَّ فِي تَمِيلِ الْأَحْصَالِ . وَمَلَا زَمَتَهُ بِأَثْقَالِ الْأَنْقَالِ . إِلَى أَنْ أَلَّ حَالُ
الْجَمَلِ إِلَى الْفَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالُ . وَالْجَمَالُ لَا يَبْقَى لَهُ إِلَّا بِحَالِ .
وَيَجِدُ فِي كَدِّهِ بِالْأَشْقَالِ . فَنَجِي بَعْضُ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْحَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَاؤُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ أَشْقِيَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُرُودَ هَزَّالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَعَالَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَابِسُهُ مِنْ غِذَائِهِ وَنِكَالِهِ . وَأَنْ أُلْطِغَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ آغَتْهُ الْحِلْمَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخِلَاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَصْرِ هَذَا الْأَمَلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فُزْتُ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخِلَاصِ .
مِنْ شَرِكِ هَذَا الْإِقْتِصَاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الْإِرْتِهَاصِ وَالْإِرْتِصَاصِ .
تَحْتَ حِمْلِ كَالرِّصَاصِ . فَهَلْ يَتَرَضُّكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَاخَةِ الْمُخَاضَةِ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَعَدِيدٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَدَّتْ
فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَمْرُكَ فِيهِ وَتَمَرُّغٌ . وَتَتَصَلَّ مِنْ
حِمْلِكَ وَتَتَرَفَّعُ . وَاسْتَسْرِفَ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ أُلْطِغَ فِي اللَّأَمِ يَذُوبُ .
وَصَكَّرَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فَإِمَّا أَنَّهُمْ يَغْتَرُونَ
حِمْلَكَ أَوْ يُخَفِّفُونَهُ . أَوْ تَسْتَرْجِعُ يَذُوبُ مِنْ الَّذِي أَضَعُفُوهُ . فَتَحْمَلُ
الْجَمْلُ لِلْأَرْبِ الْإِنْسَةِ . وَشَفَّ بَدْرُ هَذِهِ الْقَائِدَةِ أَذْنَهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُ الْجَمْلِ الْمُتَهَوِّدُ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ الْمُخَاضَةَ

بَرَك. فَضَرَبُوهُ وَمَا أَحْتَرَك. وَحَمَلُ ضَرْبِهِ وَتَفَهُ. حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْحَمَلِ نِصْفَهُ. ثُمَّ نَهَضَ أَتْنَاهُضَةً. وَخَرَجَ مِنَ الْخَاصَةِ. وَلَا أَمَ هَذِهِ
 الْعَادَةُ. إِلَى أَنْ أَقَرَّ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ. فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحِيلَةَ.
 فَأَتَفَكَّرَ لَهُ فِي دَاهِيَةٍ وَبَيْلَةٍ. وَعَمَدَ إِلَى عَيْنِ مَتَفُوشٍ. وَغَيْرِ فِي مَقَامَرَتِهِ
 شَكْلُ النُّعُوشِ. وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ جَمَلًا. وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيَةً وَتَقْلًا. وَسَلَطَ
 عَلَيْهِ الظُّلْمَاءَ. ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ. فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَك. وَتَعَاوَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ. فَتَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَمَلَأُ الْبَرَكَ. ثُمَّ أَرَادَ
 النُّهُوضَ. فَتَأَمَّ بِهِ الرُّبُوضُ. فَهَاسَى مِنَ الْمَشَاقِ. مَا لَا يُطَاقُ. وَرَجَعَ
 هَذَا أَفْكَرُ الْوَيْلِ. عَلَى الْجَمَلِ الْمُسْكِينِ بِإِضْمَافِ التَّشْيِيلِ. فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ. وَكَانَ فِي تَذْيِيرِهِ تَذْمِيرُهُ. وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ التَّصَبِّ.
 وَأَمَثَالَ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ. وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ هَذَا
 الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْخَضَارُ. أَنَّ أَلَمَهُ الْقُدَارَ. وَالْحُسُودَ
 الْكَسَارَ. يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي. وَيَفْرَغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالزَّوَايَا
 كَمَا هِيَ. وَيَبْلُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ. وَلَا يَقْصِرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ. فَسَارَةُ تَذْرُكُ مَكَائِدَهُ. وَتُحَرِّفُ مَصَائِدَهُ. وَتَلَاةُ
 يُخَلُّ عَنْ دَوَاهِيهَا. فَلَا يَشْعُرُ الْخَصْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا. وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ. لَا بَدْءَ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْيَالِ

البستاني والاربعة العاشر من مجته

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيَتِ رَجُلٍ مُسْكِينٍ. يَنْظُرُ الْبَسَائِينَ. فَهِيَ

بعض السنين . قديم قرية مئين . وسكن في بستان . كأنه قطعة من
الجنان . فيه فاكهة ومخل ورمان . بقي بعض الأعوام . أقبلت القواكه
بالأنعام . ونثرت الثمار ملايس الأتجار من الأذيال والأنعام .
فأجلبت الضرورة ذلك الإنسان . أن يخرج من البستان . ثم رجع في
الحال فرأى فيه أربعة رجال . أحدهم جندي والآخر شريف .
والثالث هيه والرابع تاجر ظريف . قد أكلوا وسقوا . وناموا
وأنعموا . وتصرفوا في ذلك تصرف الملأ . وأفسدوا فساداً فاحشاً
خادشاً . ومارشا وتاوشتا . فأضر ذلك بحاله . ورأى أنه يجز في
أفقاله . إذ هو وحيد . وهم أربعة وكل عبيد . فسارع إلى التخليد .
وعزم على التخليد . فابتدأ بالترجيب والبشاشة . والإكرام والتهشاشة .
وأحضر لهم من أطايب الفاكهة . وطايبهم بالنفاكة . وسأخ
بالمزحة . ومازح بالسأخة . إلى أن أطمأنوا واستكانوا واستكنوا .
ودخلوا في اللب . ولاعبوه بما يحب . فقال في أثناء الكلام : أيها
السادة الكرام لقد خرم أطراف العارف والطرف . فلي شيء
تأتون من الحرف . فقال أحدهم : أنا جندي . وقال الآخر : أنا
شيخ القضاة جدي . وقال الثالث : أنا هيه . وقال الرابع : أنا تاجر نبيه .
فقال : والله لست بنيه . ولكن تاجر سفيه . وبيع الشكل كربة .
أما الجندي فإنه مالك رقابتا . وحارس حجابنا . يحفظنا بصوته .
ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته . ويجعل نفسه لنا

وَقَابَهُ. وَنَجِي فِي أَعْدَانَا أَشَدَّ نِكَابَهُ. فَلَوَمَدَ يَدَهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرَزَقَهُ.
 هُوَ بَعْضُ اسْتِحْقَاقِهِ وَدُونِ حَقِّهِ. وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَهَدَّ شَرَفَ بِهِ الْيَوْمَ
 مَكَانِي. وَحَلَّتْ بِهِ الْبِرْكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي. وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالَمُ هُوَ
 مُرْشِدُ الْعَالَمِ. وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا. الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا. فَإِذَا شَرَّفُونَا
 بِأَقْدَامِهِمْ. وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّائِهِمْ. فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا. وَاللَّيْنَةُ
 أَوْلَا حِلَّةَ الْإِنْسَانِ. وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَبِّهِمْ. وَشَرَّجَانِ تَابِعَهُمْ. بِأَيِّ طَرِيقٍ
 تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي. وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَجِيلِي وَرُمَانِي. هَلْ بَايَعْتَنِي بِسُلْطَانِيَّةٍ.
 وَتَرَكْتَ لِي الْمُرَاجِعَةَ. أَوَلَيْكَ عَلَيَّ دِينٌ. أَوْ عَامِلَتُنِي لَسِيئَةً دُونَ عَيْنٍ.
 أَلَيْكَ تِلِّي حِجَلَةٌ. وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ. تَقْضِي تَنَاوُلَ مَالِي.
 وَالْعُجُومَ عَلَى مَلِكِي وَمَتَالِي. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ. فَلَمْ يَتَرَضَ مِنْ رُحْمَتِهِ
 أَحَدٌ عَلَيْهِ. لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلَامِ. وَاعْتَذَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
 مَلَامٍ. فَأَوْنَقَهُ وَنَاقًا مُحْكَمًا. وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا. ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً. وَهُوَ عَلَى
 الْخَلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ. وَحَازَ الْجُنْدِيُّ وَالشَّرِيفُ عَلَى الْفَقِيهِ الطَّرِيفِ.
 فَقَالَ: أَيُّهَا الْعَالِمُ الْفَقِيهُ. وَالْقَاضِلُ النَّبِيُّ. أَنْتَ مُنِّي الْمُسْلِمِينَ.
 وَعَالِمُ بَيْتِهَاجِ الدِّينِ. عَلَى قَوْلِكَ مَدَارُ الْإِسْلَامِ. وَكِلْدَتُكَ الْقَارِقَةُ
 بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. يَفْتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءِ فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالْدُخُولِ فِي
 هَذَا. أَفْتَنِي يَا عَالِمُ الزَّمَانِ. مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمْ النُّعْمَانُ.
 أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكٌ. فَفُجَّ لَنَا بِذَلِكَ. وَإِلَّا فَمَا بَالُكَ تَمُوتُ
 وَتَبْقَى بِنَا لَيْسَ لَكَ. وَلَا عَاقِبَ عَلَى الْأَجَادِ وَالْأَشْرَافِ. وَلَا عَلَى

الْجَلَاءِ وَالْأَجْلَافِ . إِذَا أُرْتَكِبَ مِنْكَ هَذَا الْمَخْطُورَ . وَمَتَا طَى الْمَلَأُ
 وَالْمُنُونِ أَفْجَعَ الْأُمُورَ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَابِيهِ . وَأَوْتَنَهُ بِتَلَابِيهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَتَأَمَّا . وَآلَهُ رَبَاقًا . فَأَسْتَجِدَّ بِصَاحِبِهِ إِلَى جَانِبِهِ فَمَا أَتَجَدَّاهُ
 وَلَا رَفَدَّاهُ . ثُمَّ جَلَسَ إِلَهِي . الْجُنْدِيُّ السَّاهِي . وَعَارَزهَ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 أَلْتَجِبُ الْجَيْدُ الْحَسِيبُ . لَا تَتَّبِعْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَقِيلْ مَلَامِي .
 أَمَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدَرٍ خَطِيرٌ . لَهُ الْجَمِيلَةُ الْكَلِمَةُ .
 وَالْقَضِيَّةُ الْكَلَامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّلَاهِرِ . وَالْأَصْلُ الْبَاهِرِ .
 وَالْقَضَلُ الزَّاهِرُ سَلِّقْ الطَّبَّ أَذِنَ لَكَ فِي الدَّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنَ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا تَعْبَ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَفَّ
 إِلَيْهِ وَكَتَفَ بَدَنَهُ . وَلَمْ يَطْفِئِ الْجُنْدِيَّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقِ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَأَنْتَصَفَ مِنْهُ الْبَسَاتِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْتَنَهُ رَبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ أَحْيَا طًا . ثُمَّ أَوْجَهَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ
 الْجِيرَانَ . وَأَسْتَمَانَ بِالْجَلَاوِذَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَوَانِ . وَجَمَعَهُمْ بِرَبَاطِهِمْ
 وَعَمَلَتَهُمْ تَحْتَ أَبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
 رَخِيسٍ وَغَالِي . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ مَا جَرَى تَعَلُّمُوا أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنَّ
 التَّخَيُّدَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّخَيُّدِ . أَمْرٌ مِنَ السِّهَامِ فِي تَقْيِيدِ الْأَحْكَامِ
 وَأَحْكَامِ التَّقْيِيدِ .

(فاكهة الحنظله لابن عربشاه)

الْبَلْبُ السَّاجِدُ فِي الْقَضَائِلِ وَالزَّذَائِلِ

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدَ الْأَسْبَابَ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ
جُنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرْكِ الشَّيْءِ فِي الْحَوَائِجِ. فَمَنْ وَطَّنَ
نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًا. وَمَنْ اسْتَعَفَّ بِاللَّهِ عَفَا.
وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِينَهُ وَلَنْ يَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي الْأَمْثَلِ:
الصَّبْرُ أَحْمَى بِيَدِي الشَّيْءِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعِ الصَّبْرَ مَتَّبِعُ النَّصْرِ
(المقدسي)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا أُتِمَّتْ عَلَى الْإِلْسِ الصُّلُوبُ وَصَاقَ لَمَّا بِهِ الصَّدْرُ الرَّجِيبُ
وَأَوَّطَتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْلَأَتْ وَأَزَسَتْ فِي مَكَامِهَا اُخْطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لَانْكِشَافِ الصُّرُوجِهَا وَلَا أَغْنَى بِحَيَاتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُضُوطٍ مِنْهُ غَوْتُ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ اَلْأَسْتَجِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَبَاهَتْ قُضُوفُهَا قَرِيبُ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ لِلنُّسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ:

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَبِحَالَانِ نَفْسُهُ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَادِثُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا حَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الزَّهْرَاءُ

إِنْ أَلَمْتَ مُلِمَّةً بِي قَاتِي فِي الْمَلَمَاتِ صَخْرَةً صَمَاءَ
حَارٌّ فِي الْبِلَادِ عَلِمًا بِأَنْ لَيْسَ يَدُومُ النَّعِيمُ وَالْبَلَاءُ
وَأَشَدُّ أَعْرَابِي :

وَإِنِّي لِأَعْصِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَدَى وَاللَّسْتُ تَوْبَ الصَّبْرِ أَيْضَ الْبَلَا
وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَرْضَ صَبِيحُ عَلَيَّ قَا يَتَقَكُّ أَنْ يَتَمَرَّجَا
وَكَمْ مِنْ قَتَى ضَاعَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ تَخَرُّجَا
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ التَّضَمُّعَ لِلْعِدَى وَلَوْ قَطَعْتَ فِي الْجَنَمِ مِنْكَ الْبَوَارِ
مُرُورُ الْأَعَاذِي أَنْ تَرَكَ بِلَلَةً وَالْكِنَهَا تَقَمُّ إِذْ أَنْتَ صَارُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةُ مَحْمُودَةِ الْأَثَرِ
وَقَالَ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرِ يُجَاوِلُهُ فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا قَازَ بِالظَّفَرِ
قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مُنِنْتَ بِهِ قَالَ الصَّبْرُ يَذْهَبُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حَرٍّ
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ قَدْ ضَاءَ مِنْ بَيْدِهَا صَبْحٌ مِنَ الْقَرَجِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِي :

صَبْرًا عَلَى تَوْبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا خَلُوقَةٌ لِيَكَايَةِ الْأَحْرَارِ
لَا يَكْشِفُ النَّجَمُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا يَسْرِي الْكُفُوفُ رِقْمَةَ الْأَقَارِ
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِي :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ وَتَقِ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَابْتَهَجِ

وَارْجُ إِذَا اشْتَدَّ هَمُّكَ نَازِلُهُ فَآخِرُ الْهَمِّ أَوَّلُ الْفَرَجِ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ فَيَا أَلَلَّاءُ قَدْ نَحْمَدُ الصَّبْرَ وَلَوْ لَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُعْرِفِ الْخَيْرُ
وَأَنَّ الَّذِي أَنَابَ هُوَ الْوَعْدُ فَاتَّبِعْ جَمِيلَ الرِّضَائِقِ لَكَ الذِّكْرُ وَالْآخِرُ
وَبَقِيَ بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا فَلَيْسَ بِعِزِّمْ أَنْ يَرْوَعَكَ الضَّرُّ
فَلَا نِعَمٌ تَبْقَى وَلَا نِعَمٌ وَلَا يَدُومُ سِوَا الْخَالَتَيْنِ عَسْرٌ وَلَا يُسْرٌ
تَقَلُّبُ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِدَائِمٍ لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مَرٌ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالْصَّبْرُ يَقْضِي مِنْهَا كُلَّ مَا رُبِمَا
لَا تَبْلَسَنَّ وَإِنْ طَالَ مَطَالِبُهُ إِذَا اسْتَعْتَبَ صَبْرًا أَنْ تَرَى فَرْجًا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُعْرِفُ عِنْدَ الصَّبْرِ فَضْلُ نَهْجِهِ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّبِعُهُ أَصْطَبَارُهُ قَدْ قَلَّ فِي مَا يَرْجِيهِ مُدَاهِرُهُ
قَالَ الْمُرَارِئُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَيَلْجَأُ سُدًّا لَا تَلْتَمِصُ وَالْتَمِصْ
وَلْيَلْجَأْ خَيْرٌ قَاطِلُنَ مَمْبَعَةٍ مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْمَسَ مِنْ ظُلَامِ

القناعة

٩٨ إَعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَحْتَقِقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْآلِبَةُ أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَكْثَادِ وَجَلَّ الْأُمُومُ وَالنُّعُومُ وَالْحَسَرَاتُ . وَأَنَّ لَدْفَ الْإِنْسَانِ

بِلَاةِ أُولَئِكَ الْفُقَرَاءِ . وَأَعْظَمَ النَّاسُ تَعَبًا وَهَمًّا وَتَعَمَّهُمُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ
وَالْكَبَرَاءُ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شَيْءٍ قَامَةٌ مِنْ أَلَمِهِ . وَقِيلَ :

لَقَدْ قَعَتْ هِمِّي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّبِّ الْعَالِيَةِ
وَمَا جِئْتُ طَيْبَ طَعْمِ أَلْفِي وَلَكِنَّهَا تَوَثَّرُ الْعَافِيَةِ
وَمَا لَمْ أَرْضَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَهَا
قَارِضَ بِحَالِ قَرْكَ . وَأَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَمَدَّدْ
طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَحْمَدُ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَتْهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَقَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لَطْفِهِ عَلَيْكَ ، فَاعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حِطًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ أَلْطَفَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْلَى الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْثَمِهِمْ
رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَأَتَسَاعَ مَمْلَكَةً وَكَثْرَةَ خَزَائِنَ بَحْتٍ كَانَ
يَسْأَلُ لِلْمَحَابَةِ : أَمْطَرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَجَ الْأَرْضِ إِلَيَّ تَطْطَرِبُ
فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَتَمُّهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَمُّهُمْ فِكْرًا
وَأَشْغَلُهُمْ قَلْبًا

(الاعلام لعطب الدين النهر والي)

٩٩ . وَاللَّهُ مِنْ قَالٍ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا اسْتَنْتَبَتَ عَنْ شَيْءٍ فَلَعَنَهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ
قَالَ آخِرُ :

أَقَادَنِي الْفِتْنَةُ كُلَّ عَزٍّ وَهَلْ عَزُّ أَعَزُّ مِنَ الْفِتْنَةِ
فَاجْمَعِي لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَاشْتَرِي بِهَا الْقَوَى بِضَاعَتِهَا
قَالَ ابْنُ وَابِصَةَ :

غَنَى النَّفْسَ مَا بَكَفِكَ مِنْ سِدِّ قَافَةٍ . فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ أَلْتَقَى قَهْرًا
قَالَ غَيْرُهُ :

يَا أَحْمَدُ أَفْعَ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ . إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذَلِكَ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ . لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كَمَا

السدل

١٠٠ يُحْكِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ السَّامَافِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يُجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيُبْعِدُ الْحِجَابَ .
وَيُزِيلُ الْبُيُوتَ . لِيَهِيَ كُلُّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ السَّاطِ
وَيُخَاطَبَهُ وَيُعَوِّدُ مَقْضِي الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
الْحُكَمَاءِ إِلَى أَنْ يَقْبِي الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى
مَحَاسِنِهِ بِيَمِهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جُعْدِي
وَطَافَتِي قَدْ بَدَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجَعْتُ أَوْ لَآئِي عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
وَاجِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَأَغْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ بَقِيَّةُ
الْيَتِيمِ جَمِيلِ الطَّوِيلَةِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ قَارِسٍ مُّتَعِدِّينَ بِالسَّلَاحِ مُتَعِينِينَ بِالْمَدِيدِ وَبِرَكَّةٍ ذَلِكَ
الْمَدْلُ وَالْإِنصَافُ ظَفَرُهُ لِلَّهِ بِأَعْدَائِهِ
(للغزالي) قَالَ شَاعِرٌ :

أَلْمَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا أَلْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجُورِ يَنْجُمُ
الْجُورُ شَيْئٌ بِهِ التَّعْسِيرُ يُمْتَنِعُ وَالْمَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْيِيدُ يَنْظُمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَمْدَلَ . اسْتَفَاتِ النَّاسَ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةٍ وَاشْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . هَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
تَرْكُ . هَالُوا : فِي عَدُوِّكَ كَتَبْتُ رُقْعَةً وَوَقَعْتُ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ قَرَسِهِ وَأَخَذَهَا وَنَهَا
وَقَرَّأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ قَلْسَتَكُمْ . وَقَدَرْتُمْ قَهْرَكُمْ . وَخَوَّلْتُمْ
فَمَسَقْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ قَطَعْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ يَسَاهُمَ
الْأَسْحَارُ نَافِلَةً لَا يَبِيحُ مِنْ قُلُوبِ أَجْعَمْتُمْهَا . وَأَجْسَادِ أَعْرَجْتُمْهَا .
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَعِيرُونَ . وَأَظْلَمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُنْظِمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ
مِنْ وَقْتِهِ وَسَلَّعَهُ

(لها: الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ النَّعْلَاقِي قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقُرَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلَى بَنِي
عِيْسَى صَاحِبِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَسَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِزْنِي عَلَى نَكُوصِي عَنْ نَصْرَتِكَ شَهَادَةَ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتْمَاقَ عَلَى
إِتْمَاقٍ . وَلَا وَفَاءَ لَدِي مَيْنٍ وَاخْتِلَاقٍ . وَآخِرُ بَيْنِ تَعْدَى الْحَقِّ فِي

مَسْرَتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَمُدَّيَ الْبَاطِلُ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ. وَكَأَنَّ
الْمُنْتَبِيَّ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ:

لَقَدْ أَبَاكَ عِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْقِعُ

الكرام

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي الْمَنَافِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْكِرَامِ. وَارْتَسَبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا. وَلَا
تَسُدُّوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُجْلَوْهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَاجِ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا قَتْعُودَ نِقْمًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَوْ لَاؤُا نَقَضُوا وَمَضُوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تِلْكَ الْكِرَامَاتُ
وَحَلَفُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَانُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكِرَى مَا تَوَا
١٠٤ قَالَ آخَرُ:

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَيَاضُ مَا مَلَكَ كَهْمَايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحْسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَثْلَفِهِ وَلَا تُعِيرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْبُرَيْعِيُّ:

أَلَا بَكَرْتَ بِي عَلَى تَلَوْنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكَتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنْ أَلْجُلَّ لَا يُجْلِدُ أَلَهِي وَلَا يَهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ قَائِلُهُ
قَالَ آخَرُ:

يُفْنِي الْبُخْلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتُهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ الْقَرَى مَا تَنْبِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَنْبِيهِ يَنْقِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَتَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْأَرْءَ طُولَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُبَالِغُ
كَذَلِكَ دُونَ الْقَرْبِ نَسْجُ دَائِمًا وَهَكَذَا عَمَّا بِالَّذِي هُوَ نَاسِجُهُ

الوفاء

١٠٥ يُفَحِّصُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلَيْكِنْ ثَمَرُهَا سَلَامٌ مِنْ حَوَائِجِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامِ (لِلْحَوَائِجِ)

قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

إِذَا قُلْتُ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتَمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْخَيْرِ وَاجِبٌ
وَالْأَهْلُ لَا تَسْتَسْرِخُ وَتُرْخَ بِهَا لِأَنَّهَا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدْتُ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَعْدٍ لِأَخِيرٍ فِي وَعْدٍ يَنْبَغِي تَامٍ
أَنْتُمْ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتُ تَكْرُمًا فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بَعْجَةَ الْأَنْتَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ يَجْعَ الْأَقَاتُ فَالْبُغْلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْبُغْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

الرأي والشرقة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَتَوَكَّلَ بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقُ أَنْ لَا يَحْجِبَ
رَأْيُهُ. وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحَقُّ مِنَ الْبَطْلِ الشَّدِيدِ. وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُصَحَهُ وَأَجْهَدَهُ لِيَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَوَ كُنْ بَذَرِي السِّبَاخَ . قَالَ الشَّاعِرُ
يُدْخِ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْيَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ قَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للإبشيحي)

وَمَا يَرِفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْأَرَوِّمِيِّ فِي ذَلِكَ :

نَارُ الْأَرْوِيَّةِ نَارٌ جِدُّ مُنْجِحَةٍ . وَاللَّيْبِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلَوُّجٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِمَا جَلَّهَا . لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ النَّتَّيْي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجَمَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْحُلِّ الْتَانِي
فَإِذَا هُمَا أَجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَقَتْ مِنَ الْعِلَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَلَمَنْ أَهْنَى أَقْرَانُهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْقَوْلُ لَكَانَ أَذَى ضَيْعٍ أَذَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ يَنْبَغِي أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعِينُ عَنْ مَشُورَةٍ فَصَحَّحَ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيَشِ الْبُشَاخِ
تَسْتَعِينُ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِحِزْمِ فَصَحَّحَ حَازِمُ
وَلَا تَجْمَلُ الشُّورَى عَلَيْكَ عَصَاةً . فَرِيَشُ الْخَوَافِي تَابِعُ الْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَهْ أَمْسَكَ أَنْتَ لُ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤْيِذْ بِقَاتِمِ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قُلْتُ لِيَشَارَ: رَأَيْتُ رَجَالَ الرَّأْيِ يَتَجَبَّوْنَ مِنْ
 أَيْيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ. فَقَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ. صَوَابٌ يَقُودُ بِغَيْرَتِهِ. أَوْ خَطَاةٌ يُشَاوِرُ فِي مَكْرُوهِهِ.
 قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ. وَقَالَ
 الْجَاهِظُ: الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأَيْدُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ. وَاسْتِشَارَةُ الرَّءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ وَحَزَمِ
 التَّدْبِيرِ. وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: لَأَنْ أَخْطِيَّ وَقَدْ اسْتَشِرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَّتْ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ
 (لَا يَنْصُرُ الْقَدَمِي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

لَا تَخْضَرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ تَاقِصٍ
 قَالِدٌ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُرْمَى مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْفَاقِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَبَا جَدَّ:

شَاوِرٌ سِوَالِكٌ إِذَا تَابَكَ تَابَتُهُ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 قَالَتِمْ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَتَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا:

خَصَائِصُ مَنْ تَشَاوَرَهُ ثَلَاثٌ تَحْذَرُ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَيْفَةِ
 وَدَادَ خَالِصٌ وَوُقُودٌ عَمَلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْمَلَانِي فَتَابَعَ رَأْيَهُ وَالْزَمَ طَرِيقَهُ

وَلَا أَيْضًا :

فَمَا كُلُّ ذِي نُفُوسٍ يُؤْتِيكَ نُفْسَهُ وَلَا كُلُّ مُوْتٍ نُفْسَهُ يَلْبِيبُ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعْنَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ يَنْصِيبُ

الحمد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَعْتَقُ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتِكُ لِلِسِتْرِ
مِنْ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَايِدَ مُفْتَدٍ لِحُكْمِ اللَّهِ . فَغَرَّ عَلَى عِبَادِهِ .
عَلَتْ عَلَى رِيَّةٍ . يَتَدُّ نِعَمَ اللَّهِ نِقْمًا وَمَزِيدَهُ غَيْرًا . وَعَدَلَ قَضَائِهِ حَقًّا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَلَامُ جَسَمُهُ . وَلَا يَقْنَعُهُ
عَيْشُهُ . مُحْصَرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُتَخَطِّطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيلُهُ . وَلَا تَوْفَى عَنْوَالُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَزَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعْتَهُ .
وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ قَوْلًا : بِأَعْجَابٍ
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ حَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ حُجْمَ الْمَلَكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُرَاصِدِ إِنْ أُنْقَلَبَ مِنْ أَحَبِّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْرَقَ قَلْبُهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ . وَأَقَارَهُ الْكَفِّ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَالِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ النَّوْمَ
وَيَكْثُرُ الْقَهْمُ . وَلِأَيِّ الْمَتَاهِيَةِ :

أَيَّارِبِ إِنْ النَّاسَ لَا يُصْغَوْنِي سَوَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَمُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخِيهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْنِي مِنْهُمْ مَمْعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَنِي فَلَا شُكْرَ عَنْدهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَيْئُونِي

وَأَنْ طَرَفَتِي نِعْمَةٌ فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِيفَتِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَمُوتَ إِلَيْهِمْ وَأَحْبِبْ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي
كَتَبَ ابْنُ بَشِيرٍ الْمُرُوزِيُّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْأَيَّلَتُ :

كُلُّ الْمَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَّى إِمَانُهَا إِلَّا عِدَاوَةً مِنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عَقِدَتْ وَلَيْسَ يَقْطَعُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالِبَ الْإِيمَانِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغَدًا بَلَا قَتَرٍ صَفْوًا بَلَا رَقِيقٍ
خَالِصَ فَوَادِكٍ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ قَالِقِلٍّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ النَّارِ فِي النَّارِ
(لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ قَوِّفُهُ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدَ
إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً بِأَقْوَلٍ هَوَّلَكَ الْمَدُودُ الْمُجْتَهِدُ
وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يَتَصَحَّ الْحُسُودُ :

لَا يُخْرِتُكَ قَرُّ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَاكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
فَإِنَّهُ فِي رَحَادٍ فِي مِمِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَأْتِي بِذَلِكَ أَلْهُمَّ وَالْكَفَا

حفظ اللسان

١٠٩ اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلِّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَطَهَّرَ الصَّحْفُ فِيهِ وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَزَكَّاهُ
فِي الصَّحْفِ فَالْأَسَنَةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ يُخْرِثُ الْكَلَامُ الْمُبَاحَ إِلَى

حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَالِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا يُبَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَبُ بْنُ الْوَرْدِ : بَلَقْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ : تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْمَاشِرَةِ فِي عَزَلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ هَدَّ لَنَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ اغْتِبَارٍ قَدَّ سَهَا . وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ هَدَّ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صِحْفَتَكَ ، لَا تَعْمَدْتُ صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ ، لَحَسَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ : الْكَلِمَةُ أُسِيرَةٌ فِي وَتَاقِي الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَتَاقِهَا . يَقُولُ الْإِنْسَانُ كُلُّ صَالِحٍ وَكُلُّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَيُكَلِّمُ بَعْضُهُمْ إِنْ تَرَكْنَاهُ (للابشيحي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثُرَ مِنْهُمْ مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثَرٍ إِلَّا يَزُلْ وَمَا يُسَابُ صَمُوتُ إِنْ كَانَ يَنْطَلِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ قَالَتْ دُرٌّ زَانَهُ يَأْتُوْتُ ١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ قَلْوَجِرْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ فَلَا تَكْثِفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَأَلِمَ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَاكَ أَوْ عَلَيْكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقْلَمْتَ مِنْهُ نَفَعَ . وَإِنْ أَكْثَمْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ لُثَمَانُ لِأَخِيهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ الْحَجَرِ . وَأَنْفَدُ مِنْ وَخْرِ الْإِبْرَةِ . وَأَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ . وَأَحْرُ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الصُّلُوبَ مَزَاجٌ فَازْدَعْ فِيهَا طَلِبَ

الْكَلَامَ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتْ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْتَقَ مِنَ اللِّسَانِ . أَلَا سِتَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَقَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَالْأَهَاءُ مُطِيعَةٌ عَلَيْهِ وَالْقُلُوبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَقَ
 اللَّهُ وَلَا تَطْلُقْ هَذَا الْمُجْبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : أَحْبَسَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (الشَّيْخُ الرَّائِزِيُّ)

قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَحْفَظُ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزُ مِنْ نَفْظِهِ فَالْزَمِ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَنْطَبُ
 وَزَيْنُ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ تَرْتَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ مَخْطَبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعْدُونَ :

يَنْجِنُ اللِّسَانُ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْقَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَمَّا اسْتَنْصَالَ
 إِنْ اللِّسَانُ إِذَا حَلَّتْ عَمَلُهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْءٍ لَيْسَ تُعَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لُؤْنٍ النُّجَيْمِيُّ :

تَرَى لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ نَسَابٍ بِهِ وَارْتَعِبَ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَتَّبِعْ غَيْرَ الَّذِي يَنْبِيْكَ وَاطْرَحِ الْفُضُولَ تَمَحِّيَ قَرِيْبِ الْغَيْنِ وَالْإِلَالِ
 كَتَبَ السَّرَّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آتِيَةٍ لَا تُمْسِكُ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسِ شَرُّهُ . وَمَنْ حَكَمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَمَّهُ عَمَلُهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْأَسْبَدَادِ بِالسِّرِّ أَثْقَلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ بِسَبَبِ
الْمُشَارَكَةِ (للشراوي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسَدُ أَبُو الْكَاسِمِ لِلْصُرِيِّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْثَرُ السَّرِّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى السَّرِّ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ لِسَانِي لَيْسَ يُبْلِغُهُ سَمْعِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ تَأْجَانِي
١١٢ (فِي التَّاج) : إِنْ بَغَضَ مُلُوكُ الْعِجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرِيهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنْهُ أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
السَّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْقَى لِبَعْضِنَا مِنْ عَالَمِهِ بَعْضٍ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السَّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءَهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَأَفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السَّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ آخَرُ
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاسْتَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ فَإِنْ عَاقَبَهُمَا عَاقِبَ اثْنَيْنِ
يَذُوبُ وَاحِدٌ . وَإِنْ أَتَاهُمَا أَتَاهُمُ بَرِيءٌ بِخِيَانَةِ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَاقَبَهُمَا
كَانَ الْعَوْدُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

النِّسْبَةُ

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ ؟
لَا تَمْتَكِنُ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَرُوا فَيَهْتَكَ اللَّهُ سِرًّا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرُ حَاسِبِينَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَبِ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لَا بِنَ عِدْرِهِ)

قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ الدَّقِيقُ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِن صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِيمًا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتَ السِّرَّ عَنْ أَوْدِهِ قَوْمَهُمْ أَنْ أَلَوْدَ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَجِبْ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْتِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخْشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِنْ هَئِذَا مَشَاهِدُ نَبِيٍّ
الْآيَةُ . وَحَسْبُكَ بِالنَّامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سَقُوطُهُ وَضَمَّتُهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُنْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ الطَّاعِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبَرْتُكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمْ الْمَشَاوُنُ بِالنَّمِيسَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْيَةِ الْبَلْعُونِ الْقُيُوبِ . وَقِيلَ مَلْعُونٌ ذُو الْوُجْهِينِ .
مَلْعُونٌ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونٌ كُلُّ شَفَاذٍ . مَلْعُونٌ كُلُّ قَتَاتٍ . مَلْعُونٌ
كُلُّ غَمٍّ . مَلْعُونٌ كُلُّ مَنَانٍ (وَالشَّفَاذُ الْخَرِشُ بَيْنَ النَّاسِ يَلْقَى
بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةَ . وَالْقَتَاتُ النَّعَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَمْلَأُ الْخَيْرَ وَيَمْلَأُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْأَعْوَالِ وَالْأَصْوَصِ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَاةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْوَصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تَقَطَّعَ الشَّجَرَةُ قُتِبَتْ

وَيَقْطَعُ الْحَمَامُ السِّيفَ فَيَنْدَمِلُ. وَاللِّسَانُ لَا يَدْمِلُ جُرْحَهُ. قَالَ صَالِحُ
بْنُ عَبْدِ الْهَدُوسِ:

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أَمٍّ عَلَى غُشٍّ يُسَاجِيئِي
إِنِّي لَا كَثْرُ بِمَا سَمَّيْتَنِي عَجَبًا يَدُ نَسْجٍ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُوئِي
تَفْتَأِنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَمَدْحِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ بَأْتِنِي
هَذَا شَيْئَانِ قَدْ نَاقَيْتَ بَيْنَهُمَا فَأَكْثَفَ لِسَانَكَ عَنْ شَيْءٍ وَتَرَدَّدَنِي
١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ: النَّيْمَةُ لَا تَقْرُبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا. وَلَا
عِدَاوَةً إِلَّا جَدَّتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا. ثُمَّ لَا يَدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثِقَ بِمَكَانِهِ. وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:
مَنْ تَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ يُؤْمَرْ عَقَابُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ يُؤْمَرْ أَقَابُهُ
كَاسْتَلِ بِاللَّيْلِ لَا يَذْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَوَّلُ لِلْعَدَمِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ وَأَوَّلُ لِلْوَدَمِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقِضُهُ
(للإبشيحي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: الْكُذْبُ شِعَارُ الْخِيَانَةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَخَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَأَخْطَافُ
الْبَلِيَّةِ. وَعَنْ خَمُولِ الدَّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبَهُ قَالَ أَعْرَابِي لِأَنَّهُ وَجَّعَهُ
يَكْذِبُ: يَا بُنَيَّ عَجِثَ مِنَ الْكُذَّابِ الْمُسَيِّدِ يَكْذِبُهُ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْهِ وَيَعْرِضُ لِلْعِتَابِ مِنْ رَبِّهِ. قَالَ تَامٌ لَهُ عَادَةُ. وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَتَّامٌ يَصْدُقُ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُوقِفْ : هُوَ الْجَانِي
عَلَى نَفْسِهِ بِفَعَالِهِ . وَالْأَدَالُ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَعَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ
إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لَا بِنَ عَدْرِهِ)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَرَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَحَّكَ الْكَذُوبُ تَهَكُّمًا وَبَغَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَبَّتِ الْكَذُوبُ مَحَلًّا وَشَكَا مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرٌ بِكَلَامِهِ وَبَصِيَّتِهِ وَبُكَائِهِ وَبُحْبُوحِهِ

الزح

١١٦ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُسُفَ لِبَنِ الْقُرَيْبَةِ : مَا زَالَتْ الْحُكَمَا
تَكْرَهُ الزَّاحَ وَتَهَيَّ عَنْهُ . فَقَالَ : الزَّاحُ مِنْ أَذَى مَثَرَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا
عَشْرَةُ أَبْوَابٍ . الزَّاحُ أَوَّلُهُ قَرْحٌ وَآخِرُهُ تَرْحٌ . الزَّاحُ تَقَارُضُ السُّفَاهِ
كَالتَقَرُّضِ تَقَارُضُ الشُّرَاءِ . وَالزَّاحُ يُغَرُّ صَدْرُ الصَّدِيقِ . وَيَقَرُّ
الرَّفِيقُ . وَالزَّاحُ يُبْدِي السَّرَّازَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْغَائِبَ . وَالزَّاحُ يُسْقِطُ
الرُّوَّةَ . وَيُبْدِي الْخَفَى . لَمْ يَجْرِ الزَّاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
أَتَقَالِبُ بِالزَّاحِ وَاتَّزَّ . وَالْمَطْلُوبُ بِهِ تَأَزَّ . وَالزَّاحُ يُجَلِّبُ الشَّمَّ صَغِيرَهُ .
وَالْحَرْبُ كَبِيرَهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَوْبٌ بَعْدُ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحُجَّاجُ :
حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوٍ مَعَهُ قُدْرَةٌ . وَذَكَرَ الزَّاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ فَقَالَ : يُشَقُّ أَحَدُكُمْ لَخَاهُ مِثْلَ الْحَرْدَلِ . وَيُفَرِّغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الرجل . وذيهِ مِثْلَ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْرُحُ . أَخَذَ هَذَا
الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ قَالَ :

تَلَقَّى الْهَتَّى بَلَقَ أَخَاهُ وَخَدَّهٗ فِي لَحْنٍ مَنطِقِهِ بِمَا لَا يُغَيَّرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاحِبًا هَيْهَاتَ نَارِكَ فِي الْحَشَى تَسْمَعُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلًا غَالِبًا أَنَّ الْمُرَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَضْمَرُ
(للقيرواني)

الصدقة وخواص الودعة

١١٧ (قِيلَ فِي التَّبَيُّحِ) : الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ ثَانِي النَّفْسِ وَكَأَنَّ
الْمَعْنَى . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَالشَّقِيقِ الشُّمُوقِ . (وَمِنْهُ)
الصَّدِيقُ عَمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعَدُّهُ . وَنَصْرُهُ وَعَدُّهُ . وَرَيْعُهُ وَزَهْرُهُ .
وَمُشْتَرِيهِ وَزَهْرُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْخَلِيلِ شِقَاءُ الْفَلِيلِ . وَلَيْسَ لِلصَّدِيقِ
إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا عَنهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمِثْلُ الصَّدِيقَيْنِ كَالْيَدِ
تَسْتَعِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِقَاءُ الصَّدِيقِ رُوحُ الْحَيَاةِ .
وَفَرَاغُهُ سَمُّ الْمَوَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تَسْأَلْ مَرَارَةَ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِمِلَاحَةِ
الْإِخْوَانِ الْقَوَاتِ . فَاسْتَرْوَحْ مِنْ عَمَّةِ الزَّمَانِ بِمَوَاسَةِ الْخَلَّانِ . (وَمِنْهُ)
الْحَاجَةُ إِلَى الْآخِرِ الْمَعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمَعِينِ . وَبَعْضُهُمْ فِي
مَعْنَى هَذَا الْبَابِ :

مَا صَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهِ
فَأَمَّا الدُّنْيَا يَسْكُنُهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو نَعْمَانَ :

ذُو أُلُودٍ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى مِمَّنْزِلَةٍ
عِصَابُهُ جَاوَرَتْ أَدْلَهُمْ أَدْبِي
أَرْوَاحًا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدُ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مَلَاطِفِهِ
وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ تَبْنِي شِمَالَهُمَا
لَمْ تَنْسَ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلْ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ إِسْحَاقُ طَهِيرُ الدِّينِ الْمَوْصِلِيُّ :

لَا تَنْسُوْنِي يَا نِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالْغَيْبِ مِنْ عَيْنِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ
وَعَهْدَةُ الْمِشَاقِ مَا حُلَّتْ
١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَعْيَانِ فِي أَخْبَارِ عُلُوِيَّةِ الْخُنُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمُأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُنْغِي بِهَذَيْنِ الْيَتَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَالِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طُوعَ يَدَيْهِ
وَلَوْ لِي لَشَقَاقُ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ يَرْقُوقُ وَيَصْفُو وَإِنْ كَدَّرْتُ عَلَيْهِ
فَمِصْبَحُ الْمُأْمُونِ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْحُلْسَ مِنَ الْمُتَيْنِ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَبْرُقُوا

وَأَسْتَغْفِرُكَ يَا مُؤْمِنُ. وَقَالَ : أَذْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدَّهَا. فَرَدَّهَا عَلَيْهِ سَجَّ
مَرَاتٍ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِي خِلَافَةَ وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّاجِبَ
(لِهَا الدِّينَ)

١٢٠ قَالَ بَشَارُ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمَشَارِكُ فِي الْمَرْوَاتَيْنِ الشَّرِيكَ فِي الْمَرْءِ أَتَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيِّ وَإِنْ غَيْبَتْ كَانَ تَحْتَمًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْسَرٍ إِذَا غَيْبَتْ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا بَيْنَكَ شَيْئًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرِيَاءِ عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدَا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوَدَادِ زُورًا وَمَيْتًا
قَالَ بَشَارُ بْنُ بُرَيْدٍ :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مَشَارِبُهُ
فَعِشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ لَخَالِكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَتَجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ لِحَمْدِ بْنِ حَازِمٍ الْكَلْبِيِّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ. فَقَالَ
مَرْثِيَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَاءَ مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالِي وَوَقَا الْمُلُوكُ مِنَ التَّعَالِي
مَا لِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُوُّ مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرَّ فَبَقِلْتَ ذَاكَ الْخَوْصَالَ

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ فَكَتَ ذَاكَ مِنْ أَتِقَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ الْأَمْرِ فُكْتُ بَرِيحٍ مَالِي
 فَيَسْلُ ذَا نِكَالِكَ أُمِّكَ تَبْتَنِي رَبِّ الْمَالِي
 ١٣٢ قَالَ الْقَزَازِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا الْحَمَادِ:

كَمْ مِنْ أَمْرٍ لَكَ لَسْتَ تُكْرَهُ مَا ضَمَّتْ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
 مُتَصَنِّعٍ لَكَ فِي مَوَدَّةٍ يَلْكَ بِالْتَّرَجِيبِ وَالْبُشْرِ
 يُطْرِي أَلْوَاءَ وَذَا أَلْوَاءَ وَيَلْسَحِي الْقَدْرُ تَجْتَهِدَا وَذَا الْقَدْرِ
 فَإِذَا عَدَا وَالْأَدْرُ ذُو غَيْرِ دَهْرٍ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الْبُهِرِ
 فَارْتَضِ بِأَجْمَالِ مَوَدَّةٍ مِنْ يَغْلِي الْقَلَّ وَيَسْقُ الْمَشْرِ
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةً فِي الْمَسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْبُسْرِ
 لَا تَخْلُطُ لَهُمْ بَيْنَهُمْ مَنْ يَخْلُطُ الْعِيَانُ بِالصُّغْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ النُّوْفِي:

أَتَرَعُمُ أَتَكَ الْجِدْنَ الْمَدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَمَا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَاجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقٍ مِنْ أَصَادِقِهِ مُخَا
 وَجَانِبٍ مِنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدَانًا وَتَبْقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ جَحْجَحٍ:

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِاللَّيِّ يَذُوكَ إِنْ وَلَّى وَوَضَّكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّأْيُ مَا ضَمَّتْ أَيْمَانًا وَصَاحِبُكَ الْأَذَى إِذَا الْأَمْرُ أَعْضَلَا
 ١٣٣ قَالَ الْبَلَاءِيُّ: الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافُ. فَرَحٌ بَاشٍ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِقَرْعِهِ . وَقَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْقَرْعُ الْبَاطِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَإِخَاءُ بَنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ تَحْتَظُّ عَلَى زَمَامِ الصَّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِقَرْعِهِ فَإِخَاءُ أَصْلُهُ الْكَرَمُ وَأَعْصَاهُ الْقَوَى . وَأَمَّا الْقَرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَأَلَمَوهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (ابن عبد ربه)
١٢٤ قَالَ الْكَبَرِيُّ:

وَحَلِيلِي لَمْ أَخْضُهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَمَيْهِ ظُلُمًا قَدْ عَسَنَ
كَانَ فِي بَرِيٍّ وَجَهْرِي يُعْتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ آخَرِينَ
سَتَرَ الْبُغْضُ بِأَقَاظِ الْمَوَى وَلَذِيحِي الْوَدَّ يَنْشِي وَدَلَسَ
إِنْ رَأَى قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسَ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَلَّ السِّيفَ عَلَى تَجْرِى النَّفْسِ
وَأَرَادَ أَرْوَحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدَرُ أَيْقَظَ مَنْ كَانَ نَفْسَ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ:

وَصَاحِبِ كُنَانٍ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشَقَّ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ نَسْمَى بِهَا قَدَمُ أَوْ كَذِرَاعٍ نَبْطُ إِلَى عَصْدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْمَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عَهْدِي
إِخْوَلْتُ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرَفِي وَيَرْجِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرْفَعْهَا
وَتَحَرَّسَهَا مُرَّضَةً لِأَلَا قَلْبَ فَرَضَ الْإِنِّي بِالْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكَظْمِ حَتَّى يَتَنَبَّدَ إِلَيْكَ مِنْ ظَلَمِكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكْثِرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالْتَّصِيرِ . (وَلِخُحُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا يَرْ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةِ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَمَّ فَأَقِلَّهُ هَمُّوهُ حَتَّى يَبُودَ أَخَا كَمَادَتِهِ
فَالصَّحُّ عَنْ زَلَالِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ أَبُو طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعُسْرَةِ :

أَوَاصِلُ مَنْ هَوَيْتُ عَلَى خَلَالٍ أَذُودُ بَيْنَ لَيَاتِ الْمَقَالِ
وَأَحْظُ سِرَّهُ وَالْقَبِيبَ مِنْهُ وَأَرْحَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَقَاءَ لَا يَحُولُ بِهِ أَتَيْتُكَاتٍ وَوَدَّ لَا تَحْوِيهِ الْإِيَالِي
وَأَوْبَرُهُ عَلَى عَنَرٍ وَيَسِرُّ وَيَقْدَحُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نُبُوَّةَ الْأَذْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرُ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا أَلْفَذُ الْمُنْعَمُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِقَاقَهُمْ :

وَأَخْوَانِي تَحْذَرُهُمْ دُرُومًا فَكَأَنُوهَا وَلَكِنْ لِلْإِعَادِي
وَحَلَّتْهُمْ سِهَامًا صَابِغَاتٍ فَكَأَنُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَّتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَمِينَا كُلَّ سَنَى لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ
١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَضْحَكُنَّ لَنَا السُّوءَ وَإِيَّاكَ وَإِيَاءَهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الزُّرَى بِالزُّرَى إِذَا مَا الزُّرَى مَكَشَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَقْوَاهُ
وَوَلَقْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُتَّصِمُ صَاحِبُ الرُّيَّةِ إِلَى ابْنِ عَمَارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
وَطَوَّلَ لُخْطَارِي صَلَاحًا بَعْدَ صَاحِبِ
فَلَمْ تُزَيِّ الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاعِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَزْجُوهُ لِدَفْعِ مُلْمَةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ أَحَدِي لَمَصَابِ

الطلل في الورد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَعَطَّلَهَا : نَحْنُ إِلَى الْقَطْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنَّا مِنَ الْمَطْلِ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَسْتَعِشُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِالْإِنْجَازِ الْوَعْدَ وَاسْتِثْمَامَكَ الْمَرْوَفَ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنْ أَوْقَعَ الْمَرْوَفُ فِي الْقُلُوبِ وَابْرَدَهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَرْوَفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يَكْذُرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْعَتَايِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَا
بَعْدُ فَإِنْ تَحَبَّابَ وَعِدَكَ قَدْ آتَوْتَ فَلْيَكُنْ وَبَلَّهَا سَالِمًا مِنْ خِلَالِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والكبر

١٢٩. إِنْ عَلِمَ أَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِنْحِبَابَ يَسْلُبَانِ الْفَضَائِلَ. وَيُكْسِبَانِ
الرَّذَائِلَ. وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ الصَّخْرِ وَقَبُولِ التَّأْدِيبِ.
وَتَسْلُبُ الرِّثَاسَةَ وَالسَّادَةَ. وَالْكَبَرُ يُكْسِبُ الْمَقْتِ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ.
وَلَمْ تَزَلِ الْمُسْكَاةُ تَتَحَايَى الْكِبَرَ وَتَأْتَفُ مِنْهُ. وَتَنْظُرُ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجِبٍ بِنَفْسِهِ قَالًا: وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ. وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَحْتَالُ فِي مَشْيِهِ قَالًا:
جَلْبَتِي اللَّهُ مِثْلُكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَلْبَتِي مِثْلُكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ:

قُلْ لِلَّذِي نَاهَى فِي دُنْيَاهُ مُتَقَرَّرًا ضَاعَ اخْتِفَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْلِينِ
إِذَا تَقَدَّدَتْ فِي الْأَجْدَانِ مُعْتَبَرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْحَانُ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ:

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْمَلِكِ مُتَقَرَّرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بِلِ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفْصَافِ مُرْتَفِعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ:

إِضْمِجِ النَّاسَ إِنْ رَمَتْ أَلْمَلَا وَأَكْظِمِ النَّمِظَ وَلَا تُبْدِ الصَّخِيرَ
وَأَجْعَلِ الْمُرُوفَ دُخْرًا إِنَّهُ لَأَتَمُّ أَفْضَلُ شَيْءٍ يَدْخُرُ
إِجْلِلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمَكُّ أَعْنَاقِ الْبَشَرِ

الْبَلْبُ الثَّامِنُ فِي الذُّكَا وَالْأَدَبِ

فِي الْقَتْلِ وَبَاهِيَةِ

١٣٠ قَالَ سَهْلُ الْقَسْرِيِّ: الْقَتْلُ أَنْ تَسْبِيَّ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاكَ فَصَالَ بَعْضُهُمْ: الْقَتْلُ ذَاكَ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ
وَوَرْدٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِمَرَضٍ. حَلَمَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ
بِهِ الْمُتَوَلَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْحُسُوسَاتِ بِالشَّاهِدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى
الْذَّنْبِ وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْمُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ
بِهِ. وَالْقَتْلُ ذَاكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْقَتْلُ الْمَشْتَرَكُ
بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيَعْبَرُ عَنْهُ بِقَتْلِ الْمَاشِ. وَالْأُخْرَى الْقَتْلُ الثَّانِي الْقَتْلُ
الْمَخَاصِ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِقَتْلِ الْفِدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْفِدَايَةَ
فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْمَاقِلُ (الكَتَرُ الدَّفُونَ)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ غَلَا يَفْتَرِيهِ جُنُونُ
وَأَقْتُلُ مَنْ وَاحِدٌ وَطَرِيْقُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ فُتُونُ

فِي شَرَفِ الْقَتْلِ

١٣١ الْقَتْلُ أَحْسَنُ حَلِيَّةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ قِيَّةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ.
وَلَا عَدَلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مُطِيبٌ سَوَاءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلٌّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

ضَلَّ مِنَ الْجَهْلِ صُحْبَةَ الْجَاهِلِ . وَمِنَ الذَّلِّ عِشْرَةَ ذَوِي الصَّلَالِ .
 خَيْرُ الْأَوَاهِبِ الْقَلْبُ . وَشَرُّ الْأَصَابِ الْجَهْلُ . مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ
 وَفَرَ . وَمَنْ عَاشَرَ السُّفَهَاءَ حَزَرَ . مَنْ لَمْ يَتَلَمَّ فِي صُغُرِهِ . لَمْ يَتَدَبَّرْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَتَمَرُّهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَتَمَرُّهُ السَّادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاءُ وَتَمَرُّهُ الْعِفَّةُ . الْقَلْبُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالْقَلْبُ أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يُطَلِّبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يُطَلِّبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَغَزِيْرٌ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (الشبراوي)

١٣٢ حَتَّى الْكَسَائِي أَتَتْهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَادِ
 الْأَمِينِ وَالْمُؤْمِنِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : قَلِمٌ بَلِّتَ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَ كُتُوبِي
 أَفْقٍ يَزِيْنُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارُهُمَا وَقَارَبَا خَطَاهُمَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَني
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ النَّحْوِ . فَمَاسَا لَهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَّا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَرِيْ أَفْقٍ وَقَرِيْ بَشَامَةِ يَزِيْنُهُمَا عِرْقُ كَرِيمٍ وَنَحْدُ
 سَلِيلِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَازِرِي مَوَارِيثِ مَا أَبْقَى النَّبِيِّ الْوَلَدُ
 يَسْلُكُ أَنْفَاقَ الْفَقَاقِ بِشِمَةِ يَزِيْنُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ هِنْدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ

وَأَعْصَانُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّلَالِيَّةِ آدَبٌ مِنْهُمَا أَلَسْنَا . وَلَا أَحْسَنَ آلَهُ ظَلَمَ .
وَلَا أَشَدَّ أَقْدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا خَفِظًا وَدَرِيًّا . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا . وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمًّا . فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَايِ . ثُمَّ صَمَّهَ إِلَيْهِ وَجَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ .
فَلَمْ يَنْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمْعَ تَحْدُرُ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَهُمَا
بِالْخُرُوجِ (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

الْأَنْسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَالِ أَكْثَلُهُ أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ قَالَتَيْنِ وَالْمَاءُ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ السَّلَامِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهُدَى لَمَنْ اسْتَهْدَى أَدْلَاءُ
وَقَدَّرَ كُلُّ أَمْرٍ مَا كَانَ مُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْتُ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نَسَبَنَا جُودٌ وَعِلْيَا
فَقَدْ يَعْلَمُ نَعْنِ حَيًّا بِهِ أَبَدًا الْأَنْسُ مَوْتٌ وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
١٣٣ عِلْمٌ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ أَمْرٌ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْأَكْثَرُ الَّذِي لَا يَفْقَى زَيْدُهُ . وَقَدَرُهُ
عَظِيمٌ . وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ : *

مَا أَحْسَنَ الْعَمَلُ وَالْحَمْدُ مِنْ عَمَلٍ وَأَفْخَجَ الْجَهْلُ وَالْمَذْمُومُ مِنْ جَهْلٍ
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نَطْقُ الرَّءِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سَلَا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَدْبَرَتْ

عَنِ النَّاسِ بِالْإِسْتِغْثَاقِ . فَإِنَّ أَتَاكَ مِنْهَا مُلْكٌ مَعَ جَلٍّ . أَوْ قَاتَكَ مِنْهَا
بُنْيَةٌ مَعَ عَقْلٍ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مِنْ
أَمْكُنِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجِبَهُ بِأَدَائِهِ وَالْآيَةِ . وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ كَالْقُرْبِ الَّذِي يَجْنِي إِلَى النُّقْلَةِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُسْتَكِينِ الْوَصْلَةِ

لَا تَبْتَاسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى حَمُولِكَ أَنْ تَرُقَّ إِلَى الْمَلِكِ
فَيَتَنَا الذَّهَبُ الْإِزْدُخْطُ بِالْقُرْبِ إِذَا صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَفَّاهَا بغيرِ
عَقْلٍ . وَلَا بِمَنْزَلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّهَا بِغيرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُبَهُ مِنْهَا . فَيَخْطُ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعُ إِلَى قِيَّتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَقْطُرَ عِيُونُهُ
وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَا دَحَهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَعْتَدَنَّ عَنْ أَكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَلُّ أَهْقَى عَارٍ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْآيَامِ

(الشبراوي)

١٣٦ سَلَّ الْأَخْفَ بْنَ قَيْسٍ عَنِ الْمَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَأْمُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطَنَ . وَمِلَاكُ مَا عَانَ . وَسَانِسُ الْخَدِّ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَعِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(القيرواني)

قَالَ الْخَضِرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمٍ اللَّهُ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ
فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
بِمَنْ أَلْقَى فِي النَّاسِ صِحَّةَ عَقْلِهِ
وَشَيْنُ الْقَتْلِ فِي النَّاسِ قَلَّةُ عَقْلِهِ
إِذَا اكْتَمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَمَلُ خُلَّةٌ فَخْرٍ مَنْ تَسَرَّ بِهَا
كَأَمَتْ لَهُ نَسَبًا تَنْفِي عَنْ النَّسَبِ
وَأَلْعَمَلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كَأَمَلٍ
بِأَلْعَمَلِ يَنْجُو الْقَتْلُ مِنْ حَوَاقِ الْطَلَبِ
١٣٧ قِيلَ : إِنَّ الْعَمَلَانَ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لَعَنَادَةُ : مَا بَالُ
الْعَمَلَانِ يُجِدُّهُمْ أَذْكَى مِنَ الْبَصَرَاءِ . قَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَصِيرَةَ مِنْهُمْ
أَنْعَلَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفِّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا
فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورٌ
فَلْيِ ذِكِّي وَعَلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
وَفِي فِي صَادِرٍ كَأَلْسِفٍ مَشْهُورٍ
(لَا بِنِ عِدْرِيَّةِ)

فِي الْعِلْمِ وَشَرَفِهِ

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَالْجِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَمَلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَاللَّهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِيَقْتَالَ ذُرَّةٌ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَفْخَامٍ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ مِنْ
طَلِبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لَا فِي نَصْرِ الْمُقْدِسِي)
قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَتَحْمِلُ يَا أَحْيَى بِهِ قَالَ الْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْمِلُ نَفْسُ قَطْطٍ مَعْرِفَتٍ مِنْ قَبْلِ مَا تَفَرَّقَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمَيِّنِ
أَلْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْخَطَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
١٣٩ وَقَالَ أَبُو بَرَزِينٍ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنْ الْعِرَاقِ : يَا بَنِي
عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَنْتَيْتَ بِهِ
كَانَ جَاهِلًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

أَلْعِلْمُ مُبْلَغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مُحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَا لَا تَدْنِسُهُ بِالْمُؤَبَّاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفٍ
أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتَكَ لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَاهِلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْإِزِّ وَالشَّرَفِ
١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
الْعِلْمِ مَا أَمَكَّنَ وَلَا يَمُدَّ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
وَمِنْ الْجَهْلَةِ أَنْ تُعْظِمَ جَاهِلًا لِصِنَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِ نَفْسِهِ
وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَرَّ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَدِينَ بِنَفْسِهِ
وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حَكْمِهِ لَا مِنْ مَلَاخَةِ نَفْسِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ التَّلَامُ قَوْمٌ لَا عُمُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ تَمْسَ الضَّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةً أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصِيرَةٍ
١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَجْرُسُكَ وَأَنْتَ تَجْرُسُ
الْمَالَ . وَأَلْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
يَنْقُصُ بِالنَّفَقَةِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطَى الْمَلِكَ وَالْمَالُ مَمَهُ . وَقَالَ
الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِمُخْتَارَةٍ الرَّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
يَجْمَلُهُ فِي قَلْبٍ مِنْ نِشَاءٍ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعْنَى) أَنَّهُ جَلَاءُ الْمُتَلَوِّبِ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ غَنَمٌ
فَحَاطَرُوا رِوَاةَ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ خِيَارِهِمْ فَصَبَّحَتْهُمْ نَبْزٌ وَحُلُطَتْهُمْ غَنَمٌ
وَلَا تَعْدُونَ عِيَالَكُمْ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ مُجُومٌ هَدَى إِنْ عَابَ مُجِمْ بِدَائِمِهِمْ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا أَصْبَحَ الْهَدَى وَلَا آخَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ

١٤٢ وَعَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ قَدْ جَهِلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
سَمِعْتُ وَكَيْمًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ .
وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْهُ وَمَنْ
لَا يَشْبَعَانِ طَلَابُ الْعِلْمِ وَطَلَابُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا طَلَابُ
الْعِلْمِ فَيَزِدُّ دَارَ رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَلَابُ الدُّنْيَا فَيَزِدُّ دَارَ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ قُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِحْجَدُ وَلَا تَكْسَلُ وَلَا تَكْ غَافِلًا قَدَامَهُ الْعَمَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَأَتَقِهِ وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعًا
وَالْعِلْمُ أَجَلٌ قُورٍ أَنْتَ لَا يَسُهُ فَأَخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالْوَرَعَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ
وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورٌ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الشُّوْرِ لَشُورٌ
وَقِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدٍّ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاضِلٌ وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَمَلِهِ
يُسَاقُ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِجِدِّهِمْ وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْوَرَى كَرٌّ بِأَيْلٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لَدَى الْعِلْمِ وَالْحَيِّ فَأَ هُوَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا كَالْجَاهِلِ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءَ غَيْرُهُ يُدْ كَسُولُهُ بَيْنَ زَهْرِ الْكَمَالِ
وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَبْقَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ لَكِنَّ ذَا يَصْحَبُ الْإِنْسَانَ لِلتَّرَبِّ
إِنَّمَنْ جَنَى ثَمَرَهُ تَحْتَ بَيْتِهِ وَمَنْ يَلْقَى الْقَدْرَ فَوْقَ السَّعَةِ الشَّهْبِ
١٤٣ قَالَ الْمَلْهَبَادِيُّ مُنْزِعًا عَلَى تَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

يَا سَاعِيًا وَطَلَّابًا أَلْمَالُ هَمَّةٌ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَمَلِ وَالِدَيْنِ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ عَيْرٌ مَبْنُونٌ
 أَلْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَسْقِي لِقَائِي أَبَدًا وَالْمَالُ يَبْقَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينٍ
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا زَالَ بِالْبُعْدِ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْمِرَنَّ عَلِيمًا وَإِنْ خَطَفَتْ أَتَوَّابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
 وَانْظُرْ إِلَيْهِ بِمَنْ ذِي خَطَرٍ هَدَّبَ الرُّأْيَى فِي طَرَائِقِهِ
 فَأَلْسُكَ هَمًّا تَرَاهُ مُتَمَتِّيًا يَفْهَرُ عَطَارِهِ وَسَاحِقِهِ
 حَتَّى تَرَاهُ مَارِضِي مَلِكٍ وَمَوْضِعُ الْكُجِّ مِنْ مَقَارِقِهِ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَأَطْلُبْ هُدًى فَنُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
 كَمَنْ سَيِّدٌ بَطْلٌ أَبَاؤُهُ تُحِبُّ كَانُوا الرُّؤْسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذُنُوبًا
 وَمُقَرَّرٌ خَامِلٌ إِلَّا بَاءَ ذِي أَدَبٍ تَالِ الْمَالِي بِالْأَدَابِ وَالرَّحْمَةِ
 أَلْعِلْمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نِعَمَ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِيحًا
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ تَخْصُصٌ ثُمَّ يَحْرُمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذَّلَّ وَالْحَرَبَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَنبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُخَادِرُ مِنْهُ أَلْفُوتٌ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعُ الْعِلْمِ نِعَمَ الْخَيْرِ تَجْمَعُهُ لَا تُعْدِلَنَّ بِهِ ذُرًّا وَلَا ذَهَبَا
 ١٤٤ قَالَ عُبَيْدُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالنَّهْبِ يَزْدَادُ رَفْعُ الْهَيْئَةِ قَدْرًا بِمَا تَطْلُبُ
 فَأَلْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَزْهَوُ بِشَرِّكَهَا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِالْآثِمِ

كَمْ يَرَفُّ الْعِلْمُ اسْتِخْصَامًا إِلَى رُتَبٍ وَيَنْخَسِرُ الْجَهْلُ أَشْرَاقًا بِلا أَدَبٍ
 الْعِلْمُ كَثْرَ فَلَا تَقْنَى ذَخَائِرُهُ وَالرُّبَا مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
 قَالَ الْعِلْمُ قَاتِلُ الْبُخْلِ يُجْدِلُ بِشَجْوَاهُ كَالْقَوْتِ لِلْجِمِّ لَا تَطْلُبُ غَنًى لِلْمَغْبِ
 قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَرَّسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ فَتَحَذَّوْا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَحْسِنَةُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعْلَمُ مَا اسْتَطَعْتَ بِحَيْثُ نَسَمِي فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِلرِّجَالِ
 لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْآخِرَةِ تَزَانٌ بِهِ الْمَالِ
 قَالَ آخِرُ:

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُتَمَسِّبًا
 إِنْ كُنْ إِلَيْهِ وَثِقًا بِاللَّهِ وَأَعْنِ بِهِ وَكُنْ حَلِيمًا زَيْنَ الْعَقْلِ مُحْتَرِسًا
 وَكُنْ قَنِي مَاسِكًا خَضِرَ التَّقَى وَرَعَا لِلَّذِينَ مُتَمَسِّبًا فِي الْعِلْمِ مُتَمَسِّبًا
 فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَدَابِ ظَلَّ بِهَا رَيْسَ قَوْمٍ إِذَا مَا قَارَقَ الرُّوسَا

وصف الكتاب

١٤٥ أَلِكِتَابُ نِعَمِ الْإِنْسَرِ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمِ الْمَرْفَعَةِ فِي
 دَارِ الْمَرْبَةِ . وَنِعَمِ الْقَرِينِ وَالْذَّخِيلِ . وَنِعَمِ الزَّائِرِ وَالزَّائِلِ . وَعِلْمِ الْإِلَى
 عَلَمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءَ الْمُلَى . نَزْحًا وَجَدًا . وَحَبْدًا بَسْتَانًا يَجْمَلُ فِي خُرْجِ
 وَرَوْضِ ثَقْلٍ فِي حِجْرِ . هَلْ سَمِعْتَ لِشَجَرَةٍ قُوَّتِي أَكْثَرُ أَكْلٍ حِينِ

بأوانٍ مختلفة وطعمٍ متباينة. هل سمعت بشجرة لا تذوي موزهر لا بتوي.
 وغير لا يفتي. ومن لك يجلس يفيد الشيء؟ وخلافه والجلوس وضده.
 ينطق عن الموتى ويرجم عن الأحياء. إن غضبت لم يعضب. وإن
 عربت لم يعضب. أكنتم من الأرض. وأنتم من الريح. وأهوى من
 الأهوى. وأخذع من المني وأمتع من العصى. وأنطق من سخبان وأبل
 وأعبا من بابل. هل سمعت بمعلم يحلّ بخلاف كثيرة وجمع أوصافاً عديدة.
 عربي فارسي يوناني هندي سندي رومي. إن وعظ أسمع. وإن ألقى
 أمتع. وإن أتكى أدمع. وإن ضرب أوجع. يفيدك ولا يستفيد منك.
 ويذيدك ولا يستزيد منك. إن وجد قبره. وإن مرع قبره. قبر
 الأسرار وتخزين الودائع قيد العلوم. ويبيع الحكم ومعدن
 المكارم. ومونس لا ينام. يفيدك علم الأولين. ويخبرك عن كثير من
 أخبار المتأخرين. هل سمعت في الأولين أو بلك أن أحداً من السابقين
 جمع هذه الأوصاف مع هذه مؤونته وخفة تحمله. لا تذرك شيئاً من
 دينك. نعم المدخر والمعدة. والمستقل والحرفة. حليس لا يطربك
 ورفيق لا يملك. يطيبك في الليل طاعته في النهار. ويطيبك في السرير
 معاته في الحضر. إن أطلت النظر إليه أطال إمتالك. وتخذ طبعك.
 وتسط لسانك. وجود ياتك. وقم القاطك. إن آتته خلد على
 الأيام ذكرك. وإن درسته رفع في الخلق قدرك. وإن نمته نوه عندهم
 بأهلك. يفيد السيد في مقاعد السادات. ويجلس السوقة في مجالس

الْمَلُوكِ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَاحِبِهِ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقِ (الكَثَرِ لِلدُّفُونِ
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسِيرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخُلَاطِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوْلَيْهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِثُهُمْ قَدْ أَفْرَعَتْ مِنْهُمْ حَضْرَتٌ . فَلَمَّا عَادَ الْخُلَاطِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَآخِرُهُ
 ذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيَجُكُ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ . قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَمَّا جُلَسَا مَا تَمَلَّ حَدِيثَهُمْ إِلَيْهِ مَأْمُونُونَ غِيَابًا وَمَشْهُدًا
 يُفِيدُونَ تَأَمِّنَ عَلَيْهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيبًا وَنَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُفْنَدًا
 فَعِلِمُ الْخَلِيفَةِ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يَتَكَّرْ عَلَيْهِ تَأَخُّرُهُ
 ١٤٧ طَلَبَ الْمُسْتَغْنِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلُوحِيهَا وَيَقْطَعُ بِطَالِعِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَعَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى التَّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرَضَ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمَلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ بِمَا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحْمِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْوَزِيرُ قَالَ لِنَوَائِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصَلُوا لَهُ كُتُبًا يَلُوحِيهَا وَيَسْتَعْلِمُهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . قَدْ حَصَلَتْ لَهُ مَا يُعْرِفُهُ مَصَارِعُ الْوَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقُ إِلَى اسْتِغْرَاجِ الْمَالِ وَيُعْرِفُهُ خَرَابُ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رَدُّهَا
وَحَصْلُهَا كُتِبَ فِيهَا حِكَايَاتُ ثُلَمِيهِ وَأَشْمَارُ تَطَرُّبِهِ . (للنحري)

قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْخِطِّ وَالْإِسْطَهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْخِطِّ حُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِلْكِتَابِ أَقْلَبَ تَعْرِفَهَا
الْمَاءَ يُعْرِفُهَا وَالتَّارَ يُخْرِجُهَا وَالْقَارَ يَحْرِثُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِحُهَا

فِي الْبِلَادِ وَالْبَلَاةِ وَالنَّصَاحَةِ

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : الْبَلَاءُ تَرْجَانُ الْقُلُوبِ وَصَيَلُ الْقُلُوبِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ الْجَاهِظُ : الْبَلَاءُ أَسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَادُ الْفَرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْفَنَيْدِيُّ : الْبَلَاةُ تَصْبِيحُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِيغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ الْفَقْطِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى وَقِيلَ : إِنْ مُوَايَةِ سَأَلَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغَ النَّاسِ .
هَئَالَ : أَقْلَهُمْ قَطًّا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَلِيغَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاةُ مَا فَهَمَتْهُ الْعِلْمَةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يُعَلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاةُ مِيدَانُ لَا يُقَطُّ إِلَّا بِسَوَاقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسْلَكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
الْبَلَاءِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاةُ مِيدَانُ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِمُصَوِّرِ عَيْنِكَ نَعْرِفُ

يَهْدِي الْمَذْرُوفَ فِي تَقْلِيمٍ بَشَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الدَّرْ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩. وَقَالَ أَهْلُ السُّبُحِيِّ: أَلْبَيْحُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَعْلًا وَمَعْنَاهُ بَيْحًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّمَا يُلَوِّغُ الرَّجُلُ مِيسَارَتَهُ
 كَيْفَهُ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْإِيْجَازِ الْغَلِيْلِ. وَالْغُلُوْلُ الْمَعْلُومُ.
 وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فَهَذَا قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْقَصَاحَةَ خُلُوصُ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ وَأَصْلَاهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَصَحُّ الْكَلِمِ
 إِذَا اخْتَلَفَتْ عَنْهُ الرُّغْوَةُ. وَأَثَرُ الْبَلَاغَةِ لَا يَسْتَدُونَ بِفَرْقٍ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَمْلِكُونَهَا اسْتِعْمَالُ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدَةٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَيُزَعِّمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعْنَى وَالْقَصَاحَةُ فِي الْأَلْفَاظِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 قَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَبَّتْ حَتَّى يَتَكَلَّمَ فَإِنْ
 كَانَ قَصِيحًا عَظَمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصُرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (اللابِشِيهِي)

في الشعر

١٥٠. كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْنَى حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَهْلِهَا.
 يُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلامِ أَمْرَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ
 السُّبُحِيِّ: الشَّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُقَامُ بِهِ الْجَالِسُ وَتُسْتَجَبُ بِهِ
 الْحَوَاجِجُ وَتُنْفَقَى بِهِ الشَّغَائِمُ. وَيُقَالُ: أَلْدَحُّ مَرَّةً الْكَرَامَ. وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ سِرِّ الْوَلَدَيْنِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْ تَوَفَّرَ الشُّعْرَاءُ فَإِنْ
 ظَلَمَتْهُمْ تَبَقَّ وَعَقَابُهُمْ لَا يَنْفَعِي. وَهُمْ الْحَاكُمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ : الشَّعْرُ الْحَمِيدُ هُوَ الشَّعْرُ الْحَلَالُ . وَالْعَدْبُ الرُّذَالُ . إِنْ مِنْ
الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ . وَكَانَ يُقَالُ : لَشَرُّ بَطْشٍ بَطْشُ
الشَّرِّ . وَالشَّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّفْسِ فِي الْحَجْرِ . وَقِيلَ لِحَمْرَةَ بْنِ يَمِينٍ :
مَنْ أَشَعْرُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا
مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دَعْبِلُ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدْحِ
الشُّعَرَاءِ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَجْرَاهُ النَّاسُ فَهَالُوا : كَذَّابٌ . إِلَّا
الشَّاعِرُ فَإِنْ يَكْذِبُ اسْتَحْسَنَ كَذِبُهُ . وَتَحْتَمِلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
عَمَّا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَلِيكَ أَنْ يُقَالَ : أَحَسَّتْ . (وَفِيهِ) أَنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكُ أَوْ
السُّوْقَةَ إِذَا صَبَرَ أَبْنَاهُ فِي الْكُتُبِ أَمَرَ مُعَلِّمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الشَّعْرَ . لِأَنَّهُ
تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْحَالِ . وَتَضَرَّبَ فِيهِ الْأَمْتَالُ تُعَرِّفُ بِهِ مُحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ
وَمُسَائِنُهَا فَتَذَمُّ مُحَمَّدٌ وَتُفْخِي وَتَمْدَحُ . وَأَيُّ شَرَفٍ أَبْقَى مِنْ شَرَفٍ
يَبْقَى بِالشَّعْرِ . (وَفِيهِ) أَنَّ أَمْرًا الْقَبْسَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي مَلِكٍ فَكَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ .
وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا
مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَوْلَا خِلَالُ سَهَا الشَّعْرِ مَا دَرَى بِنَاءَ الْمَعَالِي كَيْفَ بَنَى الْمَكَارِمُ
وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشَّعْرَ يُحْيِي الْجُودَ وَالْبَأْسَ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطَرَاتُ
وَمَا الْجُدُّ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَحِيرَاتُ

١٥١ (فَصَلِّ لِأَيِّ بَكْرٍ أَلْحَازَ رَجِي جَامِعُ لَدُنْجِ الشُّعْرَاءِ) مَا ظَنَّاكَ
 بِقَوْمٍ أَلَا قَتَصَارُ مَحْمُودٍ إِلَّا مِنْهُمْ. وَالْكَذِبُ مَلْعُومٌ وَمَرْذُودٌ إِلَّا فِيهِمْ.
 إِذَا ذَمُّوا تَلَمَّسُوا. وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا. وَإِذَا رَضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ.
 وَإِذَا غَضِبُوا. وَضَعُوا الرِّفْعَ. وَإِذَا أَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبَارِ. لَمْ
 يَلْزَمْ حَدٌّ. وَلَمْ تَمُدَّ إِلَيْهِمُ بِالْمُعْوِيَةِ يَدٌ. غَيْبُهُمْ لَا يُصَادَرُ. وَقَصِيرُهُمْ لَا
 يُسْتَعْمَرُ. وَسَيِّئُهُمْ يُؤَفَّرُ. وَشَاهِبُهُمْ لَا يُسْتَعْمَرُ. سِهَامُهُمْ تَقْدُ فِي
 الْأَعْرَاضِ. وَشَهَادَتُهُمْ مَعْبُولَةٌ. وَإِنْ لَمْ يَنْطَلِقْ بِهَا سَجِيلٌ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدْلٌ. بَلْ مَا ظَنَّاكَ بِقَوْمٍ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ. وَمَسَامِيرَةُ
 الْقُصَصِ وَالْكَمَالِ. بَلْ مَا ظَنَّاكَ بِقَوْمٍ أَنْهُمْ نَاطِقٌ بِالْفَضْلِ. وَأَنْهُمْ
 صِنَاعَتُهُمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَدْلِ. بَلْ مَا ظَنَّاكَ بِقَوْمٍ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ.
 يَقْصِرُونَ طَوِيلَهُ. وَيَطْوِلُونَ قَصِيرَهُ. يَقْصِرُونَ مَحْدُودَهُ. وَيُخَفِّقُونَ
 نَقِيلَهُ. وَلَمْ لَا أَقُولُ: مَا ظَنَّاكَ بِقَوْمٍ يَنْتَبِهُمُ الْتَاوُونَ. وَفِي كُلِّ وَادٍ
 يَهْمُونَ (لَا يَنْصُرُ الْقَدْسِي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ أَلَمَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ: مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا. فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَنْسَعُ وَتَرْدَادُ
 عِظَمًا. وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا. أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بَيْنَهُ فَقَالَ لَهُمْ:
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَيِّبَةٌ وَأَنْفُسُهُا قَيْمَةٌ. يَرْفَعُ الْأَخْسَابَ الْوَضِيعَةَ.

وَيُمِيدُ الرِّعَابَ الْجَلِيلَةَ . وَيُنْفِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارَ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةً . وَزَيَّنُوا بِهِ جِلْبَةً . يُوَاسِدُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْخَفِيَّةَ . وَأَنْشُدِ الْأَصْبَحِيَّ :

إِنْ كَانَ لِلْقَلَمِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْقَلَمِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ عِلَاقِ الْأَدَبِ
إِلَيَّ رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ الْمُخْطَلَا بِالْتَرَبِّ تَطَهَّرَ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَزْرَجَمَرُ : مَا وَرَثَ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاءُ خَيْرًا مِنْ الْأَدَبِ .
لَا تَهْمُ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمَالًا وَلَا يَهْلِكُ يَتِيمُونَهُ . وَقَالَ : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرُ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَاتَّقُوا خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ أَذْرَكَ مِنْ فَائِدَةِ الْأَدَبِ . وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَتْ مَنْ أَذْرَكَ
الْأَدَبِ . وَقَالَ ابْنُ عَابِثَةَ الْفَرَسِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمْ الْأَكْثَرُونَ
وَأَنْ قُلُوا . وَحَلَّ الْأَنْسَ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِأَبْنَيْهِ :
يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ قَتْلَمَةُ
نَجْدَةٍ حَيْثُ نَحَبُ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيِّ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبِ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِأَبْنَيْهِ : يَا بُنَيَّ عِزُّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشَيْكَ ذَهَابُهُ . جَدِيدُ آتِيَةِ طَاعُهُ
وَأَنْتَقِلَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى حَمُولٍ وَذُئُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَأْيُ
وَأَصْبُ . لَا يَزُولُ بِزَوَالِ أَمَالٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَدَّمَ بِهِ حَسَبَهُ . تَهَضَّ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : جِلْبَةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفَى . وَحُرْمَتُهُ لَا تُخْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْقَلَمِ فَحَسَنَ عَمَلِكَ كَيْفَ

شئت. قال يزدهم: من كثر أدبه. كثر شرفه وإن كان قبل
 ونسباً وبعد صيته وإن كان غاملاً. وساد وإن كان غريباً. وكثرت
 الحاجة إليه وإن كان فقيراً. وقالوا: الأدب أدبان أدب القرينة
 وهو الأصل وأدب الرواية وهو القرع. ولا يتفرع الشيء إلا عن
 أصله. ولا ينمو الأصل إلا باتصال المادة (للشرشي)

١٥٤ وقال حبيب فأحسن:

وما السيف إلا زينة تو زكته على الخلق الأولى لما كان يقطع
 وقال آخر:

ما وهب الله لأمرئ هبة أفضل من عقله ومن أدبه
 هما كمال ألقى فإن فهدا ففقدته للحياة أحسن به
 وقيل: إذا كان الرجل ظاهر الأدب ظاهر الثبوت تأدب بأدبه
 وصلح بصلاحه أهله وولده. وقال الشاعر:

رأيت صلاح الرء يصلح أهله ويهديهم عند انقساد إذا فسد
 يعظم في الدنيا لأجل صلاحه ويحفظ بعد الموت في الأهل والأولاد
 قال غيره:

لمترك ما للإنسان إلا ابن يومه على ما تجل يومه لا ابن أمسه
 وما اتقى بالعظم الرميم وإنما فحار الذي يبنى افتقار بنفسه
 ١٥٥ الأدب مال. واستعماله كمال. بالتعبد يصلح كل أمر
 وبالعلم يقطع كل شر (للشراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَصَ نَبِيكَ عَلَى الْأَدَابِ فِي الصَّغَرِ كَمَا تَحَرَّاهُمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَأَمَّا مِثْلُ الْأَدَابِ تَجَمُّعُهَا فِي عُتُوانِ الصَّبَا كَالنَّشْرِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْتَوِي ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَمَلِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمُ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدَّبَائِحِ وَالسَّرَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ الْأَدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَمِعَ الْفَلَاحَ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الْأَدَابُ الظَّاهِرَةُ

١٥٦ (الْأَدَابُ فِي الْأَكْلِ) : قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
عَلَيْكَ بِاسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يُلْحِقَ
بِالْأَدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ
وَأَلَّا يَأْكُنَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ أَجَبَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضْمَ شَفَتِكَ وَلَا تَلْتَمِشْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَلَا تَلْقَنَّ
بِسُكِّينَ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَرْقَى مَنَزَلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِينِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حَسَنِ الْأَدَابِ أَنْ يُعْرَضَ عَنِ
الْعِطَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ قَلَّ حِلَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ
حِلَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَفَسَدَ قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَفَرَةِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُنْكَثَرِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهْمًا شَرَاهَا

أَخْرَجُوهُ مِنْ مَكَلَمَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الِإِحْتِقَارِ (للابشيحي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضَيَّفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَاقَهُ وَيُظَاهِرَ لَهُمْ النَّعْيَ
وَيَسْطُرَ الْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى. قَالُوا:
فَكَيْفَ يَمُنُّ بِأَيِّهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ صَحَّ الشَّيْخُ تَمَسُّ الدِّينِ
الْبُدْيُوي هَذَا الْكَلَامَ بِأَيَّاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنَزِلَ مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرْمَنَهُ لَدَيْكَ أَسْأَلُكَ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَظَلْ مَرَحًا أَهْلًا وَيَوْمَ مُبَارَكُ
وَقَدِمَ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَجْعَلْ بِنَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْنَ سَالِفٍ مُتَقَدِّمٍ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةً وَجْهَهُ الْمَرْءُ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ يَمُنُّ بِأَيِّهَا وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَّ الْأَضْيَاقَةُ الْإِطْلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلٍ وَهَلَوُ وَإِطْلَاقُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاطِنِ. وَلِلَّهِ دَرَمَنُ قَالَ:

أَللهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّيْنِي شَيْءٌ كَهَارَقَةِ الضُّيُوفِ الْهَزْلُ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرَجِيبِ حَتَّى خِلْتَنِي صَبَقًا لَهُ وَالضُّيْفُ رَبُّ الْمَنَزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حُدَّانَ:

مَنْزِلًا رَحْبٌ لِمَنْ زَادَهُ فَحْنٌ سَوَاءٌ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَلِيٌّ بْنُ وَائِلٍ:

وَأَنَّا نَتَّبِعُ الضَّيْفَ قَلِيلَ زُرُولِهِ وَنُشْمُهُ بِالْبَشْرِ مِنْ وَجْهِ صَانِعِهِ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الضَّيْفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ. وَلَا
 يَتَمَّ قُلُوبَهُمْ. وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ. وَيَبْشُرُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَلَمَّ
 عِنْدَ وُجُودِهِمْ. وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ مَا يَرُوعُهُمْ بِهِ. وَيَجِبُ عَلَى الضَّيْفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ. وَلَا يَنْضَبُ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ.
 وَلَا يَنْقُصُ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ. وَلَا يَبْسُ بِوَجْهِهِ. وَلَا يُظْهِرُ نَكِدًا.
 وَلَا يَهْرُ أَحَدًا وَلَا يَشْمُهُ بِحُضُورِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورَ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرُ مَعَ أَضْيَافِهِ وَلَا يَنْسَهُمْ بِلَذِيذِ الْحَادِثَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ. وَأَنْ يَسْتَيْلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَدَلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الْطَّرَفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ. وَعَلَى الضَّيْفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ. هَذَا قِيلَ: ثَلَاثَةُ تَضَيِّ سِرَاجٍ لَا يَضِي
 وَرَسُولٌ بَطِي. وَمَا يَنْتَظِرُ لَهَا مِنْ يَحْيَى. وَمِنْ أَلْسِنَةٍ أَنْ يُسْمِعَ
 الضَّيْفَ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (الابشيحي)

١٥٩ قَالَ بَصْرُ السَّلَفِ: مَا اسْتَكْمَلَ عَمَلٌ أَمْرِي حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ. الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا. وَالْكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا. نَفْسُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا التَّوْتُ. وَالذَّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ. وَالتَّقَرُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى.
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ. وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ.
 وَلَا يَسْأَلُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طَوْلَ غَيْرِهِ. وَلَا يَتَرَمَّ مِنْ طَلَبِ الْحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ. وَالْمَأْمُورَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لَا بَنَ الْمَعْرُ)

أَبْجَدِيَّةُ النَّاسِ فِي الْأَطَافِ

الحناد والامير

١٦٠ حَكِي أَقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيدِي النَّابِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ السَّعِيدِ أَبِي ظَفَرٍ أَيَّامَ وَلَا يَتَبَهُ لِشَرِّ قَوْجِدُهُ يَقَطُرُ دَهْنًا
عَلَى خَنْصَرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ قَدْ كَرَّ ضَيْقُ خَائِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ لِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : أَلَرَأَيْ قَطَعَ حَلَقَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَقَامَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْطَحُ
لِذَلِكَ . فَاسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْخُدَّادِ الشَّاعِرَ فَصَغَّرَ حَلَقَتَهُ وَأَشْدَّ بِدَبِيحًا :
فَصَرَّ عَنْ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ الْتَأْوُرُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنُّ الْبَحْرَ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْحَاطِمِ
فَاسْتَحْسَنَ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلَقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ عَزَالٌ مُسْتَأْنَسٌ وَقَدْ رُبَّصَ وَجَعَلَ رَأْسُهُ فِي
حُجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بِدَبِيحًا :

عَجِبْتُ لِمَا أَوْهَذَا النَّزَالِ وَأَمْرِي تَحْطَى لَهُ وَأَعْتَمِدُ
وَأَعْجِبُ بِهِ إِذْ بَدَأَ جَانِبًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدُ
فَرَادِ الْأَمِيرِ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْأَسْتَحْسَانِ (بدائع البداة للارزدي)
١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْفَتَى :
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَمَلَّتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعُ الْكَلَامِ فَهَلَا

وَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ أَوْدَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دِرَاهِمُهُ الَّتِي يَذْهَبُهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْحَقِّ قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا تَطَقَّتْ عَمَّا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدِّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالَ
فَهِیَ اللِّسَانُ لَمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَ

الحجاج والفتنة

١٦٢ أَمَرَ الْحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِاللَّيْلِ مَنْ رَأَاهُ بَعْدَ
الْمَشَاءِ سَكْرَانٌ ضَرْبَ عُنُقِهِ فَطَافَ لَيْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتَّانٍ
يَتَمَلَّكُونَ وَطَنَهُمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْفُلَّانُ . وَقَالَ لَهُمْ
صَاحِبُ الْحَرَسِ : مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ تَحْزُونِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ بِأُخْذٍ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِيَارِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّاهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَبْرُلُ الدَّهْرَ قَلْبُهُ وَإِنْ تَرَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَسْوُدُ
تَرَى النَّاسَ أَهْوَابًا إِلَى صَوْنِ تَارِهِ فَتَنْهَمُ قِيَامَ حَوْلِهَا . وَفُسُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّاهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَشَدَّ عَلَى الْبَيْتَةِ :
 أَنَا ابْنُ مَنْ خَاصَّ الصُّغُوفُ بِزَمِيهِ وَقَوْمًا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
 وَرُكْبَاهُ لَا يَفُكُّ رَجُلَاهُ مِنْهَا إِذَا خَلِيلٌ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَيْتَ
 فَأَمْسَكَ عَنْ الْآخِرِ وَقَالَ : لَمَّا ابْنُ أَسْمَجٍ الرَّبِّ وَأَحْضَطَ عَلَيْهِمْ .
 فَلَمَّا كَانَ الصَّاحُ رَفَعَ أَرْهَمَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
 حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حُجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قُوَالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 حَامَلِكٍ . فَتَجَبَّ مِنْ قَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحَسَانِهِ عَمِلُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبُ
 قَوْلَهُ لَوْلَا قَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابو العلاء وكتاب النصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ النُّصُوصِ . وَاتَّفَقَ
 لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَتْفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ جَيْنٌ كُلُّ لِفَلَامٍ
 لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَغَيْرَ النَّهْرِ نَهْرَ قَرْطَلَةَ . فَكَانَتْ الْفَلَامُ رِجْلَهُ
 فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
 الرَّئِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحُضْرَةِ الْمَنُصُورِ وَهُوَ :
 قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ النُّصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثِقَلٍ يَغْرُصُ
 فَصَحَّحَ الْمَنُصُورَ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرَوْا ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَةً .
 وَقَالَ مَرْثِيًّا عَجَبًا لِابْنِ الرَّئِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوْجَدُ فِي قَعْرِ الْبَحَارِ النُّصُوصُ
 (كِتَابُ الْمَحَبِّ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَاكِنِيِّ)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بَعْوَةَهَا:
لَكَ مَنَزْلٌ كَمَلَتْ سِتَارُهُ لَنَا اللَّهُ لَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ حَدِيثٌ
غَنَى الدَّيَّانُ وَظَلَّ تَدْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبُعُوضُ وَتَقْصُ الْبُرْعُوثُ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

لَيْلُ الْبُرْعُوثِ وَالْبُعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِإِلَاعُوضٍ
فَذَلِكَ يَنْزُو وَيَبْرُقُ وَذَا يَنْتَبِي بِإِلَاعُوضٍ
فَتَبَيَّنَ فَصِيحٌ

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْأَمِيرِ جِئْنَ قُضِيَتْ
ضَائِعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَابْنُ دَوْلَتِكَ وَغُصْنُ مِنْ أَغْصَانِ
دَوْلَتِكَ. أَقْتَادُنِي فِي الْكَلَامِ. قَالَ: نَعَمْ. فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ: أَمْتَمْنَا اللَّهُ بِحَيَاةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا. وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا.
بِقَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَتَسَالَهُ أَنْ يُزِيدَ فِي عَمَلِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا. وَفِي
أَثَرِكَ مِنْ أَثَارِنَا. وَيَقْبَلَ الْأَذَى بِأَسْنَانِنَا وَأَبْصَارِنَا. هَذَا مَقَامُ
الْعَانِدِ يَطْلُقُ. أَهْلًا رِبَ إِلَى كَفِّكَ وَفَضْلِكَ. أَتَقْبِرُ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ. ثُمَّ سَأَلَ حَوَالِجَهُ فَضَّاهَا (للشريشي)

علي بن اللهم

١٦٦ سَخِطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُجْمِ فَقَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ. وَكَبَّ
أَنْ يُصَلِّ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طاهر بن عبد الله ثم أخرجه . فصله إلى الليل مجزئاً . قال :
 لم يصلوا بالشاذليخ عشيّة إلا إثنين مسبوكة ولا يحولوا
 نصبوا بحمد الله ملء عيونهم شرفاً وملء صدورهم نجيلاً
 ما ازداد إلا رفعة وسعادة وازدادت الأعداء عنه نكولاً
 هل كان إلا الليث فارق غيله قرأته في تحمل تحولا
 ما عابه أن قد رعت لباسه كالسيف أحصل ما يرى مسؤلوا
 وقال في المجلس :

قالوا حبست قلت ليس بضائر حبي وأبي مهدي لا يبعد
 أو ما رأيت الليث يالف غيله كبيراً وأوباش السباع تصيد
 قالتمس لولا أنها تحجوبة عن ناظر يك لما أضاع الفرقد
 والتأخر في أنجارها تحوّه لا تصطي إن لم تترها الأرنبد
 والجلس إن لم تنشأ لذية شتاء نعم المنزل المتورد

دولاب بن حبيب وهشام

١٩٧ غطت البادية أيام هشام بن عبد الملك . فوجد عليه رؤس
 القبايل . تجلس لهم وفيهم صبي ابن أربع عشرة سنة يسمى درواس .
 ابن حبيب . في رأسه ذوابة وعليه بردة يمانية فاستصره هشام
 وقال لحاجيه : ما يشاء أحد أن يصل إلينا إلا وصل حتى الصبيان .
 فقال درواس : يا أمير المؤمنين إن دخولي لم يجل بك ولا أتمصك
 ولكته شرقي . وإن هؤلاء قديموا لأمرى فهاؤك دونه . وإن الكلام

نَشْرَ وَالسُّكُوتَ طَيًّا لَا يُعْرِفُ إِلَّا بَشْرَهُ . فَأَجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَتَشْرُ لَا أَمْ لَكَ . قَالَ : إِنَّا أَصَابْنَا سِتُونَ ثَلَاثًا . فَسَنَةُ أَكَلَتْ
 الْحُمْ . وَسَنَةُ أَذَابَتْ السَّحْمَ . وَسَنَةُ أَنْفَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَرَفُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَكُمْ فَلَا تَحْسُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَإِنْ أَلْوَانِي مِنْ
 أَرْعِيَّةٍ كَأَرْوَحٍ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . قَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ
 الْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عَذْرًا . وَأَمْرَ بَيَّانَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ قَرَقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَلَدِيَّةِ . وَأَمْرَ لَهُ بَيَّانَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . قَالَ : أَرَدَدَهَا فِي
 جَارِيَةِ الْعَرَبِ فَأَلِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةٍ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (لِلشَّيْخِ)

الشعر القوي

١٦٨ يُحْكِي أَنْ يَنْفَرِ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِقَصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْبَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَكَسَبَهُ إِلَى
 سِرِّهَا . فَأَرَادَ الْمَدْحُوحُ أَنْ يُعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ يُعَدُّ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيعَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ الْمَدْحُوحُ الشَّعِيرَ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَدْحُوحُ لِلْبَوَائِبِ سِرًّا : لَا تَمْكُتُوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . فَرَفَعَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِيَّينِ حَازِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَدْحُوحُ مِنْ سَأَلِهِ وَقَالَ لَهُ : مَا سَأَلْتُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِقَصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَارَكَ

عليها . قَالَ : هَذَا الْمَدُّ الشَّعِيرَ . قَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَشَدَّ بَدِيهَا :
يَقُولُونَ لِي أَرَضَيْتَ شَعْرَكَ فِي الْوَدَى . هَلَّتْ لَهُمْ مِنْ عُدْمِ أَهْلِ الْكَارِمِ
أُخِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَلَصْتُ مِنْ بَهَائِمِ
قَلَمًا بَلَغَ الْمَدُّوحُ هَذَا الْيَتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْفَصِيدَةَ مِنْ
نَفْلِهِ . فَرَسَ لَهُ بِجَارَةِ سَنِيَّةٍ

النصور وابن هبيرة

١٦٦ لما حَاصَرَ النُّصُورُ ابْنَ هُبَيْرَةَ بَثَّ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ :
تَارِزُنِي . قَالَ : لَا أَفْعَلُ . قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِأَشْرَفِ امْتَسَاكَ
وَلَا أُعِيرُكَ بِهِ . قَالَ النُّصُورُ : مَتَى مَا قِيلَ : إِنَّ خَيْرِيَا بَثَّ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . قَالَ الْأَسَدُ : لَسْتُ بِكُفُؤِي . قَاتِي إِنْ
قَتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ . وَإِنْ قَتَلْتَنِي لِحَنِي وَصَمُّ عَظِيمٌ . قَالَ لِأَخِيهِ
السَّيَّاحِ بَكُولِكَ . قَالَ الْأَسَدُ : ائْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ
مِنْ ائْتِلَافِ بَدَمِكَ . فَجَلَّ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (لِلنَّوَاجِي)

١٧٠ مَا أَرَقُّ وَأَجُودَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْفَرَاقِ :

مَا الدَّارُ قَدْ غَبِمْتُ يَا سَادِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْحَارُ مُذْغِبُمُ لَنَا جَارُ
غَبِمْتُ فَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بِعِدِّكُمْ وَأَطْلَمْتُ بِمَذْكُومِ رُحْبٍ وَأَفْطَارُ
لَيْتَ الْفَرَابَ الَّذِي تَادَى بِفَرْقَتِنَا يَرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تَرَى تَسُودُ لَيَالِنَا أَلْيِي سَلَفَتْ كَمَا عَهْدَنَا وَجَمَعَتْ بَيْنَنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَلِيحُهُدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِ الْأَيَّاتُ :
 أَتَى سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْفَرَسِ قُبْرَةً تُبْدِي إِلَيْهِ حَرَادًا كَانَ فِيهَا
 وَأَنْشَدَتْ فِي لِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهُدْيَةَ مِنْ مِثْقَالِ هَاجِلِيهَا
 لَوْ أَنَّ يَهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ لَكَانَ يَهْدِي إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا
 فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَازَهُ
 (طراف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَحْمَقِيُّ فِي تَرْغِيدِ اللَّبْلُ :
 أَيُّهَا اللَّبْلُ الْمَرْغُودُ فِي الْفَخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِ حَيْرَانَا
 أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو قَوْقُ أَفَانٍ تَخْلَعُ وَرَشَانَا
 هَاجِلِي صَوْنِكَ الْمَرْغُودِ تَجِبُوا رَبِّ صَوْتِ يُعْمِجُ الْأَخْرَانَا
 ١٧٣ وَقَالَ نَصْرَبْنِي سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَمَائِرِ الشُّرُودِ :
 أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِيسِرَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضَرَامُ
 فَإِنْ لَمْ تُطْفِئْهَا عَمَلًا قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثْثٌ وَهَامُ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِ تَذْكِي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ بَوْمَا أَلْأَصْحَابَةَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
 أَلَمُوتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ يَدْخُلُهُ يَأْتِي شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
 فَقَالَ عَمْرُ :

الدَّارُ دَارُ تَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنْ خَالَفْتَ قَائِلَ الدَّارِ
 فَأَجَازَهُ عُثْمَانُ :
 هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَارَهُ عَلَى يَقُولِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ يَسُوءُ الْفَرْدُوسَ إِنْ عَمِلُوا وَإِنْ هَمُّوا هَمُّوهُ قَالَتْ هَؤُلَاءِ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِي يُشَوِّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذُكِرْتُ بِالْأَدْيِ فَأَسْتَهْلَتْ مَدَامِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
خَنَنْتُ إِلَى رَجْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِبِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ الثَّمَانِمِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُوَحِّدًا :

لَا دَعَاكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مَقْلَبِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الدَّوَاغُ الثَّانِي
فِي فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ شَمْلٌ شَاغِلٌ وَتَلَوْتُ صِدْقًا فُرْقَةُ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ تَمِيمُ الْمَلَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَعْمَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَلْعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي صُرِفَ الدَّهْرُ عَيْنَانَا هَلْ عَانَدَ لَدَهْرٍ الْإِمْنُ لَهُ خَطَرُ
فِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَقَدْ خَلَّ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّكَنِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ فَأَجْلَسَهُ فِي نُحْرِهِ وَصَمَّاهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَأَنشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَزَّرًا يَجِدُوهُ مُرَدِّي ثُمَّ يَقْدِي بِشَمْلٍ مَا تُقْدِي
أَشْبَهُ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشَيْئًا مُرْصِيَةً وَجِدًّا
كَلَامُهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَائِلًا مُجُودَةً وَقَدْ

قَالَ: قَبَسَ الْفَضْلُ وَقَالَ: أَمَتْنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. فَهَذَا عَوَضْتُ
مِنَ الْحَزَنِ سُرُورًا وَلَسَلْتُ بِقَوْلِكَ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

١٧٩ أَخْبَرَ الصُّوفِيَّ قَالَ: عَتَبَ الْمُأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ. فَفَتَحَهَا الْمُأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ:

لَا تَمْنِي، أَعْظَمُ مِنْ جُرْحِي سِوَى أَمَلِي
لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا
فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْحِي وَمِنْ أَمَلِي
فَصَحَّحْتُ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْحَاقُ عُدُّكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ حُرْمَتِكَ. وَمَا جَالَ
بِفِكَرِي وَلَا أَحْضَرْتُ بَعْدَ انْقِضَائِهِ عَلَى ذِكْرِي (الاعاني)

١٨٠ تَلَدَّ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ:

قَلَمْتُ لِنَجْفِي هَذَا قَتَلْتُ لَهَا
إِنْ الشَّجَاعَةُ مَشْرُوءٌ بِهَا الْمَطْبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ
مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مَنْ لَهُ أَقْبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَصْلَ اللَّهُ سَمِيحُهُمْ
إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِنَا وَكَبُوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ
لَا أَقْتُلُ نَجْفِي مِنْهُمْ وَلَا أَسْلُبُ
١٨١ قَالَ عُمُودُ الْوَرَقِ فِي هَذَا الْمَثَلِ:

أَيُّهَا أَقَارِسُ النَّسِيجِ الْمَغِيرِ
إِنْ قَلْبِي مِنَ السِّلَاحِ بَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَجْحِ الْحَيْلِ
إِذَا تَوَرَّ الْقُبَارُ مُمِيرُ
وَأَسْتَنَارَتْ رَحَى الْحَرْوبِ بِقَوْمِ
قَتِيلٍ وَهَارِبٍ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ النَّعْرِ
وَيَبْهُو الصَّبَاحُ وَالْتَكْثِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَذَا بَلِيدُ
وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ نَحِيرُ

١٨٢ مَثَلُ دَعِيلٍ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضِ أُمَرَاءِ الرَّقَّةِ قَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَايِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ نَجُولٍ
 إِنْ قُلْتُ أَعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ مِنْ الْأَمِيرِ بِعَالِهِ لَمْ يَجْمَلْ
 وَلَا نَتِ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَاللُّيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ قُلْتُ مَا لَمْ تَفْعَلْ
 فَأَخْفَرْتُ نَفْسَكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ خَيْرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ
 قَالَهُ. فَأَتَكَ اللَّهُ: وَأَمَرَهُ بِبَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَحْيَى خَيْثًا:

رَأَيْتُ مِنْهَا يَحْيَى خَيْثًا وَكُلٌّ مِنْهَا بِالظُّلَمِ يَسْمَى
 قَدْ أَتَمَّا وَلَكِنْ فِي قَسَادٍ كَقُرْبِ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَقْبَى

أبو عبادة البغدادي عند التوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ الْبُخَّارِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
 نُدْمَائِهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا. وَلَا أَزْنَى يَاسَافًا وَلَا أَكْبَرَ. فَأَدَمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا. وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ قَرَّمَ إِلَيَّ إِلَهِي كَأَنَّهُ
 فِي يَدَيْهِ إِلَهِي. فَصَلَّتِ الْأَرْضُ وَجَعَلَتْ أَفْكَرَ فِيمَا يُصْنَعُكُمَا طَعْمًا فِي
 الْأَخْرَى. فَمَنْ لِي أَنْ قُلْتُ:

بِسْرٍ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَرُفُّ مِنْ كَفِّهِ الْبِجَارُ
 خَلِيفَةُ دُرْمُحَى وَنُحْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي يَدَيْهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هَذِي عَلَى هَذِهِ تَنَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَنْتَ مِثْلَهُ الْبَسَلُ
فَرَمَى بِالْدُرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي بَسَارِهِ وَقَالَ: خُذْهَا يَا عِمْرَانُ (لِلأَزْدِيِّ)
١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عَتِيرَةَ فَكُتِبَ إِلَى السُّلْطَانِ هَذَيْنِ الْيَمِينَ:
أَنْظُرْ إِلَيَّ يَمِينَ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤْلِي أَلْدَى وَتَلَا فَبَلَّ فِي
أَنَا كَأَلْدَى أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَعْنِمْ دُعَائِي وَأَتْنَأْ أَلْوَانِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ. وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ
الَّذِي. وَهَذِهِ الصَّلَةُ. وَأَنَا الْعَائِدُ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ قُتْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ حَلْفَهَا صَفْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا. فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي خُجْرِهِ كَالْمُسْتَجِيرَةِ
بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عَتِينَ أَيْيَاتًا فِي هَذَا اللَّحْنِ. وَهِيَ:
جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَأَلْوَتْ يَلْعُوقُ مِنْ جَانِحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَبْنَى أَلْوَرَقَاءُ أَنْ حَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنْتَ مَلِجَاءُ لِلخَافِ
(تَارِيخُ الذَّهَبِيِّ)

١٨٧ رَكَبَ مُصَافُ أَلْوَالِي يَوْمًا يَبْغِدَادَ فِي حَرَّاقَتِهِ فَأَعْرَضَهُ مُقَدِّسٌ
أَنْ صَنَعِي الْخُلُوقِ الشَّاعِرُ. وَقَدْ أَذْنَبْتَ مِنَ الشُّطْرِ لِيُخْرِجَ. فَقَالَ:
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَيْيَاتًا. فَقَالَ: قُلْ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:
عَجِبْتُ لِحَرَاةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَا عَرَفْتُ كَيْفَ لَا تَرُوقُ
وَتُخْرَانُ مِنْ قُوَّهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقُ

وَأَعْجِبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
قَالَ طَاهِرٌ: أَعْطُوهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ (لَابَن خَلْكَان)

جرير والفرزدق والاختل في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجتمع جرير والفرزدق والاختل في مجلس عبد الملك. فَأَحْضَرَ
بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْسًا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ. وَقَالَ لَهُمْ: لِيُفْلَ كُلُّكُمْ مِنْكُمْ
بَيْتًا فِي مَدَنٍ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ الْكَيْسُ. فَقَبِلَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ:
أَنَا أَفْطَرَانُ وَالشُّعْرَاءُ حَرَجِي وَفِي الْفَطْرَانِ لِلْحَجَرِ شِفَاءُ
قَالَ الْاُخْطَلُ:

فَإِنْ تَكَ زَقَّ زَامِلًا فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
قَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِحَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ
قَالَ: خُذِ الْكَيْسَ فَلَمَّعَرِي إِنْ الْمَوْتُ بَاتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أَدْخَلَ الرُّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَّعِبَ مِنْ
فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهْبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلَ رَأْيِكَ. فَأَنَّى
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَائِيرٍ وَدَرَاهِمٍ قُصِبَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ.
قَالَ لَهُ: اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ وَصَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَائِيرِ. فَصَحَّكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

يَصْغِي إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءَ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِي إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَمِلًا :

قَدْ يَتُّكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْمَلَأَ
خُبْسَتَ قَيْنَ بَعْدِ الْكُفُوفِ تَبْلُجُ
بُضْيِي بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَتَّقِ الْحَبْسَ هُمَا وَوَحْشَةً هَبْلَكَ قَدْ مَا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاهُ يُعْرِي عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ فَإِنَّ الْعَبْدَ تَذَرِيحًا وَزَرْتَبَا
إِنَّ الْفَنَاءَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا تَمُوتُ قَتَبْتُ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبَا

١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَفَرٍ طَمَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الْمَشْيِ . فَقَصَّارَ
يَتَوَكَّلُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرَّةٍ إِذَا تَهَكَّرْتُ فِيهِ وَتَأَمَّلْتُهُ رَأَيْتَ ظَرْفًا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلْتُ بِالْأَتَالِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَنَلْتُهُ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

إِنْ زَلْتُ الْبَنَلَةَ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِدًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ مَجْرًا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَاجِ الْوَرَّاقُ يَتَّبِعُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا حُجَلِّي وَصَحَابِي قَدْ سَوَدَتْ وَصَحَافُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِي
وَمُوتِي لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلُ أَكْذَا تَكُونُ صَحَافُ الْوَرَّاقِ
١٩٥ حَسَرَ ابْنُ الْحَاجِّ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَاءِ هَالًا :

يَا صَاحِبَةَ الَّتِي الَّتِي ضِيَاءُهُ مَاتُوا جَمِيعًا
أَدْمَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَارِنَا عَطَشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى قَلْبَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْرِقًا رَفِيعًا
كَالْبَدْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حُدَيْسٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى صَلَافَةٍ وَهِيَ مَكَانٌ مَشَاهُ :

ذَكَرْتُ صَلَافَةَ وَالْأَسَى يُجِدُّ لِلنَّفْسِ تَذَكُّارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجُ مِنْ جَنَّةٍ قَالِي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبَحْرِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنَّهُارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ
كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهْنُوهُ بِاللِّشَائِدِ وَيَتَالَوْنَ مِنْهُ الْجَوَائِزَ . فَيَتِمَّا كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يَسِدُّوهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ ارْتَجَّتْ
مِنْهَا دِيَارُ مِصْرَ . فَأَتَتْ الْوَالِيَّ إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطَرِّفُنَا بِدِيَارِ بَيْتِ مَضُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنْ الْحَقَّ مُنْضَخُ لَدَى الْكَرَامِ أَيَا ابْنَ السَّادَةِ الشُّجَا
مَا زِلْتَ مِصْرَ مِنْ كَيْدِ أَلْمِهَا لَكِنَّا رَقَصْتَ مِنْ عَذَابِكُمْ طَرَبًا
الْأَعْمَى وَالْأَعْرَبُ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى رَجُلًا قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصَابَ هَذَا الْبَصَرَ
أَجَابَهُ أَعْرَبٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي غِلَامٍ لَسَبَتْهُ مَخْلَةٌ فِي شَفْتِهِ :

بِأَيِّ مَنْ لَبَّيْهُ تَحْلَةً أَلَمْتُ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلْ
 حَسِبْتُ أَنَّ بَيْنَهُ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رَيْعَتَهُ مِثْلَ الْمَلَسِ
 ٢٠٠ أَتَشَدُّ ابْنُ صُرْدَرِّ بْنِ جَبْرِ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْغَزْوِ
 قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوَّلِي بِهِ
 مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتَهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
 هَزَنَهُ حَتَّى أَبْصَرْتَهُ صَارِمًا رَوْنَفُهُ يُقْبِضُهُ عَنْ ضَرَابِهِ
 ٢٠١ قَالَ لَأَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيَّ اللَّيْثِيَّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :
 وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتَ خَيْرٌ تُقْضَى حَاجَةٌ وَتَنْفُتُ حَاجٌ
 إِذَا أَرَدْتُمْ هُمُومَ الصَّدْرِ فَلَنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجٌ
 نَدِيهِ هَرَّتِي وَأَنْبَسُ نَفْسِي دَقَّازٌ لِي وَمَمْشُوقِي السَّرَاجُ
 ٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَيْهَقِيُّ الْأَسْطُرْلُكِيُّ هَدِيَّةً لِبَعْضِ الْأُمَرَاءِ فَأَتَشَدُّ :
 أَهْدِي لِعَلِيٍّ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا خَزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
 كَالْبَحْرِ يَمِطُّهُ السَّحَابُ وَمَا لَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
 ٢٠٣ كَانَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُقَطِّعُ الرُّوْضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي
 تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
 عَلَيْهِ وَهُوَ يُقَطِّعُ الرُّوْضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ أَبُوهُ . فَقَالَ لَهُ :
 لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْرَتَا
 أَكْبَنَ جِهَلَتِي مَقَالَتِي قَدْ نَلَيْتِي وَعَلِمْتَ أَنَّكَ جَاهِلٌ قَدْ نَدَرْتُكَ
 (نُزْهَةُ الْأَلْبَابِ فِي طَبَقَاتِ الْأَدْبَاءِ لَائِي بِرَكَاتِ الْإِنْبَارِي)

٢٠٤ شخص مضر وربيعة وإياد وأثمار أولاد زرار إلى أرض تيمران.
 فبينما هم يسرون إذ رأى مضر مكلاً قد رعى فقال: ألبير الذي رعى
 هذا أعور. فقال ربيعة: وهو أزور. قال إياد: وهو أتر. وقال أثمار:
 وهو شروذ. فلم يسروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم
 عن ألبير. فقال مضر: هو أعور. قال: نعم. قال ربيعة: هو أزور.
 قال: نعم. قال إياد: هو أتر. قال: نعم. قال أثمار: هو شروذ.
 قال: نعم. فقال: هذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي ذُلُونِي عَلَيْهِ. فَخَلَقُوا أَنَّهُمْ مَا
 رَأَوْهُ. فَزَيَّنُوهُ وَقَالَ: كَيْفَ أَصْدَقُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ.
 فَدَارُوا حَتَّى قَرِبُوا تَيْمِرَانَ فَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهِي. فَتَادَى صَاحِبُ
 أَلْبِير: هَؤُلَاءِ أَتَقُومُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ. فَقَالَ
 الْجُرْهِي: كَيْفَ وَصَفْتُهُ وَلَمْ تَرَوْهُ. فَقَالَ مُضَرُّ: رَأَيْتُهُ رَعَى جَانِبَ
 وَبَدَعَ جَانِبًا فَلَمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ. وَقَالَ رَبِيعَةُ: رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
 ثَابِتَةً الْآثَرِ وَالْأُخْرَى فَالِسَةً الْآثَرِ فَلَمْتُ أَنَّهُ أَصْدَهَا بِشِدَّةٍ
 وَطَبَعَهُ لِأَزْوَارِهِ. وَقَالَ إِيَادُ: عَرَفْتُ بَرَهُ بِإِجْمَاعِ بَرِهِ وَلَوْ كَانَ
 ذِي بَالٍ لَتَفَرَّقَ. وَقَالَ أَثْمَارُ: إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِكُونِ أَنَّهُ كَانَ
 يَرْعَى فِي الْمَكَانِ الْمَلْتَقِ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبَثَ.
 فَقَالَ الْأَفْعَى: لَبَسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ.
 فَحَرَبَ وَأَضَاعَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَاهِهِمْ (ثمرات الاوراق للصوي)

الْبَلْبُ الْعَلِيرُ فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ. قَالَ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ: قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَتَكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْتُكَ. فَأَنشَأَ يَقُولُ:

أَمِيتُ بِدَاوُدَ وَجُودَ عَيْنِيهِ مِنْ الْحَدَثِ الْخُشْيِ وَالْبَاسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبِيَّهِ مِنْ الْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ إِذْ يَرِي
لَهُ حُكْمُ الْقِيَامِ وَصُورَةُ يُوسُفَ وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفَرَّقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ: فَذَحْكَمَتَاكَ فَإِنْ شِئْتُ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتُ عَلَى قَدْرِي.
فَقَالَ: عَلَى قَدْرِي. فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا. فَقَالَ لَهُ جُلُوسًا وَهُوَ: هَلَّا اخْتَكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ. قَالَ: لَمْ يَكْ فِي مَالِهِ مَا يَنْبَغِي بِقَدْرِهِ. قَالَ لَهُ دَاوُدُ:
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْرُ مِنْكَ فِي شَرِّكَ وَأَمْرُكَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْبَاسِ الْقَائِدِ فَأَنشَدْتُهُ:
اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا قَهْلُهُ أَبَا الْبَاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةً وَجْهِهِ قَبْضُ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحُ الْبَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَحَبَّةُ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ حَبَّةَ لِلْبَاسِ

ثُمَّ سَأَلَتْهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ النَّظَرِ . فَنَظَرَ عَلَيَّ . فَوَقَّعَتْ فِي سِكَائِهِ :
 مَا مَرَّ بِحَدِّكَ حَاجَتِي مَا مَرَّهَا . عَذْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظُرْ إِلَى عَرْضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا . أَوْلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَتِي لِمَوْلَاكَ أَنْ يُوعِرَ حَاجَتِي . نَفْعِي بِمُجْدِكَ سَهَّلَتْ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجِبَنِي خُلُوُ الْحَمِيدِ مَا جُدَّ . حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مَرَهَا
 فَفَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبد ربه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بُوَ مَطَرٍ يَوْمَ الْفَلَاءِ كَأَنَّهُمْ . أُسُودُ لَهَا فِي غِيلِ خَنٍّ أَشْبَلُ
 هُمْ يَتَمَوَّنُ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا . لِحَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَزَلُ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا . أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَلَجَزَلُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاءِلُونَ فِعَالَهُمْ . وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَاجْتَلُوا
 ٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّاوِيَةَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ

ابْنُ الرُّبَيْرِ وَزَيْدُ بْنُ مَرْيَدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانُ
 وَرَغِيْقَانِ سَيْمٌ وَدَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَتَشِدُّنِي . فَأَتَشِدُّهُ قَصِيدَةً
 التَّرْمِيزِ السَّيِّئَةِ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكْرِمَ وَالْمَرْوُفَ أَوْدِيَهُ . أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَنْسَعُ
 إِذَا رَفَعَتْ أَمْرًا قَالَهُ بَرَقَهُ . وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مَتْنَعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُمْلَعُهُ . يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَآيَا صَابَهَا فَرَعُ
 قَالَ قَرَمِي بِالْخِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْيَبُ

من كل طعام وكل شيء . وبث إليه بسبعة آلاف دينار
 ٢٠٩ حكى المنصور الترمي قال : دخلت على الرشيد يوما ولم أكن
 أعددت له منعا . فوجدته شيطا طيب النفس فرمت شيئا فما جاءني .
 ونظر إلي مستطفا فقلت :

إذا اعتاص الدج طلك فامدح أمير المؤمنين محمد مالا
 وعد ينأيه وأجج إليه نسل عرقا ولم تذلل سؤالا
 فإلا لا تزال به ركب وصن مديحا وحلن مالا
 فقال : لله درك ! لن قصرت القول لقد أطلت المعنى . وأمر لي بصله سنية
 ٢١٠ لما تولى ابن زياد أعمال الأهواز قصده فحز إليها وقال فيه :

يحي أمرؤ ربه ربه يفعله الأقدم والأحدث
 إن قال لم يكذب وإن ود لم يقطع وإن عاهد لم يتك
 أصبح في أخلاقه كلها موكلا بالأسهل الأتم
 طبعه منه عليها جرى في خلق ليس يستحدث
 وره ذلك أبوه فبا طيب ثناء الوارث المورث
 فوصله يحي بصله سنية وحله وكساه . وأقام عنده مدة ثم انصرف
 ٢١١ إمتدح ربيعة الرقي العباس بن محمد بقصيدة لم يسبق إليها
 حسنا وهي طويلة يقول فيها :

لوقيل للعباس يا ابن محمد قل لا وأنت محمد ما قالها
 ما إن أعدت من الكلام خصلة إلا وجدتك عنها أو خالها

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَلَّوْا فِي بِلَدِهِ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هَلَامًا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَسْفُورَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَأْسِكَ مَقَالِمًا
 ٢١٢ أَتَشْدُو إِسْحَاقَ ابْنَ إِدْرِهِيمَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنَافِعُ وَارَى الْبَرَامِكُ لَا تَضُرُّ وَتَقْعُ
 إِنَّ التُّرُوفَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا التُّرَى أَشِيرَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَلَبَ الْمَزْرَعُ
 فَإِذَا تَكَرَّتْ مِنْ أَمْرِيءَ أَعْرَافُهُ وَقَدِيعُهُ فَأَنْظُرْ إِلَى مَا يَبْضَعُ
 قَالَ فَأَعْجَبَةُ الشَّرِّ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَتَمِمْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا لَأَسْلَمَهُ
 وَمَا لِي عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكْفَيْهِ عَلَيْهِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحْتَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ قَالَ : لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمُكَافَأَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الافغاني)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْحَرَاغِيُّ يَمْدَحُ بَعْضَ الْأَمْرَاءِ :

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَوْصَافُ خُصِّصْتُ بِهَا فَكَلَّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُقَطِّعُ
 السِّنِّ صَاحِبُكَ وَالْكَفِّ مَانِحُهُ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطُ
 ٢١٣ قَالَ إِدْرِهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ : لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَتْ عَنْهَا الْمَثَلُ .
 فَظَاهَرُهَا لِقَبْلِ . وَبَسَطَهَا لِلْفَتَى . وَسَطَوَتْهَا لِلْأَجَلِ . أَخَذَهُ ابْنُ
 الرُّوَيْحِيِّ قَالَ لِإِدْرِهِيمَ بْنِ الْمَدِينِيِّ :

أَصْبَحْتَ بَيْنَ صَرَاعَةٍ وَتَحَلٍّ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
 فَأَمَدُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بَدَأَ التَّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلُ
 ٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُوَلَّى لِيَزِيدَ بْنِ قَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

وإذا بُاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تَشْتَرَى
فَسِوَالِكِ بَايَعَهَا وَأَنْتَ الْمُسْتَرَى
وإذا تَوَعَّرْتَ الْمَسَالِكَ لَمْ يَكُنْ
مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ يَا وَعَى
وإذا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَقْنَمَهَا
يَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهَا بِمُكْدَرٍ
يَا وَاعِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا لَنْ لَهْمُ
مِنْ مَذْهَبِ عَهْدِهِ وَلَا مِنْ مَقْصَرٍ
٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي
حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتِكَ الْحَيَاةُ
وَعَلِمْتُكَ بِالْحَقِّ وَأَنْتَ قَرَعُ
لَكَ الْحَسْبُ الْمُهْلَبُ وَالسَّيِّئَةُ
خَطِيلٌ لَا يُبَيِّرُهُ صَالِحٌ
عَنِ الْخَلْقِ الْجَبِيلُ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا
بُؤْسُ تَمِيمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا
كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّيْءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَمَجْدًا
إِذَا مَا الْكَلْبُ أَحْجَرَهُ الشَّيْءُ

٢١٦ قَالَ آخِرُ مَدْحِ آلِ الْمُهْلَبِ :

آلُ الْمُهْلَبِ قَوْمٌ خُورُوا شَرْقًا
مَا قَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْجَدِيدِ عَنْهُمْ وَخَلِمْهُمْ
مَا أَحْكَمَتْ مِنَ الدُّنْيَا لِمَا حَادًا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا
آلُ الْمُهْلَبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا

٢١٧ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ :

أَلْخُلْ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوْعِ إِنْ هَزَمْتَ
أَنْ أَبْنَى عَمْرُو لَدَى الْعِجْمَاءِ يَخْمِيهَا
لَمْ يَبْدُ فَحْشًا وَلَمْ يَهْدَدْ لِعَظْمِيَّةٍ
وَكُلُّ مَكْرُمَةٍ يَأْتِي يُسَامِيهَا
أَلَسْتُ بِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزَنُهُمْ
إِذَا الْفَنَاءُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ عَذْرَةَ أَبْنَاءَ وَإِنْ أَلَمْتَ أُمُورَهُمْ كَافِيًا
٢١٨ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُلُّ الْجَلِيلِ الَّذِي فِيكُمْ عَاشِيَتُمْ
كُنْتُمْ تَجْعَلُونَ الْإِنْسَانَ الْإِنْسَانُ وَالْخَلْقُ
كُنْتُمْ تَجْعَلُونَ الْإِنْسَانَ الْإِنْسَانُ وَالْخَلْقُ
٢١٩ قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ حَيَاتَهُمْ
وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ بِجُودِ بَنِيهِ
٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَعْدَبَ بَنِي الْمَكِّي الْأَمِينِ :

بَنِي عَمْرِو نُوحٍ فِي سُورٍ وَعِطَاءٍ
نَسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْتَنِي
٢٢١ وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بِمَرْءٍ رَبِّ الْعَالِي بَعْدَهُ
قَدِمَ وَأَخَّرَ مَنْ رُبِدُ قَائِهِ
٢٢٢ وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يُغْضِرُ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ
وَكَا لَيْسَ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَأَنَّ مَسَّهُ
٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا
٢٢٤ قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالْعَنَامِ قَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ صَاحِبُكَ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامَعَ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ الْعَنَامِ وَقْتَ رَيْبٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ نَخَاءِ

قَوَالِ الْأَمِيرِ بَذْرَةَ مَالٍ وَنَوَالُ الْعَنَامِ قَطْرَةَ مَاءِ

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي التَّنْصِيرِ بَعْدَ أَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَسْئَلُكَ مُلْكُكَ بِالسَّادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ مَحْمُودُهُ وَمَصَادِرُهُ

فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِي فَلَمْ نَجِبْ كَمَا نَرْجِي مِنْ وَاقِعِ النَّسَبِ بَاكِرُهُ

بِتَنْصِيرِ بِاللَّهِ ثُمَّ أَمْرُنَا وَمَنْ يَنْصِيرُ بِاللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهُ

٢٢٧ دَخَلَ الثَّانِيَةُ عَلَى الثُّغَمَانِ بْنِ النَّذِيرِ فَحَاكُمَهُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أَتَفَاخِرُكَ ذُو قَانَسٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ وَغُرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ

لَا مُسْكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَعَاكَ أَحْسَنُ مِنْ

وَجْهِهِ . وَلَيْسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَطَنُكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوْعَدُكَ

أَجْلَجُ مِنْ رِفْدِهِ . وَخَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ

جُنْدِهِ . وَلِكَيْفَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلَقَتْرُكَ أَبْطَرُ مِنْ شَبْرِهِ . وَأَنْشَدَ :

أَخْلَقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْأَبْسِ وَالْجُودَيْنِ الْحِلْمُ وَالْحَقَرُ

مُتَوَجِّعٌ بِالْمَعَالِي قَوْفٌ مَفْرِقُهُ وَفِي الْوَعَى صَيْقَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ

إِذَا دَبَّ الْحُطْبُ جَلَاءَ يَصَارِمُهُ كَمَا يُحِلِّي زَمَانَ الْحُلِّ بِالْمَطَرِ

فَهَلَّلْ وَجْهَ الثُّغَمَانِ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَمْلَأُوه دُرًّا وَيَكْنَسُوا

أَتَوَابَ الرِّحَا (وَمِنْ جِبَابِ أَطْوَأَهَا أَلْهَبَ فِي قُضْبِ الزُّمُرْدِ). ثُمَّ
قَالَ: هَكَذَا قَدْ مَدَحَ الْمَلُوكُ (أَيْفَ بَاءَ لِأَنَّ الْحِمَاجَ الْبُلُوبِي)

٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ الْخِطَّاطِ الْمَلِكِي عَلَى الْمُهْدِيِّ وَأَمْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْيِيلِ يَدَيْهِ فَأَذِنَ فَصَلَّاهَا
وَخَرَجَ. فَمَا أَتَتْهُ إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالُ بَيْنَهُ. فَمُوتَ عَلَى
ذَلِكَ فَأَعْتَدُوا لِنَشْدِ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكَ يَمِي كَفَّهُ أَجْنِي النَّفَى وَلَمْ أَذْرَأَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْذِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَقَادَ ذُووُ النَّفَى أَفُودْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عُنْدِي

فَعَجِبَ بِهِمَا الْمُهْدِيُّ وَعَنِي بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزِدْكَ حَاجَةً سِوَى أَتَيْتِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ

فَقَالَ لَهُ خَالِدُ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ مِائَةُ أَلْفَ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدُ
أَسْرَفْتُ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَظَّطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدُ: مَا أَعْجَبَ

مَا سَأَلْتُ وَمَا حَظَّطْتُ. فَقَالَ: لَا تَعْجَبُ الْإِمِيرُ سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ
وَحَظَّطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَضَحِكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَاةٍ

٢٣٠ حَسْبُ الْحِمَاجِ يُزِيدُ بَنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقٍ عَلَيْهِ كَانَ بِحُرَّاسَانَ. وَأَقْسَمَ
لَيْسَتْ أَدْنَاهُ كُلُّ يَوْمٍ مِائَةُ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَّاهُ ذَلِكَ ذَاتَ

يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَافَتْ خُرَّاسَانُ بِعِدِّكُمْ وَقَالَ ذُوو الْحِجَابَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِالْشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَغْرِبِ بَعْدَكَ عُودٌ
وَمَا لِسِرِّهِ بَعْدَ بَعْلِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادِ بَعْدَ جُودِكَ جُودٌ
قَالَ يَا غَلَامُ أَعْطِهِ أَلْفَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحِجَابِ وَلَا
نُحِبُّ الْأَخْطَلَ. قَبِلْتِ الْحِجَابَ قَالَ: اللَّهُ دَرِّيزِيدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا
لِلْعَهْدِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (اليعني)

٢٣٦. وَمِنْ رَفِيقِ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَاسِ الصَّوْلِي قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
قَلَّ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
لَمَثَلُهُ لَكَ حَتَّى رَأَاهُ قَتَلَمَ آيَ أَمْرُهُ شَاكِرُ
كَبَّ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْحَقَاءِ:

٢٣٧. يَا سَيِّدَ الْأُمَرَاءِ خَيْرًا فَمَا مَلَكَ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْتِي وَاشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَاذِبِيكَ صَوْبَ النَّفْسِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلِقَ الْحَيَا يَمْطُرُ الدَّهْبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَمُتْ وَالشَّمْسُ لَوْ تَطَلَّعَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَصِلْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَبَا
وَالْبَحْرِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْمُبَاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السَّنِّ وَانْظُرْ لِي الْيَوْمِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ الْيَوْمَ يُجِئُ الْحَيَا أَخْرَاهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرَهَا فِي الْحَيَا إِصْعَادَا
٢٣٨. قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْزَ خَلْقِ الْأَنَامِ لِحَبِّ كَلَسٍ وَزَمَارِ وَطَبْشِيرِ وَعُودِ
قَلَمِ يُخَلِّقُ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِنَجْدٍ أَوْ لِحُجُودِ

اللبُّ الحادي عشر
في التَّغْيِيرِ وَالْحَمَاسَةِ وَالنَّجْوَى

٢٣٥ كَانَ أَبُو سَفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلِهِ مُقْتَضِرًا:

لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ يَا نَا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانًا
وَأَكْثَرُهُمْ ذُرُوعًا سَائِلَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا
وَأَدْقَمَهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنَهُمْ إِذَا نَظَلُّوا لِسَانًا

٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْعَمُوا الْأَزْمَاحَ حَبَابِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَجِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَفِيهِمْ نِلْتُ مِنَ الْعُلْيَا نَصِيبٍ
وَيَبْضُلُ اللَّهُ رَيْتِي لَمْ أَذَلْ فِي مَرَاقِي الْعَزِّ وَالْعَيْشِ الرُّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْعَالِي أَرْبُ قَلْبِي كَاهِلَهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْمَلَا لَا تَرَانِي لِدَعَاهُ مِنْ حُجُبٍ
٢٣٧ صَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بَابِي عُثْمَانَ الْمَلَّازِمِي فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَرَأَى مِنْ
فِي عَجَلِهِ يَتَجَبَّوْنَ مِنْ تَعَلُّكَ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةٌ فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَجَبٍّ مِنْ تَعَالِي وَرَضَائِي مِنْهَا يُلْبِسُ الْبَوَالِي
مَنْ يُتَالِي مِنَ الرِّجَالِ يَتَمَلَّ فَيُؤَايِي إِذَا يَهْنُ الْيُتَالِي
لَوْ حَذَاهُنَّ لِحْجَالٍ قَاتِي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِتْقَانِهِ وَفِي وَقَامٍ وَرَأْيٍ وَإِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفَضَالِي
مَا وَقَانِي الْحَقَّ وَبَلَّغِي الْحَقَّ جَهَّ مِنْهَا فَاتْنِي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِشُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْبِيُّ :

تُرْمَضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِيَا وَجُوهَا لَا تُرْمَضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِمَقَالٍ عَنِّي نَبَائِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَسَّكُنِي يَجُولُ الْمَرْءُ نَحْتِي إِلَى الْفَارَاتِ بِالْعُضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُرُوفِيُّ بِحِجَّةِ الْبَرْمَكِيِّ :

أَنَا بَنُؤُاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْحَكُوا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمُشْرِ
فَلَمْ يَحُلْ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظٌ مُخِيرٌ فَلَمْ يَحُلْ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنٌ دَقِيرٌ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَزَارِيِّينَ :

وَالْأَيْكُنُ عَظِيمِي طَوِيلًا فَاتْنِي
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبِيلَهَا
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ
بِمَارِقَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْتَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ
تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيَيْنِ أَصُولُ
وَلَمْ أَرْ كَالْمُرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ
فَحُلُّوْهُ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَبِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذَقَنِي مَعِيشَةً
كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِجَعْدٍ مُؤَنِّلٍ
وَقَدْ يَذْرُوكُ الْجَعْدُ الْمَوْتَلَّ أَمْتَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاثِمُ الطَّلَاطِي :

أَيَا أَبْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ فِي الْبُرْدَيْنِ وَالْقُرْسِ الْبُرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ أَرَادَ فَأَنْتَسِي لَهُ أَكْبَلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي
 أَنَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذْمَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَيْدِي
 وَإِنِّي لَمَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ تَأْوِيَا وَمَا فِي إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْئَةِ الْعَبْدِ
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

أَصُونُ عِرْضِي بِمَا لِي لَا أَدْنُسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْبُرْصِ فِي الْمَالِ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنِ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنِ أَوْدَى فَيُحْتَالِ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دَلْفٍ الْجُبَلِيُّ:

أَجُودُ بِنَفْسِي ذُونَ قُوِي دَافِعًا لِمَا تَأْتِيهِمْ قَدَمًا وَأَعْنَى الدَّوَاهِيَا
 وَأَقِيمُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَفْقَطَهُ لَأَذْرِكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوِدَ تَأْوِيَا
 (الاحاثي والحامسة)

الهمز

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي بَيْتِهِ:

سَيَّانٌ كَسَرَ رَغْفَهُ أَوْ كَسَرَ عَظْمٍ وَنَ عِظَامِهِ
 فَارْفَقَ بِكَسَرٍ رَغْفَهُ إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهِ
 وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزْوُّ لِي بِهِ دُرُوعٌ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا:

حَانَ عَهْدِي عَمَّرُوا وَمَا خُتِ عَهْدُهُ وَجَفَانِي وَمَا تَعَبَرْتُ بَعْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْ حَيْثُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَعَدَّيْتُ عِنْدَهُ

وَلَهُ أَنْصَابُ:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا تُصْنَعُ الْمَلَكَةُ الْقَائِمَةُ
تَخَوَّفَ نَحْمَةَ أَصْيَافِهِ قُوْدَهَا أَكَلَتْ وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي طَبِيبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمُنْصَفٌ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى وَطَلْتُ يَارُوحي عَلَيْكَ السَّلَامِ
يَبْقَى وَيَبْقَى النَّاسُ مِنْ شُومِهِ قَوْمُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ نَجَاةَ النَّبَامِ
نَمَّ تَرَاهُ آيُنَا سَالِمًا بِأَمْلِكَ أَلَمُوتِ إِلَى كَمِّ تَنَامِ
٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْحَقَاقِي كَانَ صَبُورًا كَثِيرَ التَّمَلُّكِ

فَكَانَ يُولِي الْعَمَلَ الْوَاحِدَةَ مِنْ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عَشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ قَبِيلٍ فِيهِ:

وَزِيرٌ قَدْ دَكَامَلَ فِي الرِّقَاعَةِ يُولِي نَحْمَ يَنْزِلُ بَعْدَ سَاعَةٍ

إِذَا أَهْلُ الرُّبَى اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ تَحْيَرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بَصَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَعْضًا:

رَأَى الصَّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَفَّهَ ضَيْفًا فَهَامَ إِلَى السَّيْفِ

وَقَلْنَا لَهُ خَيْرًا قَطَنٌ يَا نَسَا نَقُولُ خَيْرًا فَاتَ مِنَ الْخَوْفِ

٢٤٩ هَجَا آخَرُ طَبِيبًا فَقَالَ:

قَالَ حِمَارُ الطَّبِيبِ مَوْسَى لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَزْكَبُ

لِأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَأَيْتُ جَاهِلًا مَرَكَبٌ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :
إِذَا صَوَّتَ الْعَصُورُ طَارَ قُوَادُهُ وَلَيْتَ حَدِيدُ الْكَأَبِ عِنْدَ التَّرَائِدِ
وَلْأَخْرُ :

لَوْ أَنَّ خِصَّةَ عَشِيرَةٍ فِي رَجُلِهِ سَبَقَ التَّرَالُ وَلَمْ يَنْفُخْ الْأَرْبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ النَّخَوِيِّ :
سَأَلْتُ عَنْ ثَمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ قَالُوا الْقَابِلُونَ وَمَنْ ثَمَالَةٌ
قَالَتْ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ قَالُوا الْآنَ زِدْتُ بِهِمْ جَمَالَةً
٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا فَجَّ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُيَيْرَةٍ رَهَطَ اللَّوْمُ وَالْعَارُ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوَاءٍ وَلَجُوا فِي سَوَاءٍ لَمْ يُجْنَوْهَا بِاسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ تَمَلَّةَ الْمُنْتَرِي فِي مِئَةِ صَاحِبَةٍ ذِي الرِّمَّةِ :
أَلَا حَبْدًا أَهْلُ الْمَلَأَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرْتُ مَيُّ فَلَا حَبْدًا هِيَ
عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهُ الْحَزَنُ لَوْ كَانَ بَادِيًا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلَفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضًا صَافِيًا
إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ قَوْلِي بِأَضَافٍ الَّذِي جَاءَ ظَامِيًا
٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ أَفْخَرُ رَجُلٍ عَلَى ابْنِ الْأَدهَانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلُنَا سَتَصِيرُ
فَلَدَجَاةٍ رِيشُ لِكِنِّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلداء عند كسرى

٢٥٥ وقد أتى كلداء الشقي على كسرى فأتصب بين يديه . فقال له
 كسرى : من أنت . قال : أنا الحارث بن كلداء . قال : أعربي أنت .
 قال : نعم ومن صبيها . قال : فما جئناك . قال : طيب . قال : وما صنعت
 العرب بالطيب مع جملها وصنف شعولها وقلة قبولها وسوء غذايتها .
 فقال : ذلك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما
 يصلح جملها ويقيم عوجها . ويسوس أبدانها . ويبدل أنادها . قال
 الملك : كيف لها بأن تعرف ما تهده عليها . لو عرفت الحق لم نذهب
 إلى الجبل . قال الحارث : أيها الملك إن الله جل اسمه قسم الأموال بين
 العباد كما قسم الأرزاق وأخذ القوم نصيبهم . فقيم ما في الناس من
 جاهل وعالم وعاجز وكاذم . قال الملك : فما الذي تجد في أخلاقهم .
 وتحفظ من مذاهبهم . قال الحارث : لهم أنفس شجية . وقلوب
 جريئة . وشعول شجية مرضية . وأحساب نقيية . فيرق الكلام من
 أفواههم مروق السهم من الور . ألين من الماء . وأعذب من الهواء .
 يطعمون الطعام . ويضربون الملم . وعزهم لا ترام . وجارهم لا
 يضام . ولا يروع إذا نام . لا يعرفون بفضل أحد من الأقوام . ما
 خلا الملك الهمام الذي لا يقاس به أحد من الأنام . قال كسرى :
 لقد درك من عربي لقد أصبت علما وخصصت به من بين الأمم
 فطنة وقهما . ثم أمر بإعطائه وصليته وقضى حوائجه (لابن عبد ربه)

الْبَلْبُ الْبَائِي عَشَرَ فِي الْأَلْبَانِ

٢٥٦ قَدْ أَلْتَزَمَهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرْقَسَ رَهْوَفَ الشَّابَةِ هَهْهَ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
حَتَّى الْمَلِكُ مَقْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتِي
يَهْ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهَوْرَضِي

٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ
مُؤَاطِبُ الْخُسْرِ لَا وَقْتَهَا
وَدَمْعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُقَطَّعٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي

٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

قَلَا هُوَ يَمِشِي لَا وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ لَا وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
يَزِيدُ عَلَى مِمِّ الْأَقَاعِي لِمَا بِهِ
يُتَرَقَّى أَوْصَالًا لَصِيَّتْ يَجْنِيهِ
وَمَا رَأَاهُ أَلَمَيْنِ تَحْتَرُّ شَانُهُ
وَهِيَّاتِ يَدُ الْخُسْرِ عِنْدَ الْكَرَادِينِ

٢٥٩ وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ :

وَأَهَيْتَ مَذْبُوحَ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ
زَاهٍ قَصِيرًا كَلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ
يُتَرَجَّمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
وَضُعِجِي لَيْلَنَا وَهُوَ لَا يَكَلِّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَانَ صَمِيرًا قَلْبًا بِأَحْسَرِهِ إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتُهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحُكْمَاتِ وَجَبَّانُهُ صَامِتٌ أَجَوْفٌ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُصْبَةٍ وَيَالْشَّامُ مَنْطِقُهُ يُعْرِفُ

٢٦١ قَالَ آخِرُ مُلْكٍ فِي دَوْلَةِ :

وَمَرْضِعَةٍ أَوْلَادَهَا يَبْدُو ذَنَبُهُمْ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالْثَنْدِيُّ رَأْسُهَا وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ

٢٦٢ وَالتَّزَّأَبُ الْحَسَنُ بْنُ التَّلْمِيزِ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يَنْصَحُكُمْ بِالْقِسْطِ يَا رِيَاءُ أَعْمَى يُرَى الْإِزْشَادُ كُلُّ رَأَى
أَخْرَسَ لَا مِينَ عِلَّةٌ وَدَاءُ يُنْبِئُ عَنِ النَّصْرِ بِحِجِّ الْإِيمَانِ
يُجِيبُ إِنْ تَأَذَاهُ ذُو أَمْتَرَاءِ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ التَّيْدَاءِ

يُفَصِّحُ إِنْ طَلِقَ فِي الْهُوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخِرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
أَلَا خَيْرٌ وَفِي أَيِّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ
وَكُلُّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرْبٍ
مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعْلَامِ وَالْعَرَبِ
يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ

وَيُكَلِّ أحياناً طليحاً وتارةً
 وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبٌ
 وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
 وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ أَلَا خَيْرُ نِيٍّ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَبِيبُ
 ٢٦٤ أَلْفَرَّابُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُشَابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ:

وَذِي أَوْجُهُ لِكَيْفَهُ غَيْرُ بَانِحٍ يَسِرُّ وَذُو الْوُجْهِينِ الْبَسِيرُ مُقَاهِرُ
 تَبَاجِيكِ الْأَمْثَرِ أَسْرَارِ أَسْرَارِ وَجْهِهِ قَسَمْتُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتُ تَنْظُرُ
 ٢٦٥ قُلْتُ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقُدِّسِيِّ قَالَ فِيهِ مُلْتَزِمًا:

وَصَاحِبٌ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ حَصْبَتُهُ يَشْتَقِي لِنَفْسِي وَيَسْعَى سَعْيَ جُنْدٍ
 لَمْ أَلَهُ مَذْ صَاحِبًا فَمِنْ بَدَا لِنَظَرِي أَقْرَبًا فَرَقَةً الْأَبْدِ
 ٢٦٦ أَلْفَرَّابُ بْنُ زَكْرِيَّا بْنِ سَلَامَةَ الْحَصْكِيُّ فِي نَشْرِ الْمَوْتِ:

أَتَعْرِفُ سُبْحًا فِي السَّمَاءِ تَطْلِيهِهُ إِذَا سَارَ صَاحُ النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُ
 قَتْلَاهُ مَرْكُوبًا وَتَقْلَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَتَلَبَّهِ أَسِيرُ
 يَخْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيَكْرَهُ قُرْبَهُ وَيَهْرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ تَلْبِيزُ
 وَلَمْ يَسْتَرْزَعَنَّ رَغْبَةً فِي زِيَادَةِ وَلَيْسَ عَلَى رَغْمِ الزُّورِ زُورُ
 ٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بِهِمَا الدِّينَ زُهَيْرٌ وَزِيَرُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ
 مُلْتَزِمًا فِي قَوْلِهِ:

وَأَسْوَدُ عَارِ أَتَحُلُّ الْبَرْدُ جِسْمَهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْخُوصُ وَالنَّمْعُ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعُ

٢٦٨ أَلْتَرَى فِي طَاحُوتٍ :

وَمَسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولُ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ الْأَكْلَ سَلْعَةً
وَمَا قَطَعْتَ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي جِدَاءٍ :

مَطِيَّةٌ قَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَأَقِصَةُ فِي الْكِبَرِ مَرْدُودَةٌ
قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوَزِ :

مَا أَسْمُتِي وَحَسَنَ شَكْلُهُ
تَلَقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
رَأَاهُ مُعْدُودًا فَإِنْ زِدْتُهُ
وَأَوَّا وَتَوْنَا صَارَ مَوْزُونًا
قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ :

أَيُّ صَنِيعٍ يَتَوَعَّلَى عَجَلُ
يَتَلَبُّ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَتَلَبُّ
يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تَهْلِكُهُ
أَضْفُفُ جِسْمٍ يَحِثُّ يَدْرِكُهُ
أَلْتَرَى آخَرَ فِي يَدِ الْهَؤُولِ :

خَبَرُونِي أَيُّ شَيْءٍ أَوْسَعُ مَا فِيهِ قَهْرُهُ
وَأَبْنَى فِي بَطْنِهِ رَفْسُهُ وَبَلْكُمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ وَلَمْ يَمِجِدْ مِنْ رَحْمَتِهِ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْإِبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاهَا فِي الْحَيِّ وَفِي الْأَهَابِ

يَمِينٍ لَمْ تَذُقِ التَّوْبَةَ طَعْمًا وَلَا ذَرَفْتَ لَمَعِ ذِي الْتَسْلَابِ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ قَوًّا وَتَكْشُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الْكِبَابِ
٢٧٤ أَلْتَرِ الصَّلَاحَ الصَّفْدِي فِي عَيْدِ :

يَا كَاتِبًا يَفْضُلُهُ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَنْتُمْ عَلِيلٌ قَلْبُهُ وَقَضَاهُ لَا تُجَدُّ
لَيْسَ يَذِي جِسْمٍ رِيٍّ وَفِيهِ عَيْنٌ وَيدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالِ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجٍ خَاطِرِي أَرْجُ فِي ضَوْفِهِ
قَالِدًا زَالَ رَبُّهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

نَمِيتُ وَنَجَّيْتُ وَهُوَ مَيْتٌ يَنْتَسِبُ وَيَمْشِي بِلَا رِجْلٍ إِلَى كُلِّ بَنَابِ
يَرَى فِي حَضْبِضِ الْأَرْضِ طُورًا وَثَلَاثَةً تَرَاهُ نَسَائِي فَوْقَ طُورِ السَّكَاكِ
٢٧٧ قَالَ آخِرُ فِي مِصْرَاعِ الْبَابِ :

عَجِيتُ لِعَرُومَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَدَيَانِ طُولُ اللَّيْلِ يَمْتَمَّانِ
إِذَا أَمْسَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصِدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ النَّجْمِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارِ :

وَمَا أَنْتُمْ ثَلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالصَّرَرُ لَهُ طَلْعُهُ تُنْفِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ هَهَا وَلَيْسَ لَهُ مَتَمُّعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

الْبَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِالْحُطِّ. كَمَا يَفْهَمُ
بِالْفَلْظِ. وَيَسْتَأْنِ فِي النَّاطِرِ. مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ. بَرَى النَّصْعَ قَرْضًا
مِيجُ أَدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَلْزِمُ قَضَاؤُهُ. إِنْ اسْتَقَرَّ فِي الْجِدْمَةِ
جَدُّهُ. خَلَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَدَّلَ عَفْوَهُ. أَثْبَتُ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَحِيلَ.
وَأَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَحِيلَ (لِلْعَالِي)

٢٨٠ ظَلَمَ رَجُلٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَالِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكْتَ لِنَافِضَةٍ إِلَّا قَضَاهَا. وَلَا ذَهَابًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا أَعْلَاهَا. وَلَا ضَمِيمَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَسَلًا إِلَّا
عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَلِيلًا إِلَّا أَجَلَهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَحَبَّ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ قَصَاحَتِهِ وَقَفَّتْ حَاجَتُهُ (لِلشَّرِيشِيِّ)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ أَعْرَابِيٍّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونُ الرَّشِيدُ الْخَيْلَ فَجَاءَهُ
فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْفَتَرُ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُجِيبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. قَبِدْرَهُمْ أَبَا الْمَتَاهِيَةِ فَقَالَ:
جَاءَ الْفَتَرُ وَالْأَفْرَاسُ يَقْدُمُهَا هُوًّا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا أَتْبَهَرَا
وَحَلَفَ الرِّيحُ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدَةٌ وَمَرٌّ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظْرَا
فَأَجْرَلُ صِلَتِهِ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْمَتَاهِيَةِ (الْإِغَانِي)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا يَبِيدُكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أُرْكُزُهَا
 لِصَلَاتِي. وَأَعِدُّهَا لِمَدَاتِي. وَأُسَوِّقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْرَى بِهَا عَلَى سَفَرِي.
 وَأَعْتَصِدُ عَلَيْهَا فِي مَشْيِي تَسْبَعُ خَطْوِي. وَأَتَبُّ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتَوَدُّنِي
 الْعُرَى. وَأَلْقِي عَلَيْهَا كِسَالِي. فَمَقْسِي الْحَرَّ. وَتُجَنِّبُنِي الْقُرَى. وَتُنْذِرُنِي إِلَى مَا
 بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ تَحْمِلُ سَفَرَتِي. وَعَلَاقَةُ أَدْوَاتِي. فَأَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ.
 وَأَلْقِي بِهَا عَوْدَ الْكِلَابِ. وَتَقُوبُ عَنِ الرَّيْحِ الطُّغْمَانَ. وَعَنِ السَّيْفِ
 عِنْدَ مَنَازِلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثْمَهَا عَنْ أَبِي وَسَاورِثْمَا أُنْبِي مِنْ بَقِيدِي.
 وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى. فَهِيَ الْحُجَّاجُ
 وَأَنْصَرَفَ (لباء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ الْخُفَّ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَفَ.
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلْفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتْلَفَ. وَإِذَا خَلَجَ
 أَفْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا تَمَّ خَوْفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَبِيلَ
 تَوَهَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيَبْرُضُ إِبْرَاضَ الْحُمُودِ. يَنْتَهِ هُوَ خِلُّ
 وَدُودٍ. إِذَا هُوَ خَلُّ وَدُودٍ. فَإِنَّهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَانِعٌ. وَشَرُّهُ
 شَانِعٌ. وَسِرُّهُ ذَانِعٌ. وَلَوْ لَوْنُهُ فَاقِعٌ. وَجَنَّتُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَّاقِعٌ. رَدِي
 الْمُنْظَرُ سَبِي الْخَبِيرِ. يَخْلُ إِذَا أَسْرَ. وَيَهْلِكُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا
 أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ عَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَّرَ. وَإِنْ حَمَلَ
 أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوِطَبَ نَقَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسٌ عَنِ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلاَ أَسَاسٍ. قَبْرٌ مَوْلُوفٌ.

وَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ سُبْحَانَهُ فَكَتَبَ: مَعْقُولٌ سَجَّوِلٌ. وَاجِدٌ لَا تَطِيرُ لَهُ مُطْلُوبٌ
 غَيْرُ مُدْرِكٍ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكَتَبَ: قَوْمٌ لَا
 أَنْبَاءَ مَعَهُ رَاحَةُ الرِّضَى. نَقِضُ الْبَلِيَّةِ. أَنْفِصَالُ الْأَنْفَالِ.
 الرَّجُوعُ إِلَى النَّصْرِ. شَهْوَةُ الْفَقْرِ. قَرْعُ الْأَعْيَادِ. سَفَرُ الْبَدَنِ.
 فَيْدَانُ الْإِخْوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكَتَبَ: شَرُّ يَتَمَنَّى. مَرَضُ
 الْأَصْحَاءِ. مَوْتُ الْحَيَاةِ. صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَحْرُكُ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 وَكَتَبَ: خَادِمُ الشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرُّ تَحْبُوبٍ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكَتَبَ: تَصَوُّرِي طَبِيعِي. زَهْرَةٌ تَذْبُلُ. وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكَتَبَ: عَيْنُ أَهْلِكَ الْتَهَارِي. عِلَّةُ الْمَوَرَاتِ. وَسَبَبُ الْفَرَاتِ. وَعَنِ
 الْقَمَرِ فَكَتَبَ: عَصَبُ الشَّمْسِ. سِرَاجُ لَيْلٍ. وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكَتَبَ:
 مَالِمَةُ الْخَفِّ. مَطْلُوبُ السِّتِينَ. أَمْنِيَةُ الْأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكَتَبَ: قَاعِدَةُ الْهَلَاكِ. (على زعم الأقدمين) أَصْلُ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ.
 أُمُّ الثَّمَرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكَتَبَ: خَادِمُ الْفَيْدَادِ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَادِ فَكَتَبَ:

إِنِّي بُلَيْتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوَتِي وَعَنَانِي
 وَبَيْلِسُ وَالْذُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخِلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهَذَا فَلَانُ أَمَّا اللَّهُ
 الْحِكْمَةُ وَفَضْلُ الْخَطَابِ. وَمَكْنَةُ مِنْ أَرْمَةِ حَيَاتِ الْمَنَانِي. فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُحَاهُ حَيْثُ أَصَابَ. وَمَحْهٌ فَصِّلَتِي الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ. فَإِذَا كَبَّ

أَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرَهَا وَأَزْبَدَتْ : (الكثر المندفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْنٌ •
تَشْرُقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَعْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٌ يَمِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتَقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتَقُ الْمُلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّقًا فِي لَطَائِفِ الطَّيَافِيرِ
وَاللَّبَّ مَا بَيْنَ قَشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّ السُّنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ التَّافِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتَقِ أَيْضًا :

تَقَرَّرَتْ فِي مَعْنَى الثَّمَارِ قَلَمٌ أَجَدَ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مَجْرَدِ
سِوَى الْفُسْتَقِ الرُّطْبُ الْحَبِي فَإِنَّهُ زَهَا يَمَانُ زَيْتُ بَقْرَدِ
عَلَّاهُ مَرْجَانٌ عَلَى جِسْمِ فَصَّةٍ وَأَحْسَنَاءُ بِأَقْوَبِ وَقَلْبُ زَرْجَدِ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجَلَنَارَ :

بَدَأَ لَنَا الْجَلَنَارُ فِي الْقُصْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَأَجْبِ
كَأَنَّمَا أَكْثَرُ الْعَمِيقِ بِهِ قَدْ مَلَأَتْ مِنْ بَوَادِ الْذَهَبِ

٢٩٠ وَمَا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَدُوْنَا عَلَى الرُّوضِ الَّذِي طَلَّهَ النَّدى شَجَرًا وَأَوْدَاجَ الْأَبَارِقِ نُسْفَكَ
قَلَمٌ تَرَشُّبًا كَانَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنَ الثُّورِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَهْمِكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرْجَبًا بِالرَّيْعِ فِي آذَارٍ وَيُشْرِقُ بِهَيْجَةِ الْأَنْوَارِ
 مِنْ شَقِيقٍ وَأَفْحَانٍ وَوَرْدٍ وَخَرَامٍ وَزَرْجِسٍ وَبَهَارٍ
 ٢٩٥ قَالَ غَيْرُهُ:

أَمَّا زَى الْأَرْضِ قَدْ أَعْطَكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
 فَلِلْسَمَاءِ بُكَاةٌ فِي جَوَانِبِهَا وَلِلرَّيْعِ انْتِسَامٌ فِي تَوَلِّجِهَا
 ٢٩٦ قَالَ آخَرُ فِي الْقَتَامِ:

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُثَلِّمَهَا لَمْ تَهْتِكِ الْأَرْضَ عَنْ نَمِيٍّ مِنْ الزَّهْرِ
 وَالْأَرْضُ لَا تَغْلِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمَلَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ
 ٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْدٍ فِي الْوَرْدِ:

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذْكَى مَا سَقَى مَا السَّكَّابِ الْجَامِدِ
 خَضَمَتْ قَوَائِمُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ قَدْ لَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
 وَإِذَا تَبَدَّى الْقَصْفُ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو قَلَامٌ مِثْلُ وَهَذَا حَاسِدُ
 سَوَادًا أَتَى وَقَدْ الرِّيْعُ مُبَشِّرًا يَطْلُعُ وَقَدِيدُهُ قَنَمُ الْوَاغِدِ
 لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِأَتَمِّهِ خَيْرٌ عَلَيْهِ مِنَ الثُّبُورِ شَاهِدُ
 وَإِذَا تَهَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَ عَوَارِفُهُ هُنَّ خَوَالِدُ
 ٢٩٨ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ:

وَالْأَرْضُ تَسِيمُ عَنْ ثُورٍ رِيَاضَهَا وَالْأَفْقُ يُغْمِرُ نَلَاةً وَيَقْطِبُ
 وَكَأَنَّ خُضْرَ الرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَالْيَاسَمِينُ لَهَا طِرَازُ مَذْهَبُ
 ٢٩٩ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ:

سَمَاءَ الْأَرْضِ إِذَا مَا نَمَتْ نَبْهِي
كَأَنَّ سَوْسَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّرَجَلِ :

حَازَ السَّرَجَلُ لَذَاتِ الْوَرَى فَقَدْ
كَارَأَجَ طَعْمًا وَشَمَّ الْمَسْكِ رَاحَةً
٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ يَتَبَرَّ طَعْنٍ وَضَرْبٍ
كَلَّتْ فِي أَسْتَوَاتِهَا وَأَسْتَقَامَتْ
٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا
أَدُورٌ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي هَدَّيْتُ
٣٠٠ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنَيْتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ فَنَمَّا وَغَرِبَهَا
قَلَمٌ أَرَى مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقْلَامَةٍ
مَصْنُوعَةٍ أَبْدَانُ وَزَهْرُهُ أَعْيُنُ
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّيْبُ بِإِلَادِهَا
٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّطْرِ نَجْمِ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَرِ :

بِأَعْيَابِ الشَّطْرِ نَجْمٍ مِنْ جَهْلِهِ
فِي فَهْمِهِ عِلْمٌ وَفِي لُبِّهِ شُغْلٌ
عَنِ النَّسِيبِ لِلنَّاسِ

وَسَمَّلُ الْمَاءِ عَنْ حُرِّهِ وَصَاحِبُ الْكَلَسِ عَنِ الْكَلَسِ
 وَصَاحِبُ الْحَرْبِ يَنْذِيرُهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَةِ وَالْبَاسِ
 وَأَهْلُهَا فِي حُسْنِ أَدَائِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَّاسِ
 ٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دُقَيْدٍ الْعِيدَ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوْنِ
 مُثِيلُ مَذِيرٍ بَعِيدٍ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَيْبٌ
 عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَوْعُ فَرْذٍ وَشَكْلُ غَرِيبٍ
 ٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفٍ الْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ
 النَّحْوُ يُضْجُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكْنِ وَالرُّءُ تَنْظُمُهُ إِذَا لَمْ يَنْقُصْ
 فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَاجْلُهَا مِنْهَا مُعِيقُ الْأَلْسُنِ
 ٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَرَوَيْهِ الْحُمَى قَالَ:

وَرَايَةَ تَرَوْدُ بِلا رَقِيبٍ وَتَنْزِلُ بِالْقَتَى مِنْ غَيْرِ حِيَةٍ
 وَمَا أَحَدٌ يُحِبُّ الْقُرْبَ مِنْهَا وَلَا تَحُلُو زِيَارَتَهَا بِقَلَةٍ
 تَبِيتُ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ قَطْلُ بَعْدَهَا مِنْ عَظَمِ كَرِيَةٍ
 وَتَنْمُو لَذِيذِ الْعَيْشِ حَتَّى تَنْقُصَهُ تَأْكُلُهُ وَشَرِيَةٍ
 أَنْتَ لِي يَا رَقِيٍّ مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ وَكَمْ مِنْ زَارٍ لَا مَرْحَبًا بِهِ
 قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْحُلَّانِ:

أَلْقَبُ مِنْ فُرْقَةِ الْحُلَّانِ بِمُحْتَرِقٍ وَالسَّمْعُ كَالدَّرِّ فِي الْحَدِيدِ يَسْتَنْقِ
 إِنْ قَاضَ مَاءٌ دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا الْمَوْدُ يَمْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبير ومعاوية

٣٠٥ كَانَ لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَيْدٌ يَسْلُونُ فِيهَا.
وإِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمَعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَيْدٌ يَسْلُونُ فِيهَا. قَدْ خَلَّ عَيْدُ
مَعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مَعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَا بَعْدُ يَا مَعَاوِيَةُ إِنْ عَيْدِكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَانْتَهُمُ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مَعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أَرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ حَيْثُ يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَأَخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تُونَكَ بِرَأْسِهِ . فَحَالَ : بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَّا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ فِي مَا سَأَهُ . وَاللَّهُ نَبَأُ
بِأَمْرِ مَا هَمَيْتُ عِنْدِي فِي حُجُبِ رِضَاهُ . تَزَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضَعْتُهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِنَافِيحِهَا مِنَ السَّيِّدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مَعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيُ الَّذِي أَحْلَاهُ مِنْ
قُرَيْشٍ هَذَا الْحُلَّ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مَعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزُّبَيْرَ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى أَبِيهِ زَيْدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ .
 فَهَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مَنْ عَاسَاكَ . وَمَنْ حَلَمَ عَظَمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَسْمَالَ
 إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَبْلَيْتَ بَشِيٍّ مِنْ هَذِهِ الْأَذْوَاءِ . فَدَاوِهِ يَشْلُ
 هَذَا الدَّوَاءَ

المصدر ومحمد بن جعفر

٣٠٦ . قِيلَ : كَانَ الْمَنْصُورُ مُجَابًا بِحَادَّةٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ وَلِسَطَمَ قَدْرَهُ
 يَفْرَعُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّغَلَاتِ . فَقِيلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَجَبَّهَ مُدَّةً . ثُمَّ
 لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعَفَ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُفْعَلْ عَلَيْهِ فِي الشَّغَلَاتِ . فَقِيلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا رَوَّجَهُ
 إِلَى الْبَابِ اعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ رِفَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
 الْمَنْصُورِ . فَخَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَهَالَ : أَقْبِلُوهَا
 فِي كُمِي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخَضِرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
 وَمَا حَوْلَهَا مِنَ النَّبَاتِينَ . فَهَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
 فَهَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا أَنَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِثْمَانِ نِسْتِهِ
 عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَأَبَتْ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا التَّجَمُّ فِي
 سَائِلِ الْأَيَّامِ أَحْسَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ تَسْتَجِبُنِي فِي عَيْنِي
 خَصْلَةٍ . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا صِغَةً . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
 قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِعَافٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمْهَا . فَهَالَ : اللَّهُ دَرَكُ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بِأَقْبَعِ عَمْرٍكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضَبَّه . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا تَهَضَّرَ
لِيُقْرَأَ بِدَبِّ الرِّقَاعِ مِنْ كُفِّهِ فَعَجَلَ بِرُؤُوسِهِ وَيَقُولُ : أَرْجُوَنَّ خَائِبَاتِ
خَلِيبَاتِ . فَصَحَّكَ الْمُتَنَصِّرُ وَقَالَ : بِمَنِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي
بِمَخْبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيماً
وَقَتْلَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكْثِيلُ
نَبْنِي تَكَا كَانَتْ أَوَانِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
ثُمَّ نَصَحَ الرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (اللابشيحي)

عدل عمر بن الخطاب بأداه لعجز من قتله رعيته

٣٠٧ ذكر في كتاب المغازي عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال :
خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قاصِداً دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نَصَبِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ نَخْصاً أَعْرَابِيّاً
جَذْبَنِي شَبْوِي وَقَالَ : أَلَزَمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
الْأَمْسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةٌ قَرَّةٌ . فَصَبَّهْتُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ
خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُؤَيِّمُهُمْ وَيَتَأَمَّلُهُمْ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمْعٍ وَأَوْشَكْنَا أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَنَرْنَا إِذَا هُنَاكَ خِمَةٌ وَفِيهَا أَمْرَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلَهَا صَبِيَّةٌ
يُؤَلُّونَ عَلَيْهَا وَيُكُونُونَ . وَأَمَّا مَا أَتَانِي عَلَيْهَا فَقَدَرْتُ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَلِيلَا وَيَصْجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
 فَوَقَفْنَا سَبْعًا مِنْ هُنَاكَ وَجَسَلَ عُمَرُ بِأَمَلِ الْخُجُورِ تَارَةً وَنَظَرَ إِلَى
 الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَقَالَ الْوُقُوفُ: قُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
 يُوقِفُكَ سِرًّا. قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَرِخُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَتْ لِلصَّبِيَّةِ
 فَأَكَلُوا وَأَكْتَفُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَمَلْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
 أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاتُ الْعِيُونِ. وَالصَّبِيَّةُ لَا تَذَلُّونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
 وَالْخُجُورُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَلِيلَا وَيَصْجُ الطَّعَامُ
 فَتَأْكُلُونَ. فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَاتِ عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
 وَرَأَاهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَةَ. فَدَرَسَتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
 أَحْسَنَ دَرَسٍ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَارَخُونَ وَيَبْكُونَ.
 فَقَالَتْ لَهُ: يَا لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ بِمَا فِي
 الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا غَلَاةٌ فَقَطَّ
 إِلَى أَنْ يَصْغُرُوا مِنْ الْعَوِيلِ فَيَقْلِبُهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
 فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا أَلْمَاءٌ يَبُلِي.
 فَتَجَبَّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنَّ فِيهَا
 شَيْئًا يُطْعِمُ فَيُوكَلُّ فَأَعْلَمُهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا صَغُرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عَيْنُهُمْ
 نَأَلُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَلِمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَتَطَوِّعَةٌ لَا أَخُ
 لِي وَلَا أَبَ وَلَا زَوْجَ وَلَا قَرَابَةَ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَرْكَعِي عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيُصَلِّ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ أَلْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيًّا اللَّهُ عُمَرُ وَنَكَسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَعَاتِبَهَا
 أَرْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَالَهَ مَاذَا ظَلَمَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ظَلَمْنَا إِنْ الرَّأْيِي عَلَيْهِ أَنْ يُقَشَّ عَلَى حَالِي كُلِّ مَنْ رَعَيْتَهُ .
 لَعَلَّهُ يُوجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِنِّي ضَيْقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبَةِ وَلَا مَعِين وَلَا
 مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْتَسْخِرُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يَقْوَتُهُ وَعِيَالُهُ أَوْ
 صِبْيَتُهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتَ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثَرَةِ الصَّبَةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَدَّى وَتُعَلِّمَهُ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِنْ الرَّأْيِي الْحُرُّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَشَّ عَلَى أَحْجَابِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَلَمَّا ذَاكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالِ الضَّيْقُ الْيَدِ غَابَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَايِهِ لِعِلَّتِهِ بِحَالِهِ . فَقَلَى عُمَرُ السُّؤَالَ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِأَعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّأْيِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتَ يَا خَالَهَ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبَةِ وَالسَّاعَةِ أَيْتِكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَمَشَيْنَا وَالْكَلَابُ تَجَحُّنًا وَأَنَا ظَرُدُهَا وَأَذْبَاهَا عَنِّي
 وَعَنْهُ لِي أَنْ أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الدَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَحْدَهُ وَدَخَلَ وَأَمَرَنِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَتَنَظَّرَ بَيْنَنَا وَشِمَالًا فَمَعَدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَتَحَوَّى
 عَلَى مَائَةٍ رَطْلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَائِشُ حَوْلِي عَلَى كَتِفِي فَعَمَّائِهِ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : لِحْجَلِ أَنْتَ هَاتِيكَ جِرَّةَ السَّمْنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جِرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلَهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْبَلَ الْكَلْبَ وَسِرْنَا وَقَدْ أَنْهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى حِسْتِهِ
وَعَيْنِهِ وَجِئْتُهُ . فَمَشِينَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَيْتُهُ الْحِمْلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَصَرَضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا ابْنِي وَيَا ابْنِ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلَ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي حِرَافِي وَظُلُمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حِمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَنَقْلَهَا خَيْرٌ مِنْ حِمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا يَسِيحُ هَذِهِ
الْعُجُوزُ تَحْمِلُ أَوْلَادَهَا بِالْمَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَصْبِرَ الصَّبِيحَةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَتَلَمَّعُوا كَمَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْتَهُ لَهْتَ الثَّوَرِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا حَيْثُ الْعُجُوزُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنْ كَيْفِهِ وَوَضَعَتْ
جِرَّةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَتَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقَدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَمَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقُ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعُجُوزِ : أَعِنْدِكَ حَطْبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطْبُ أَخْضَرُ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقَدْرَ
عَلَى الْأَنْفَاقِ . وَجَمَلَ بِنَكْسِ رَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَبَنَعَ بِنَفْسِهِ تَحْتَ الْقَدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطْبِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِ حِسْتِهِ وَقَدْ كَفَسَ
بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَاطِعُ رَأْسَهُ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى أَشْتَمَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلْيَانُهُ . فَجَمَلَ بِحِرْكِ السَّمَنِ
يُسُوْدُ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلُطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَنْ أَنْجَحُوا الصَّبِيَّةَ حَوْلَهُ يَتَصَارَحُونَ. فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 النُّجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ. فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَتَفَقَّهُ بِفَمِهِ لِيُرِدَهُ
 وَيُلْقِمَ الصَّغَارَ. وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاشْكَبُوا. وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَتَنَمَّوْا. فَاتَّفَقَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى النُّجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا: يَا خَالَهَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَسَأَذْكُرُ لَهُ حَالَكَ مَا أَنْتِ بِنْتِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَجِدِّي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا. ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي جِئْتُ رَأَيْتُ النُّجُوزَ
 تَمْلِكُ عَسِيَّتَهَا بِحَصَى حَسَسْتُ أَنَّ الْجِبَالَ قَدْ زَلَزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي. حَتَّى إِذَا جِئْتُ تَبَايَعْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَلِبْتُهُ لَهُمْ وَأَشْكَبُوا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينَئِذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي. ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبَنَّا لَيْلَتَنَا. وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ النُّجُوزَ فَاسْتَقَرَّهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيَّتِهَا رَأْيًا مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ تَسْتَوِفِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (لِلْأَيْلِيدِ)

معاوية والزرقاء.

٣٠٨ حُكِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَاتَّقَلَّتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ.
 وَأَمَلَّتْ مِنْهُ الصُّدُورُ. وَأَدْعَنَ لِأَمْرِهِ الْجُمْهُورُ. وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ. اسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَحْبَابِهِ وَذَكَرَهُمْ وَقَابَحَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ. وَمِنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرُ الْكُرْهِيةِ مِنَ الْمُتَرُوفِينَ. فَأَنهَمَكُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

والريض. وآل حديثهم إلى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب
عليهم زيادة النحر يرض. فقالوا: امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء
بنت عدي كانت تعتمد الوقوف بين الصُوف. ورفعت صوتها
صارخة: يا أصحاب علي. تسبهم كلاما كالصواريم. مستحثة لهم بقول
لوسيلة الحبان هاتل والمذبر لأقبل. والمسالم حلوب. وأقار لكر.
والمترزل لاستر. فقال لهم معاوية: أيكم يحفظ كلامها. قالوا:
كلنا نحفظه. قال: فما تشيرون علي فيها. قالوا: تشير بعقلها فإنها أهل
لذلك. فقال لهم معاوية: يسما أشركم به وفيها لما قلتم. أحسن أن
يشهر عني أنني بعدما ظهرت وقدرت قتلت امرأة قد وفيت لصالحها.
إني إذا لستيم. لا والله لا فأت ذلك أبدا. ثم دعا بكاتبه فكتب
كتابا إلى واليه بالكوفة أن: أنفذ إلي الزرقاء بنت عدي مع نفر
من عشرينها وفرسان من قوما. وهد لها وطاء لنا وركبا ذلولا.
فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها. فقالت بعد قراءة
الكتاب: ما أنا براهنة من الطاعة. فحملها في هودج وجعل غشاه
خرا مبطنا. ثم أحسن ضجبتها. فلما قيعت على معاوية قال لها:
مرحبا وأهلا خير مقدم قديمه وافد. كيف حالك يا خالة وكيف
رأيت سيرك. قالت: خير مسير. قال: هل تعلمين لم يبت إليك.
قالت: لا أعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى. قال: ألسنت راصبة
الجمل الأحمر يوم صعين. وأنت بين الصُوف توقيدين نار الحرب

وَنَحْرَيْنِ عَلَى الْعَتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ مَلَأَ الرَّأْسَ وَبَيَّرَ الذَّنْبُ . وَاللَّهِ دُونَ ذَلِكَ وَمَنْ
تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يُحْدِثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ هَلْ
تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَجْرُكَ فَقَدْ
سَمِعْتِ كَقَوْلِي : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
الْكُوكَبَ لَا يُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَيْتَ لَا يَسْقُ الْقَرْسَ . وَلَا يُطْعَمُ
الْحَبِيدُ إِلَّا بِالْحَبِيدِ . إِلَّا مَنْ أَسْتَرَشِدْنَا أَرْشَدَنَاهُ . وَمَنْ سَأَلَنَا
أَخْبَرْنَاهُ . إِنْ الْحَقُّ كَانَ يُطْلَبُ ضَلَّاهُ فَاصْلَبَاهُ . فَصَبْرًا بِأَمْعَشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَانَكُمْ وَقَدْ أَلْتُمُ سَمَلَ الشَّيْطَانِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
الْعَدْلِ وَعَلَى الْحَقِّ بَاطِلُهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ . أَفَمَنْ كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَأَلْتَزَالَ الْتَزَالَ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
أَلَا وَإِنَّ خُضَابَ الْأَسَاءِ الْخِنَاءُ وَخُضَابَ الرِّجَالِ الْدَّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
الْأُمُورِ عَاقِبَةُ . إِنَّا الْوَحْدَ غَيْرَ تَاكِهِينَ قَدْ بَدَأَ يَوْمُ لَهَ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاهُ
أَلَيْسَ هَذَا قَوْلُكَ وَنَحْرُ بَيْتِكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكُهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَتِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ . مِثْلُكَ مِنْ بَيْشَرٍ يُخَيِّرُ وَيَسِّرُ جَلِيسَهُ .
فَقَالَ مُلَاوِيَةٌ : أَوْ قَدْ سَرَكِ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَنِي قَوْلُكَ
وَأَتَى لِي بِصَدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُلَاوِيَةٌ : وَاللَّهِ لَوْ دَاوَيْتُكُمْ لَهَ بَدَمُوتِهِ
أَتَجِبُ إِلَيْكَ مِنْ حَيْكُمُ لَهَ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكَ نَعِصْ . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آتَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بِقَدْرِي
حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلَيَّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِقَتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
مِنْ الْمَشِيرِ . وَلَوْ أَطَعْتُهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَفَعْتُكَ وَنَحْنُ
إِلَيْكَ وَزَعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ مِنْكَ . وَمِنْكَ مَنْ قَدَّرَ
فَعَمَّا وَتَجَاوَزَ عَنْ أَسَاءٍ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كَسْوَةً
وَدَرَاهِمَ وَأَقْطَعَهَا صَبْعَةً تَمْلُ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكَتَبَ إِلَى وَالِي الْكُوفَةِ بِالْأُتُوبَةِ
بِهَا وَيُعَشِّرُ بِهَا (للأبشي)

ربما كان حلا على الامارة بكرها

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
خُرَيْمَةُ بْنُ بَشْرِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَكَانَتْ
يَعْتَمِدُ وَافِرَةٌ . فَلَمَّ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى احْتَجَّ إِلَى
إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَسِيْرُهُمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَاسْوَهُ جِنَاحُكُمْ مِنْهُمْ مَلُوهُ .
فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتَهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةُ أُمِّمِ
رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَمِيرَ أَعْمَاءَ عَهْدَتْ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي
إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَوَتَّعًا عِنْدَهُ حَتَّى
نَفَدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَارِزًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرَمَةُ الْقِيَاضِ وَالْيَا
عَلَى الْجَبْرِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيْوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشْرِ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرَمَةَ عَنْ حَالِهِ

هَآلَآ لَهُ : إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَطْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
 عِكْرِمَةُ أَهْلَاسُ : أَفَمَا وَجَدَ خُرَيْمَةُ بْنُ يَشْرِ مُوَابِيَا أَوْ مَكْفِيَا . هَآلَآ لَهُ :
 لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكُرَمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
 وَقَدْ تَنَبَّى أَهْلَاسُ لِرَبَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
 دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
 بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
 يَجْعَلُ أَلْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَارًا حَتَّى وَفَّعَ عَلَى بَابِ
 خُرَيْمَةَ فَتَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لِلنَّايَةِ وَأَخَذَ مِنْهُ
 الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَّرَ صَوْتُهُ : خُذْ هَذَا أَصْلُحْ بِهِ شَأْنَكَ . فَتَنَاوَلَهُ خُرَيْمَةُ فَرَأَاهُ
 ثِقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جِئْتُ
 فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
 تَعْرِفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُرَيْمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَنَرَاتِ الْكِرَامِ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : زِدْنِي إِیْضًا . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُرَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أَمْرَأَتِهِ وَقَالَ
 لَهَا : أَبْشِرِي هَذَا أَنِّي اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَهُوَ يَأْتِي سِرِّي . فَقَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى
 السَّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . قَالَتْ خُرَيْمَةُ يَلَسُ الْكَيْسُ فَيَجِدُ
 خُشُونَةَ الدَّنَائِيرِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ أَمْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
 بَعْدَ هَذَا مِنَ اللَّيْلِ مُتَرَدًّا . فَأَجَابَهَا : مَا كُنْتُ لِأُخْرِجَ فِي وَقْتِ كَذَا

وَأُرِيدُ أَنْ يَسْلَمَ أَحَدٌ يَخْرُجُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا تَعْلَمُ
 أَنْ أَعْلَمُ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ. فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ قَالَ لَهَا: أَخْبِرِي بِالْأَمْرِ فَأَكْتُمِيهِ إِذَا. قَالَتْ لَهُ: قُلْ وَلَا
 تُبَالٍ بِذَلِكَ. فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا. أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُرَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلسَّيْرِ يُرِيدُ الْخَلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ. فَدَخَلَ الْحَاجِبَ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُرَيْمَةَ بْنِ يَسْرٍ.
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ حَيْدًا بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ خُرَيْمَةُ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِلَاقَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ: يَا خُرَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا. قَالَ: سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ النُّهْضَةَ إِلَيْنَا. قَالَ خُرَيْمَةُ: ضُعْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي. قَالَ: فَمَنْ أَنَهَضَكَ الْآنَ. قَالَ خُرَيْمَةُ: لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُدْهَدَاتِهِ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ نَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ. وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى
 آخِرِهَا. فَقَالَ لَهُ: أَمَا عَرَفْتَهُ. فَقَالَ خُرَيْمَةُ: مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا جِئْتُ سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ قَالَ: أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكَرَامِ. قَالَ: فَتَلَقَّاهُ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ: لَوْ عَرَفْتَاهُ لَكَافَيْتَاهُ عَلَى مَرْوَةٍ.
 ثُمَّ قَالَ: عَلَيَّ بِالْكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ. فَكَتَبَ لَخُرَيْمَةَ الْوَلَايَةَ عَلَى الْخَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرَمَةَ وَأَمْرَ لَهَا بِالْعَطَاءِ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتِهِ. وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَفْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ قَبْلَ الْأَرْضِ خُرَيْمَةَ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْخَزِيرَةِ.
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرَمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَّغَهُ عَزْلَهُ وَأَقْبَلَ لِلْإِلَاقَةِ خُرَيْمَةَ

مع جميع أعيان البلد. وسلّموا عليه وساروا جميعاً إلى أن دخلوا به البلد.
 فنزل خزيمه في دار الإمارة وأمر أن يؤخذ عكرمة ويحاسب. فحوسب
 ففضل عليه مال كثير فطلبه خزيمه منه. فقال له عكرمة: والله ما إلى
 درهم منه سبيل ولا عندي منه دينار. فأمر خزيمه بحبسها وأرسل
 يطالبه بالمال. فأرسل عكرمة يقول له: إني لست بمن يصون ماله
 بغير ضيق فاضن ما شئت. فأمر خزيمه بقيقه وضربه. فكيل بالحديد
 وضرب وضيق عليه. فأقام كذلك شهراً فأضناه ذلك وأضر به فبلغ
 أمر أنه ضربه فمزعت عليه وأعتت لذلك عما شديداً. فعدت جارية
 لها ذات عقل وقالت لها: أمضي الساعة إلى باب خزيمه وقولي للحاجب:
 إن عندي نصيحة للأمير. فإذا طلبها منك فقولي: لا أقولها إلا للأمير
 خزيمه. فإذا دخلت عليه فسلية الخطوة فإذا قلّ قولي له: ما كان هذا
 جزاء جابر عثرات الكرام. ونك يمسك فأتاك له بالضيقة والحبس
 والحديد ثم بالضرب. قال: فعلت جاريتهما ذلك. فلما سمع خزيمه
 قولها قال: وأسوء ناه جابر عثرات الكرام غريمي. قالت: نعم. فأمر
 لوقت بدأته فأسرحت وركب إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم
 إلى باب الحبس. ففتح ودخل فرأى عكرمة القياس في قاع الحبس
 متعباً قد أضناه الضر. فلما نظر عكرمة إلى خزيمه ووجوه أهل البلد
 منه أحسنه ذلك فكسر رأسه. فأقبل خزيمه واكب على رأسه فقلبه.
 فرمى عكرمة رأسه وقال: ما أعجب هذا منك. قال خزيمه: كريم فمالك

وَسُوهُ مَكَافَاتِي. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: يَغَيِّرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ. ثُمَّ إِنَّ خُرَيْمَةَ
أَمَرَ بِمُيُودِهِ أَنْ تُنْقَلْ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسُهُ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ:
مَا مَرَأْتُكَ بِذَلِكَ. قَالَ: مُرَادِي أَنْ يَأْتِيَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا قَالَكَ. فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَقْعَلْ. وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ أَنْ يُصْرَافَ فَلَمْ يُمْكِنْهُ مِنْ ذَلِكَ.
ثُمَّ أَمَرَ خُرَيْمَةُ بِالْحَمَامِ فَأُخْبِلِي وَدَخَلَا جَمِيعًا. وَقَامَ خُرَيْمَةُ نَفْسُهُ فَقَوَّلَ
خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ. ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
الرَّمْلَةِ. فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ. فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
بِعُدُومِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ. فَرَأَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَالِي الْجَزِيرَةِ يَقْدُمُ
عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَامِعٍ قُرْبَ الْعَهْدِ بِهِ. مَا هَذَا إِلَّا لِخِلَافَتِ عَظِيمٍ. فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: مَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ. قَالَ: خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: فَمَا
أَفْعَلْتُكَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَنَرْتُ بِحَبَابِ عَرَاتِ الْكِرَامِ
فَأَحْسَبْتُ أَنَّ أَسْرَكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْفِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ. قَالَ: وَمَنْ هُوَ.
قَالَ: عِكْرِمَةُ الْهَلْبَاضِيُّ. فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْإِلَافَةِ
فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ عَجَلِيهِ وَقَالَ لَهُ: يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبِالْأَمْرِ
عَلَيْكَ. ثُمَّ إِنَّ الْخُلَفَاءَ قَالُوا لَهُ: اكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رَقْعَةٍ.
فَكَتَبَهَا فَصَبَّتْ عَلَى أُنْمٍ وَجْهِهِ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِبَشْرَةٍ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَصَافَ
لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ النُّفُوسِ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَارْمِيَةِ

وَأَذَرُ بِيحَانٍ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ غَزْوَةِ بَيْدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ أَرُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا انْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَرََا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للصوي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحُجَّاجَ بْنَ يُونُسَ أَخَذَ زَيْدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَنَجَّيْتَهُ. فَأَحْثَالَ زَيْدٌ يُحْسِنُ
تَلْقُفَهُ وَأَرْغَبَ السَّجَّانَ وَأَسْتَأْصَلَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ زَيْدٌ بِنَ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُبْلِغُهُ أَنَّ زَيْدَ
هَرَبَ مِنَ السَّجَّانِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَحْبَبْتُ زَيْدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَآبَاؤُهُ وَإِخْوَتُهُ أَجَاءُوا مِنَّا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أَمْرَ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ عَذَّبَهُ وَغَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْرِجُنِي فِي ضَيْفِي فَلْيَقْعِلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ
إِنَّهُ لَا يَدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ زَيْدٌ مُقْبِدًا مَنُفُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ الْيُوسُفَ فَصَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَفَيْدَهُ.

ثُمَّ سَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَعَلَّاهُمَا جَيْمًا بَيْنَيْنِ وَحَمَلَهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَأَبْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ نَائِلَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ قَابِدًا يَقْتُلُ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْمَلَ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَأَجْمَلَنِي إِنْ شِئْتَ تَالِكًا وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهَمَّا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِخْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ هَذَا الْمَلِيقَ . فَاتَّخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيَتَحَجَّجُ بِنَفْسِهِ . هَآلَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا تَحْتَاجُ مَا تَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَلِمْنَا عُذْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحِجَابِ . ثُمَّ اسْتَخْصَرَ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّ بِهِمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحِجَابِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَإِنَّكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَادَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِلأَبِشِيهِ)

فَوَكَرَهُمْ وَحَصَلَهُ إِلَى مَنْ قَتَلَ أَبَاهُ

٣١١ حِكْمِي أَنَّهُ لَمَّا أَقْصَتْ الْحِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْخَةِ فَاتَّخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ السَّقَاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلَزِمَ عَجَلِي قَدَاتِ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو النَّبَّاسِ السَّفَاحُ:
 يَا إِبْرَاهِيمَ حَدِّثْنِي عَمَّا رَأَيْتُكَ فِي اسْتِخْفَاكَ مِنَ الدُّوَى. فَقَالَ تَمَامُ
 وَطَاعَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْخَيْرةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
 الصُّحُرَاءِ قَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
 سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْخَيْرةَ. فَخَلَيْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
 فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَكِرًّا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
 أَحَدًا أَخْتَبِي عَنْهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ. فَظَنَنْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابٍ كَبِيرٍ
 وَاسِعٍ الرَّحِيَّةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ. فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُثَلًّا
 عَلَى الرَّحِيَّةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَتَزَلَّ عَنْ قَرِينِهِ وَأَلْقَتْ قَرَأَنِي فَقَالَ لِي: مَنْ
 أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ. فَقُلْتُ رَجُلٌ خَافَ عَلَى دِينِهِ وَجَاءَ بِسُجُودٍ فِي
 مَنْزِلِكَ. فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَبَّرَنِي فِي خُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكُنْتُ عَنْدهُ فِي
 كُلِّ مَا أَحْبَبْتُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
 حَالِي. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْقَهْرِ وَيَضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
 قَرِيبَ الظُّهْرِ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَأَيْكَ تَنْمِنُ الرَّاكُوبُ كُلَّ يَوْمٍ قَرِيبَ
 ذَلِكَ. فَقَالَ لِي: إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي
 ظُلْمًا وَقَدْ بَلَّغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْخَيْرةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمًا لَدَيْ أَجَدِهِ
 وَأَذْرَكَ مِنْهُ نَارِي قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنْتُ
 تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنْ أَلْهَدَ سَاقِي إِلَى حَتْمِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
 دِينِي. فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ: ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنِ امْنِيهِ وَاسْمِ اَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
قَتَلْتُ أَبَاهُ . هَلَّتْ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلِمَرُّوْفِكَ لِي
يَلْزَمْنِي أَنْ أَذْلِكَ عَلَى خَصْمِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
الْخُطْوَةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . هَلَّتْ لَهُ : أَنَا إِبراهيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
أَبِيكَ فَخُذْ بِنَارِكَ . فَتَبَسَّمَ بَنِي وَقَالَ : هَلْ أَتَخْبِرُكَ الْأَخْفَاءَ وَالْبُعْدَ عَنْ
مِثْلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ الْمَوْتَ . هَلَّتْ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
الْحَقَّ وَرَأَيْتُ قَتْلَهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
هَذَا وَطَمَ صَدْرِي تَبَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَأَثَقَتْ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِنَارِهِ مِنْكَ
وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْضِرُ دِمَّتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَ عَنِّي قَاتِلَ ابْنِ لَسْتُ أَسْنُ
عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ اخْذَهَا
وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَصَحَّتْ عَنْهُ فِي
عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للاللهدي)

جود ممن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَنْ بَنٍ زَائِدَةً أَنَّ شَاعِرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
مُدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَهَيِّأْ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ سَأَلَ
بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَنْ تُعْرِفَنِي .
فَلَمَّا دَخَلَ مَنْ إِلَى بُسْتَانِهِ لَيْسَ تَرَاهُ جَاءَ الْخَلْدِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَبَّ
الشَّاعِرُ بَيْنَمَا مِنَ الشَّرِّ عَلَى خَشْبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ فَجَارِيَ إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَأَتَقَقَ أَنَّ مَعَنَا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
فَرَأَتْ عَلَيْهِ الْحَشْبَةَ فَظَنَرَفِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
أَيَا جُود مَعْنَى نَاجٍ مَعَنَا بِجَاجَتِي فَأَيُّ إِلَى مَعْنَى سِوَالِك سَبِيلُ
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنَى قَالَ لِخَادِمِهِ : أَخْضِرْ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
وَجَاءَ بِهِ فَصَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَنْشَدَهُ الْيَتِيمَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَ لَهُ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنَى وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبَسَاطِ مَكَانَ
جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَ فَيَسَّ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلْتَهُ الْحَشْبَةَ
فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَّهُ فَأَرَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَقَضَى
وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فَأَلْتَهُ الْحَشْبَةَ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْمَطَاءَ أَرَادَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشَّعْرِ خَافَ
أَنْ مَعْنَى يَرَاهُ عَمَلُهُ وَيَأْخُذَ أَلْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنَى خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَأَلْتَهُ فَتَحَطَّرَ الشَّاعِرُ بِلَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
يُخْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَقَضَى الْخَادِمُ وَسَالَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ أَغْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

أَيُّهُمُ الْمَوْصِلِي وَالْمُهْدِي

٢١٣ حَدَّثَ أَيْرُهِمُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمُهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
فَأَرَادَنِي عَلَى مَا لَزِمَنِي وَتَرَكْتُ الشَّرْبَ فَصَرَفَنِي وَجَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَمَا بَيَّنَّنِي عَلَى شَرِّ بِي الْحَرِّ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ: لَا تَدْخُلْ عَلَى
مُوسَى وَهَارُونَ ابْنَيْكَ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَا قَمَلَنَ بِكَ وَلَا ضَعْفَنَ .
قُلْتُ: نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زُجْجَةٍ لَهُمَا . فَسَبَّيَهُمَا وَبَيَّ
إِلَى الْمُهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي مَا تَكْرَرْتُ . فَأَمَرَنِي فَعَجِدْتُ فَضَرَبْتُ
ثَلَاثُمِائَةٍ وَبَسْتَيْنِ سَوْطًا . قُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنْ جُرْمِي لَيْسَ مِنْ
الْأَجْرَامِ الَّتِي يَجِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكَ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
بِالسَّيْفِ فِي جَنْبِهِ فَتَجَنَّبَنِي بِهِ وَسَقَطَتْ مَغْشِيًا عَلَى سَاعَةٍ . ثُمَّ قَفَحْتُ
عَيْنِي فَوَقَعَتْ عَلَى عَيْنِي الْمُهْدِيُّ . فَرَأَيْتُهُمَا عِنِّي كَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ:
خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ: فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
وَحَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شِدْبَةً بِالْقَهْرِ فَيَصِيرَنِي
فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَحَهُ . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيَسْكُنَ الضَّرْبَ . وَدَفَعَنِي
إِلَى خَاطِمَةٍ لَهُ فَصِيرَتْنِي فِي ذَلِكَ الْقَهْرِ . فَكَادَتْ بِالْأَثَرِ وَالْبَقْ فِي ذَلِكَ
الْقَهْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ اسْتَرْجِعُ إِلَيْهِ قُلْتُ لِلْأَمَةِ: أَطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهِمَا
فَقِمُّ وَكُنْتُ دُخْرًا عِنِّي هَذَا الْبَقْ . فَأَتَيْتَنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَظْلَمَ
الْقَهْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنْ أَلْهَمٍ . فَأَسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى الْتَرِّ
فَالْصَفْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى جَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا طَلَّتْ أَنِّي قَدْ اسْتَرَحْتُ بِمَا
كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَاتَانِ مُقْبِلَتَانِ تَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَهْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخْذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
بِيَدِي الْيُسْرَى فَمَا عَلَيَّ وَإِمَامِي . ثُمَّ كَفَفْتُهُمَا قَدَحًا مِنْ الثُّقْبِ الَّذِي

خَرَجَتَا مِنْهُ . فَهَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الْفَتْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 أَلَا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ أَتَعَالَجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا تَمِيلًا
 يَدَارُ الْهَوَانَ وَشَرَّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا أَحْصَفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّحَاءِ قَلَمًا حُبِسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بِلَاقِي مَلِّ الصَّدِيقِ قَلَا يَأْمَنَنَّ حَلِيلُ حَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمُهْدِي وَأَخْلَفَنِي (وَكُلُّ عَيْنٍ لَا فَتْحَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أَغْنِيَهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي (الْإِغَانِي)

الرَّوَاةُ الْمُظَلَّةُ وَابْنُ الْمَأْمُونِ

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدَّمَهُمْ بِالْقِيَامِ أَمْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْبَةُ السَّفَرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابُ رُتَبَةٍ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى مِجَنِّي بَنِ الْخُثَمِ هَالًا لَهَا مِجَنِّي :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يَهْدِي لَهُ الرُّشْدُ وَيَا أَمْلَأَ بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْسَلْتُهُ عَدَا عَلِيًّا فَلَمْ يَرْكُزْ لَهَا سَبْدُ
 وَابْتَرَّ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظَلَمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلَ وَالْوَلَدُ
 فَاطْرُقَ الْمَأْمُونُ جِنَاثًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجُلْدُ عَنِّي وَفَرَحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَفْدُ
 نَذَا أَدَانُ صَلاَةَ الْمَصْرِ فَأَنْصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْحَضَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعْدُ

وَالْجُلُوسُ أَلْبَسَتْ إِنْ يُقَضُّ لِلْجُلُوسِ لَنَا تُصَفِّكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْجُلُوسُ الْأَحَدُ
 قَلَمًا كَانَ الْيَوْمُ الْأَحَدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
 الْمَرْأَةُ. فَقَالَتْ: أَسْلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.
 فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخَصْمُ. فَقَالَتْ: الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَوَمَّتْ إِلَى الْمُبَاسِرِ أَبِيهِ. فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
 خُذْ يَدَيْهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَ الْجُلُوسِ الْخَصْمِ. فَعَمِلَ كَلَامَهَا يَتْلُو كَلَامَ الْمُبَاسِرِ
 فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ: يَا أُمَّةُ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.
 وَإِنَّكَ تَكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: دَعَاهَا
 يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ. ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّصَيْتَهَا إِلَيْهَا. وَظَلَمَ
 الْمُبَاسِرَ ظُلْمًا لَهَا. وَأَمَرَ بِالْكَتَابِ لَهَا إِلَى الْمَالِ بِبَيْدِهَا أَنْ يُؤْغَرَ لَهَا
 صَيْغَتُهَا وَيُحْسِنَ مَعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِثَقَّةٍ (لَا بِنَ عَبْدِ رَيْهِ)

المرأة الكريهة

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجَوَادِ الْكِرَامِ
 فَتَوَلَّى مَنْزِلًا. وَكَانَ مُنْصَرِفًا مِنْ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ. فَطَلَبَ مِنْ غُلَامِهِ
 طَعَامًا فَلَمْ يَجِدْهُ. فَقَالَ لَوَكِيلِهِ: أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَلَعَلَّكَ تَجِدُ
 رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٌ أَوْ طَعَامٌ. فَصْنَى بِالْعِلْمَانِ فَوَقَعُوا عَلَى عَجْوِزٍ فِي حَيٍّ.
 فَتَالُوا لَهَا: عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبْعُهُ. قَالَتْ: أَمَا طَعَامُ الْبَيْعَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
 مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بَنَاتِي. قَالُوا: فَأَيْنَ بُسُوكِ. قَالَتْ: فِي رِجْلِي لَمْ
 وَهَذَا أَوَانُ أَبَوَيْهِمْ. قَالُوا: فَمَا أَعْدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ قَالَتْ: خُبْرَةٌ تَحْتَ

مَلَيْهَا. قَالُوا: وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ. قَالَتْ: لَا شَيْءَ. قَالُوا: فَجُودِي لَنَا
بَشَطُهَا. قَالَتْ: أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أُجِودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ. قَالُوا
لَهَا: نَتَمَيَّنُ التَّصَفَّ وَتُجُودِينَ بِالْكَلِّ. قَالَتْ: نَعَمْ لِأَنِّ إعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ. وَإِعْطَاءُ الْكَلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ. فَأَنَا مَنَعُ مَا يَصْنَعُنِي
وَأَمْنُ مَا يَرْتَقِينِي. فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا. فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَخْبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:
أَنْجِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ فَرَجَمُوا إِلَيْهَا. وَقَالُوا لَهَا: أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَأَنَّهُ يُرِيدُكَ. قَالَتْ: وَمَنْ صَاحِبُكُمْ. قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ. قَالَتْ:
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَةُ الرَّفِيعَةِ. وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي.
قَالُوا: مُصَافَاةُكَ وَبِرِّكَ. قَالَتْ: أَوَاهُ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا قُلْتُمْ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا. فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا. فَلَمْ يَزَالُوا بِهَا إِلَى أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ. فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ. وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا: مِمَّنْ أَنْتِ.
قَالَتْ: مِنْ بَنِي كَلْبٍ. قَالَ: فَكَيْفَ حَالُكَ. قَالَتْ: أَسْهَرُ السَّيْرِ
وَأَتَمُّهُ أَكْثَرُ اللَّيْلِ وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ. فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ. قَالَ: فَمَا أَدَّخَرْتَ لِنَفْسِكَ إِذَا حَضَرُوا. قَالَتْ:

أَدَّخِرْتُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمٌ طَلَبِي حَيْثُ قَالَ:

وَلَتَدْرَأِينَ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَاشِكِلِ
فَأَزْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا. ثُمَّ قَالَ لَهَا: لَوْ جَاءَ بُؤُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتُ تَصْنَعِينَ. قَالَتْ: يَا هَذَا لَمَّا عَظُمْتَ عِنْدَكَ هَلِيزِ الْخِزْرَةُ حَتَّى
 أَكْثُرَتْ فِيهَا مَعَالِكَ. وَأَشْمَلَتْ بِهَا بَالِكَ. إِلَهٌ عَنْ هَذَا. فَإِنَّهُ يُنْسَدُ
 النَّفْسُ وَيُؤْتَرُ فِي الْحِجَةِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَخْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَأَخْضَرُوا لَهُمْ فَلَمَّا دَوَّامِنَهُ رَأَوْا أَنَّهُمْ وَسَلَّمَوا. فَأَذَنَهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ:
 إِنِّي لَمْ أَظْلِكُمْ وَأَمْكُم لَمْ كُرُوهُ وَإِنَّمَا أَجِبُ أَنْ أَصْلَحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلَمْ
 شَعْنِكُمْ. فَقَالُوا: إِنْ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ لِفِعْلٍ
 قَدِيمٍ. قَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَالِي فِيكُمْ. قَالُوا: يَا هَذَا نَحْنُ فِي خَفَضِ عَيْشٍ
 وَكَثَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهْ نَحْوَهُمْ يَسْتَحْتَمُوا. وَإِنْ أَرَدْتَ التَّوَالَّ مَبْتَدَأَ
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَقَدَّمَ قَمَرُوكَ مَشْكُورٌ وَبَرُّكَ مَقْبُولٌ. قَالَ: نَعَمْ هُوَ
 ذَلِكَ. وَأَمَرَ لَهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً. فَقَالَتِ الْحُجُورُ
 لِأَوْلَادِهَا: لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتْبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ وَهْنُهُ. فَقَالَ الْأَكْبَرُ:

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ وَطِيبِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْخَبَرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ:

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَقَالَ عَظِيمٌ: كَرِيمٌ الْخَطَرِ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ:

وَحَقٌّ لِي أَنْ كَانَ ذَا فِطْلِهِ بِأَنْ يَسْتَرِقَّ رِقَابَ الْبَشَرِ
 وَقَالَتِ الْحُجُورُ:

فَصَرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتُ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَرِ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَقَدْ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيًّا أَلْهَالِي رَثَ
الْمَيْتِ. فَنِعِمَّ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَلَمًا. فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
يَوْمٍ يُرِيدُ التَّرَهُّةَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ الشَّرْطَةَ
أَزْدِرَاءَ بِهِ. فَلَمْ يَنْتَهِ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعَثَانِ قَرِيْبِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ
أَنَا عَائِدٌ بِكَ مِنْ شَرِّكَ. فَتَهَاكُمُ عَنْهُ وَأَبَدُهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ
مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنَّ نُصْنِي
إِلَى لِسْمِكَ. وَنُظِلُّ إِلَى بَطْرِفِكَ. وَنُقِيلُ عَلَيَّ بَوَاجِكَ. ثُمَّ أَتَشُدُّ
بِيَاكِ ذَوْنَ النَّاسِ أَتَزِلُّ حَاجَتِي وَأَقْبَلْتُ أَسْمَى مُخَوِّهِ وَأَطُوفُ
وَيَنْعِي أَلْحَاجِبُ وَاللَّيْلُ مُسْبِلُ وَأَنْتَ بَعِيدُ وَالرَّجَالُ صُفُوفُ
يَطُوفُونَ حَوْلِي يَا لَهْ لَوَبَّ كَانَهُمْ ذَوَابُّ جِلْعَلٍ بَيْنَهُنَّ خُرُوفُ
فَالمَا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا وَأَصْرَفْتُ عَنْهُ لِإِنِّي لَضَعِيفُ
وَمَا لِي مِنْ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِي مِنْ عِلْمٍ أَلْهِيَانِ قَيْسُ وَخُنْدِفُ
وَقَدْ عَلِمَ أَلْهِيَانِ قَيْسُ وَخُنْدِفُ وَإِلَيْكَ وَقَدْ أَخَذْتُ عَلَيَّ صُرُوفُ
فِيْنِكَ أُنْبِي الْخَيْرَ مِنْكَ هَزْرِي وَأَنْتَ تَجْعَلُنِي لِي مُخَوِّبًا بِكَ عَوْدَةً
فَأَسْتَصْحِيكَ مَالِكُ حَتَّى كَادَ يَسْمُطُ عَنْ قَرِيْبِهِ. ثُمَّ قَالَ لِي

حَوْلَهُ : مَنْ يَعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدْرَاهِمِينَ وَوَبَا ثَوْبَيْنِ . قُبِرَتْ الدَّرَاهِمُ
وَوَقَّتِ الثَّيَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحِيرَ الْأَعْرَابِيَّ وَتَخْتَلِطَ
عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَا لَكَ : هَلْ بَقِيََتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا
الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : قَالِي مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
يُقَيِّمَكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ بِخَيْرٍ مَا بَقِيََتْ لَهَا (للقايوني)

للخارجي والمعتم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عَرَضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ
يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا عِمَامُ بْنُ جَبَلٍ الْخَارِجِيُّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ
وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ وَكَبِيرٍ وَقَدْ جَلَسَ
الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًا وَنَمَّا بِالسَّيْفِ وَالنَّطَمِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدَهُ وَشَبَّهَتْهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
بِهِ . فَأَطَالَ التَّهَكُّمَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَطَقَهُ لِنَظَرٍ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغَتْهُ فَقَالَ :
يَا عِمَامُ إِنْ كَانَ لَكَ عُدْرَانٌ بِهِ . فَقَالَ : أَمَا إِذَا أَدْنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
(جَبْرِ اللَّهِ بِهِ صَدَعَ الدِّينَ . وَلَمْ شَعْتَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَتَمَدَّ شَهَابُ الْبَاطِلِ .
وَأَنَادَ سَبِيلَ الْحَقِّ) . قَالَ ثَوْبٌ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ الْأَلْسَنَةَ وَتَصْدَعُ
الْأَقْفَدَةَ . وَأَمَّا اللَّهُ تَعَالَى عَظَمَتِ الْحُرَّةُ وَانْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الظَّنُّ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغَوَاؤُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَوْتِ وَهُوَ
الَّذِي شَبَّهَ الطَّاهِرَةَ . ثُمَّ أَتَشَدَّ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنَّطَمِ كَيْفَا لَا حِثُّ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمْتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِمُذْرٍ وَهَجَةٍ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَلِأَنِّي
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَتَى إِلَيْهِمْ
فَإِنْ عَشْتُ حَاشُوا سَالِينَ يَنْبُطُ
قَالَ فَبِكَيْ الْمَتَّصِمُ وَقَالَ: إِنْ مِنْ أَلْيَانٍ لَسِخْرًا. ثُمَّ قَالَ: كَادَ
وَأَلَا يَا نَجِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْبَذْلَ وَقَدْ وَهَيْتَكَ لِلَّهِ وَلِصَيْتِكَ
وَأَعْطَاهُ مَحْسِنٌ أَلْفَ دِرْهَمٍ
(ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل لجار رجلا استغاث به وكان خافا على دمه فجزى على احسانه

٣١٨ حَكِي الْعَبَّاسُ حَاجِبُ الْمَنْصُورِ قَالَ: لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّفَاحُ
الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
جَمِيعِ الْبِلَادِ. فَبَعْدَ مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ رَاجَعَ الْمُتَصَبُّونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَارَ وَاقْتِةٍ
عَظِيمَةٍ فِي الشَّامِ. وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ السَّفَاحِ
وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ. فَتَمَّ الْأُمُورُ عَلَى
الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ. وَبَاتَنِي الْحَبْرُ وَأَنَا
مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لَا يَتَّبَعُ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَدْرَكُونِي. فَهَرَبْتُ
وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ بِهَا مَشْرُوحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَبْهَمًا جَالِسًا
فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ. فَقُلْتُ: خَافْتُ عَلَى دِمِي وَقَدْ أَدْرَكَهُ الطَّلَبُ. فَقَالَ:

مَرْحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ادْخُلْ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حَرَمَهُ وَأَتَانِي مِنْ تَلِيكُنَّ وَقَالَ
 لِي: قُمْ أَشْلُحْ مَا عَلَيْكَ وَأَلْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا. فَلَبَسْتُ ثِيَابَ الْأَسَاءِ ثُمَّ ادْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حَرَمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْنَهُنَّ. فَأَلَيْتُ قَلِيلًا أَنْ طُورِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَلْعِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حَرَمِي. ثُمَّ زَلَّ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَتَكَرَّنِي وَقَالَ: إِنَّهُ
 لَمْ يَرْنِي. فَقَالُوا لَهُ: نَفَقَتِ بَيْتُكَ هَآلَ هُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ. فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَفَتَشُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حَرَمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيسِي وَتُجَالِسِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَهَاتِلَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْحَقَّ بِوَلِيِّ نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَا إِذَا شِئْتَ فَأَمَضْ مُعَايَ. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسِمِائَةٌ دِينَارًا وَقَالَ لِي:
 كُلُّ أَحْتِيَاجٍ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنِّي لَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنَ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ قَاعِلًا إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ.
 فَهَاتِلَهُ: إِنْ أَرَأَيْتَ رَأَيْكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمْتُ ثُمَّ قُبْتُ وَقَامَ
 مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِيَ مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْبَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَسَجَّحَ مِنْ غَزَاةٍ إِحْسَانَهُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بُقْدَادَ وَبَلَغَتْ بِأَبِي جَعْفَرٍ
الْمُتَّصِرِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُنْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْخَمْرَ الْمُسْقَى وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِرِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَتَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَقَطَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ. قُلْتُ لَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ خُذْ
هَذَا الرَّجُلَ وَاحْتَفِظْ بِهِ وَعِدْ أُنْتِنِي بِهِ وَأَعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ قَعِدَ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِمُفَاتِكَ. قُلْتُ سَمِعَا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَظَنَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَلَهُ فِي تَاجَةِ الْمَكَانِ سَجَّحًا مُقِيدًا فِي عُنُقِهِ وَبِدِهِ وَرِجْلَيْهِ
فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَازْكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي. وَلَكثَرَةُ حُرُصِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمُتَّصِرِ لِي دَعَوْتُ غُلَامَانِ وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَّسُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ
قَدِيمِي فِي رِجْلِي وَطَبَقْتُ عَلَيْهَا. كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرَبَ
فَبَرُوحُ عُنُقِي. فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غُلَامَانِي فَجَاءُوا
بِالْمَائِدَةِ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ. فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَكُلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدِيَنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ صَجِرَتْ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ صَمُومٌ وَيَتَفَكَّرُ فِي
شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ فَقَالَ: مِنْ الشَّامِ. قُلْتُ: أَتَرَفُ فُلَانُ الْفُلَانِي
فِي الشَّامِ. فَقَالَ: مَا أَحَدٌ أَعْرَفَ بِهِ مِنِّي لِمَاذَا سَأَلْتُ عَنْهُ. قُلْتُ لَهُ: لِأَنِّي
أَسِيرُ مَرْوُوفُهُ وَعِدْتُ إِحْسَانَهُ. وَأَخْبَرْتُهُ بِتَاعِلِهِ مَعِيَ فِي زَمَانِ فِتْنَةِ الشَّامِ.
فَبَسَمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ. فَطَارَ عَنِّي مِنْ

رَأَيْتُ قَرَحًا بِهِ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحْمَتَهُ فَجِئْتُ جِدِيدٌ وَكَسَّرْتُ
 أَقْصَالَ قُسُودِهِ وَهُوَ يَشْتَعُ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ أَمَرْتُ الْعُلَمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
 ثِيَابًا فَأَبَى لِبْسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبِسَهَا. ثُمَّ قَالَ لِي: مَا مَرَّ أَدْنَى أَنْ تَمَلَّ فِي.
 قُلْتُ: وَاللَّهِ أَنْفَعُكَ حَتَّى تَصِيرَ بَيْدًا عَنْ بَنَدَادِ عِمْرَاحِيلَ وَتَذْهَبَ فِي
 حَالِ سَيْلِكَ. فَقَالَ: أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّابِرُ لِأَنَّكَ إِذَا
 مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَاذُ
 اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِي سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُكُنْ. قُلْتُ لَهُ: وَمَا ذُبُّكَ
 أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ: أَتَهْوِي زُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
 الْقَهْنَ فِي الشَّامِ وَأَنْ لِسِي أُمِّيَّةٌ عِنْدِي وَدَانِعٌ. قُلْتُ: حَيْثُ إِنَّ هَذَا
 قَطَطُ حَرْمِكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
 قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي. فَإِنْ أَحْسَانُكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جِدًّا. فَقَالَ لِي:
 لَا تَطْنُ أَنْتَنِي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصَوَّبُ وَهُوَ:
 دَعْنِي مَحْضُوطًا فِي مَكَانٍ وَأَمَضْ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي.
 فَإِنْ عَفَا عَنْكَ قَعْدَ إِلَيَّ وَأَطْلِقْنِي فَأَهْرَبُ وَإِنْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
 أَكُونُ أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُخَضِّرُنِي وَتَقْتَدِي نَفْسَكَ. وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي
 بِمَلِكٍ يَشِيءُ (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ آتِي إلَاهَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَعْصُورَةٍ
 خَفِيَةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكُرْتُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ. فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
 النَّصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي. فَلَمَّا رَأَيْتُ وَحْدِي قَامَ عِرْقُ الْقَصْبِ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ النَّارِ غَيَظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي: هِيَ

يَا عَبَّاسُ ابْنُ الرَّجُلِ. قُلْتُ لَهُ: هَلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ التَّوَّاقِرَ قَرِبَ
لِلتَّوَّاقِرِ وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَقَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنْ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَأَتَرَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أَطْلُقَهُ أَتَلَا بِحِلْمِكَ
وَأَتَكَا عَلَى كَرَمِكَ. قَالَ: قَرَأْتُ وَجْهَ الْمُتَّصِرِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي:
لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ يَاعْبَاسُ. أَيْ يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانُ الْعَظِيمُ فِي
زَمَنِ الْقِسَّةِ وَطُلُقَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنِي بِإِحْسَانِهِ. لَتَقُومَ بِإِكْرَامِهِ وَتُجْزِيَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ. وَجَعَلَ الْمُتَّصِرُ يَتَأَسَّفُ وَيُفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْصِرًا
وَيَقُولُ: أَيْ يَنْهَبُ مِنِّي إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمٍ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهُ إِنَّمَا لَكَبَّرِي. قُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ
وَأُمِّي إِنْ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَتَى أَنْ يَهْرَبَ لِحَوْفِهِ عَلَى عُنُقِي
مِنْكَ. هَذَا لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مُخَوَّنًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتَ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَأُحْضِرْتُهُ. فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمُتَّصِرِ وَضَرَبَ
بِرُجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي بِقَدَارِ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ. فَأَمَضَ مُسْرِعًا وَأَتَنِي بِهِ مُكْرَمًا مُوقِرًا. فَحَضَبْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَبِلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِرِ فَمِنْ رَأَاهُ رَحِبَ بِهِ وَأَحْلَسَهُ
بِحَبَانِهِ وَارْكَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا نَعِيسَةً وَقَالَ لَهُ: هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ.
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤْتِيَهُ النَّسَامَ فَأَتَى وَشَكَرَهُ. وَأَطْلَقَهُ الْمُتَّصِرُ مُوقِرًا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لَوْلَا تَيْدُ نَارِ عَمِّ يَإْكْرَامِهِ وَالْقِيَامِ بِحَوَائِجِهِ (لِلتَّيْدِ)

أَلْبَابُ الْخَالِيسِ عَشْرٌ
فِي الْمَكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَادٍ يَحْلِبُ يَحْلِبُ مِنْهُ قُرُوءٌ:
بِهَاءَ الدِّينِ وَالْأَدْنِيَا وَنُورَ الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ
طَلَبْتُ خَفَافَةَ الْأَنْوَا وَمِنْ جِدْوَالِكَ جِلْدَ أَبِي
وَفَضْلِكَ طَالِمُ أَبِي خُرُوفٍ بَارِعُ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلْيِي
٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دَلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَنشَدَهُ:

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَهَّةً وَقَصَيْتَ دِينِي
فَكُنَّ بِتَفْسِيحِي الْحُرِّيَّ فِيهَا وَسَاحٌ نَاعِمٌ فَأَتَمَّ زَيْنِي
فَصَدَّقَ يَا قَدَمُكَ النَّاسُ دُرُوبًا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَاكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا تُدْفِئْهُمْ فَأَجْمَلَ حِلْمَكَ أَضْمَانًا (لِلزَّيْدِي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ بِالْبَلَدِيَةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ وَتَقُولُ:
فَمَنْ لِلسُّوَالِ وَمَنْ لِلنُّوَالِ وَمَنْ لِلْمَالِ وَمَنْ لِلْخَطْبِ
وَمَنْ لِلْعِمَاءِ وَمَنْ لِلْكِمَاءِ إِذَا مَا الْكِمَاءُ جَنُوا لِلرُّكْبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ
صَلَّتْ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَاءَ كُلِّهِمْ بِمَوْتِهِ . قَبِكَتْ

وَقَالَتْ: هَذَا أَبُو مَالِكٍ أَتَجَاهُ خَيْرٌ أَيْ مَنصُورِ الْحَبَابِكِ. فَهَلَتْ: لَا جَائِزَ لِي اللَّهُ خَيْرًا. وَاللَّهُ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيَدُّ مِن سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن النازلي عند الغضد

٣٧٢ كَانَ ابْنُ الْمَنَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِغَدَادٍ عَلَى الطَّرِيقِ بِأَخْبَارِ
وَوَادِرٍ مُنَوَّعَةٍ. وَكَانَ نِهَاطَةً فِي الْحَدِّقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا
يَضْحَكَ. قَالَ: وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكَ النَّاسَ وَاتَّخَذُوا
فَحْضَرًا لِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُتَضَيِّدِ. فَأَخَذْتُ فِي وَوَادِرِ الْحَدِّمِ فَأَعْيَبْتُ
بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفْتُ. ثُمَّ مَادَّ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ: دَخَلْتُ قَوْفَتُ بَيْنَ
يَدَيَّ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتَكَ فَضَحِكْتُ. فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ: مَالِكُ
وَيْلَكَ. فَهَلَتْ: عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يُعْرِفُ ابْنَ الْمَنَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ
وَوَادِرِ هُتَحْكُ الْكُكُولِ. فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي يَصِفُ جَائِزَتَكَ.
فَطَلَمْتُ فِي الْحَائِزَةِ وَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَى عَيْلَةٍ فَلَوْ
أَخَذْتُ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا. فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي. فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ
يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ. فَظَنَنْتُ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَقَفْتُ ثُمَّ أَطْلَعَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ
وَقَالَ: أَنْتَ ابْنُ الْمَنَازِلِيِّ. قُلْتُ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ. قَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ
تُحْكِي وَتُضْحِكُ وَوَادِرٍ عَجِيبَةٍ. فَهَلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْخَاطِجَةَ تَقْتَضِي
الْحِيلَةَ. أَجْعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَتَسِسُ بِهِمْ.
فَقَالَ: هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنِ اضْهَكْتَنِي أَجَزْتُكَ بِمَجْسَمَاتِهِ دَرَاهِمٍ وَإِنِ
أَتَاكَ اضْهَكْتُكَ أَصْفَعْتُكَ بِذَلِكَ الْخِرَابِ عَشْرَ صَفْعَاتٍ. فَهَلْتُ فِي

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْعُقُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَيْنٍ خَفِيفٍ . وَأَلْتَمَسْتُ فَإِذَا ابْجَرَابُ مِنْ
 أَدَمٍ مُعَلَّقٌ فِي زَاوِيَةِ أَلَيْتٍ . قُلْتُ : مَا أَخْطَأْتُنِي عَسَى فِيهِ رَيْحٌ .
 إِنْ أَصْحَحْتُهُ رَيْحُهُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَالْأَقْمَرُ صَفْعَاتُ ابْجَرَابِ
 مَنفُوحِ شَيْءٍ هَيِّنٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي الثَّوَادِيرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّمَاثَةِ
 وَالْمَبَارِقَةِ . فَلَمْ أَدْعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا تَحْوِيٍّ وَلَا خَنْبٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا
 نَبَطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيرٍ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عَابِرٍ
 وَلَا نَادِرَةٍ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى تَقْدُ كُلَّ مَا عِنْدِي وَتَصْدَعُ
 رَأْسِي . وَفَقَرْتُ وَوَرَدْتُ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَلَأُوا
 مِنْ أَصْحَابِكَ . وَهُوَ مُعْطَبٌ لَا يَتَسَمُّ . قُلْتُ : قَدْ تَقْدَمَ عِنْدِي وَوَاللَّهِ
 مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيَ مَا عِنْدَكَ . قُلْتُ مَا يَبْقَى لِي سِوَى
 نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَلْ تَبْنِي . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشَرَ
 صَفْعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي وَتُضَعِّفَ إِلَيْهَا عَشَرَ صَفْعَاتٍ أُخْرَى .
 فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَنَاسَكَ وَقَالَ : تَقْعَلُ يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدْتُ
 ظَهْرِي فَصَفَعْتُ بِالْجَرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
 وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصَا مَدُورًا فَصَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَقْصِلَ رَقَبَتِي
 وَطَلَّتْ أَذُنَايَ وَتَقْدَحَ الشَّمَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَصَحَيْتُ : يَا سَيِّدِي صَحِيحَةٌ .
 فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَهَيْتَكَ . قُلْتُ :
 يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْإِمَانَةِ وَأَفْجَعُ مِنَ الْحَيَاةِ .
 وَقَدْ صَنِعْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَذْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قَلْبِهَا وَكُفْرِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أَضْمَعَهَا. وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نَصِيْبِي وَبَقِيَ
نَصِيْبُهُ. فَصَحَّكَ حَتَّى اسْتَلْقَى وَاسْتَرْخَمَهُ مَا كَانَ سَمِيعٌ. فَحَمَلَهُ لَهُ فَأَزَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيُخَصُّ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِرَأْسِي بَطْنَهُ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ: عَلَيَّ يَا قَائِي بِهِ وَأَمْرٌ بِنَصِيْبِهِ وَكَانَ طَوِيلًا. فَقَالَ: وَمَا
جَنَانِي. فَهَلَّتْ لَهُ: هَذِهِ جَارَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا. وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نَصِيْبِي مِنْهَا وَبَقِيَ نَصِيْبُكَ. فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّغْمُ وَطَرَقَ فَقَاهُ الْوَقْعُ أَقْبَلَتْ
أَلْوَمُهُ وَأَقُولُ لَهُ: قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَمِيفٌ مُعْمِلٌ وَشَكُوتُ إِلَيْكَ أُلْجَاجَةٌ
وَالْمُسْكَنَةُ وَأَقُولُ لَكَ: خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخْذُ
إِلَّا نَصِيْبَهَا. وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ جَارَتُهُ
أَلْصَقْتُ وَهَيْبَتَا لَكَ كُلَّهَا. فَمَادَ إِلَى الصَّحِيحِ مِنْ عِتَابِي لِلْعَالِمِ. فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نَصِيْبَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا ثَمَنُهَا ثَلَاثَةُ دَرَاهِمٍ وَقَالَ: هَذِهِ كُنْتُ
أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدْعَكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَكَ لَكَ. فَهَلَّتْ:
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ. فَهَسَمَتْمَا بَيْنَنَا وَأَنْصَرَفَتْ (للشريشي)

إبراهيم الموصلِي طوبى المهدى عند الرشيد

٣٣٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ وَابْنِ
جَامِعٍ: يَا كَرُوفِي غَدًا وَلَكِنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَتَقَدَّرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَى فِيهِ لَحْنًا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا غَنَى فِي شِعْرِ غَيْرِهِ. قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ: فَهَمْتُ فِي السَّحَرِ وَجَعَلْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَضْمَعُهُ فَلَمْ يَتَّقِ لِي. فَلَمَّا خِفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ نِسْلَانِي وَقُلْتُ لَهُمْ:

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْعِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُنِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنُوا فِي زَيْدِيَّاتٍ لِي يَسْتَوْنَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَهَبْتُ فَرَكْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّغَةَ لَمْ يَمِمْ حَتَّى يَدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَاعْتَمَدَ عَلَى خَشْيَةِ لَهُ فَلَمْ
يَذَلْ يَفْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَعُ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْتَحِ فِي قَلْبِهِ . فَهَبْتُ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَأَزَلْتُ وَأَقْفَا أَسْتَعِ مِنْهُ
الصَّوْتُ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَاسَنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْحَاجِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبْنَأْمُ : غَنِي . فَأَنْدَقْتُ
فَقَبَيْتُ هَذَا الصَّوْتُ وَالْمَوْصِلِي فِي اللَّوْبِ حَتَّى قَرَعْتُ مِنْهُ . فَتَرَبَّ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِسَلَامِيَّةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَوَيْبُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي فَحَمَلَتْ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنْ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَى فِيهِ . مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي قِنَ أَنْ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَهَيْبَتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرُّ وَيَهْجُ . فَلَمَّا قَبَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ النَّبِثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَنْتَعِ وَصْدُقُهُ . فَقَالَ لِلْمَوْصِلِي : أَمَا أَخِي
هَذَا أَخَذَ الْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
عِوَضًا بِمَا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَهُ بِهَا فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ (الْإِغَانِي)

٣٧٤ ذَكَرَ الْمُرْدُ أَنْ الْمَلِكَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ أَشْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَوَارِجِ لِأَنِّي عَلِمْتُهُ الْجَعْدِي : أَمِدْنَا بِجَحَلِ
الْجَعْدِ . وَقَالَ لَهُمْ : أَعِيرُونَا بِجَاحِكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَاهِدَهُمْ لَيْسَتْ بِفِقَارٍ قَتَارَ. وَأَعْنَاهُمْ لَيْسَتْ بِكَرَاتٍ قَتَبَتْ. وَقَالَ:
يَعُولُ لِي الْأَمِيرُ بِتَيْرِ جَرْمٍ. تَعْدَمُ حِينَ جَدِّ بِنَا الْإِرَاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَلْعَنَكَ مِنْ حَيَاتِهِ وَمَا لِي غَيْرُ هَذَا الْإِرَاسِ رَأْسُ
قَتِيلٍ وَتَرْفٍ

٢٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثَّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الطَّرَفَاءِ جَلًّا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَرَمَهُ. فَقَالَ فِيهِ:

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى جَمَلٌ خُذْ وَأَنْصِرْ أَلْقَى جَمَلٌ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يُمُودُهَا قُلْتُ لَهُ أَلَمَّا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا قُلْتُ لَهُ أَلَمَّا بَطْلَانٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلْدَانٌ
قَالَ وَمَا يِلَاحُهُمْ قُلْتُ سُوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا قُلْتُ نَسَمٌ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَاصْكُتُوا إِذَنْ عَلَيْكُمْ لِي سِجِلٌ
قُلْتُ لَهُ أَلْقَى سِجِلٌ فَاصْتَمَنَ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلَ
قَالَ وَقَدْ أَصْخِرْتُمْ قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَرَمْتُمْ قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُمْ قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَمَا لِي رَاحِلٌ قُلْتُ أَلْعَلُ ثُمَّ أَلْعَلُ

يَا كَوَّابَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبَى عَلَى نَحْسِ رُحْلِ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٢٣٩ مِنْ طَرِيفٍ مَا جَرَى لِسَانُ بَنِ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي أَمْتَحَانِ
الْأَطْبَاءِ عِنْدَ تَعَدُّمِ الْخُفْيَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشَرَةَ وَالْقِيَمَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَاسْكُرَّمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعْتَهُ. ثُمَّ التَّمَّتْ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدْ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْئًا أَحْضَطُّ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْئًا فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرُ صَلَاحَةٍ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَآلَهُ مَا
أَحْسَنَ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأُ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَمَالِي دَارَ دَارِهِ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَصَحَّكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيعَةٍ أَنْتَ
لَا تَفْهَمُ عَلَى مَرِيضٍ بَمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِقَصْدٍ وَلَا يَدَوِّاءُ مُسْهَلٍ إِلَّا
بَمَا قُرُبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مِنْهُيْ مُذَكَّرْتُ مَا تَدْبِثُ
السُّلَحْيِينَ وَالْجَلَّابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الزُّرَةِ مَلِجٌ أَلْوَجُهُ ذِكْرِي فَظَنَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَجَاوِزُهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لَا بَنِي الرَّحَجِ)

حناء إلى القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكى أنه كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبوري.
وكان له مئذاة صار له وهو لم يسه سبعة سنين. وكان كلما تقطع
منه موضع جعل مكانه رقعة إلى أن صار إلى غاية القل وصار الناس
يضيئون به النسل. فاتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج. فقال له
شمسار: يا أبا القاسم قد قديم إلينا اليوم تاجر من حلب ومعه جبل
زجاج مذهّب قد كسد فأشتره منه. وأنا أبيع لك بعد هذه المدة
فتكسب به المثل مثلين. فمضى وأشتره بستين ديناراً. ثم إنه دخل
إلى سوق العطارين فصادفه شمسار آخر وقال له: يا أبا القاسم قد
قديم إلينا اليوم من نصيبين تاجر ومعه ماء ورد في غاية الطيبة
ومرادّه أن يسافر. فاجعله سقريه يمكن أن تشربه منه رخيصاً وأنا
أبيع لك فيها بعد بأقرب مدة فتكسب به المثل مثلين. فمضى أبو
القاسم وأشتره أيضاً بستين ديناراً أخرى ومائة في الزجاج
المذهّب. ومعه وجاء به فوضعه على رف من رفوف بيته في الصدرة.
ثم إن أبا القاسم دخل الحمام يتنسل. فقال له بعض أصدقائه يا أبا
القاسم أشتري أن تغير مئذاتك هذا فإنه في غاية الشناعة
وأنت ذو مال من حمد الله. فقال له أبو القاسم: الحق منك
فالسّم والطاعة. ثم إنه لما خرج من الحمام وليس ثيابه رأى بجانب
مئذاه مئذاة جديدة فظن أن الرجل من كرمه أشتره له فليسه

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَّاسُ الْجَدِيدُ مَدَّاسَ الْقَاضِي نَجَّاهُ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَاكِمِ وَوَضَعَ مَدَّاسُهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمَ . فَلَمَّا
 خَرَجَ فَتَنَسَّ عَلَى مَدَّاسِيهِ فَلَمْ يَجِدْهُ . قَالَ : أَيَا إِخْوَانَا أَتَرَوْنَ أَنَّ
 الَّذِي لَيْسَ مَدَّاسِي لَمْ يَبْرُكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَتَنَسَّوْا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
 مَدَّاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنُبُورِيِّ فَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
 فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَنَكَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَّاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
 فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَّاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَجَبَسَهُ مُدَّةً
 وَغَرَمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
 مَدَّاسَهُ وَهُوَ عَضْبَانٌ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى الدَّبْلَجَةِ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَتَاصَ فِي
 الْمَاءِ . فَاتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَعَلِمَ فِيهَا الْمَدَّاسَ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَّاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنُبُورِيِّ فَالْظَّاهِرُ
 أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي الدَّبْلَجَةِ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
 فَظَنَرَ فَرَأَى طَائِفَةً تَأْفِذَةً إِلَى صَدْرِ الْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ
 فَسَمَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاهُ الْوَرْدُ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
 وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاهُ الْوَرْدُ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
 فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَأَهْرَاهُ أَقَرَّنِي هَذَا الْمَدَّاسُ
 الْمَلُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُخْرِجَهُ فِي اللَّيْلِ خُفْرَةً وَيَذْفُهُ فِيهَا وَيُرَتِّحَ مِنْهُ .
 فَسَمِعَ الْخِيزَانُ حَسَّ الْخُفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَتَبُّ عَلَيْهِمْ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَأَعْتَلَّهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَى جِوَارِيكَ حَاطَهُمْ وَجِسَهُ وَلَمْ يُطْلَقْهُ حَتَّى غَرِمَ بِمَضَى
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السَّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَيْفِ الْخَلَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَسْبَهُ الْكَثِيفُ قَفَاضٌ وَصَغِيرٌ
 النَّاسُ مِنَ الرَّايْحَةِ الْكَرِيمَةِ . فَفَتَشُوا عَلَى السَّبِّ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَمَلَّوْهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَاحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَجِسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلُحُ
 الْكَثِيفُ قَرَمٌ جَمَلَةٌ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيَةً لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِيمَةً فَحَمَلَهُ وَغَرِبَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ قَاتَلَهُ وَجَرَّحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَتَنَظَرُوا
 وَفَتَشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَصَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَزَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَالْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْعِقَابِ لِمَوَازِمِ الْحُرُوجِ مَدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَمَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُسَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنْ كَلَامًا يَرِي مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ هُمَا يَقْطَعُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَفَتَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

الكتاب السادس عشر في النوادر

ابن مقلة والولشي

٣٢٨. حُكي أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُقَلَّةَ الَّذِي
انْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِعُلُوِّ الْحِطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعى أَنَّهُ عَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدَيْهِ قَلْبًا قَلْبًا بِهَذَا الْأَمْرِ لَزِمَ بَيْتُهُ
وَانْخَرَقَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِأَبْنِ
مُقَلَّةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِصْفَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يَهْوُونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَسْتَدِيرُونَ . فَأَنشَدَ :

تَحَالَفَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَحَيْثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَتَكَشَّفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة ريد

٣٢٩. خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَحْيَى مِنْ إِسْطَبْلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَذْفَشِ . فَتَرَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ تَسْمَى وَبَذَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفَشِ وَوُجُوهَ أَجَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَوَرَّحَ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطَاعَهُ فِيهِمْ مَا نَقَلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَنْتَوُوا بِمَا عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضُ أَهْلِي الْبَيْتِ عَظِيمُ
وَجَلْبَةُ أَصْوَاتِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنْجِلَهُمْ وَاجْتَمَعَ قِسْيُوسُهُمْ
وَرَهْبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِأَقْبِهِمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقُرْبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِ يَمُوجُ . فَشَرِبُوا وَأَرْقَوْا وَتَقَوَّاهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَانْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْحَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِسْطِيلِيَّةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفَنَشَ (الرَّاشِي)

مشهد الحسين

٣٣٠ . وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مِصْرَ الشَّهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَأْوِيلٍ مِنْ فِضَّةٍ مَذْفُونٍ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ
بُيَّانٌ يَقْصُرُ الْوُصْفُ عَنْهُ . جُلَّ بِأَنْوَاعِ الدِّيَابِجِ مَخْشُوفٌ بِأَمْثَالِ الْعَمِيدِ
الْكِبَارِ تَحْتَا يَنْضَاءُ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْفِضَّةِ . وَخَفَّ أَغْلَاةُ
كُلِّهِ بِأَمْثَالِ التَّفَافِجِ فَهَبًا فِي مَضْغٍ شَبَّهِ الرُّوضَةِ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْبًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْمُخْتَلِفِ الْغَرِيبِ الصَّنَعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرَصُّعِ مَا لَا يَتَخَيَّلُهُ الْمُتَخَيَّلُونَ . وَالْمُدْخُلُ إِلَيْهَا مِنْ مَسْجِدٍ عَلَى مِثْلِهَا
فِي التَّائِقِ . حَيْثُ أَنَّهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَأَعْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْحِدَادِ
الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَيْضُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الرِّاءَةُ الْغَنَدِيَّةُ . وَلَتَرَأَى النَّاسَ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْكَلِيهِمْ عَلَيْهِ
وَتَسْمِعُهُمْ بِهِ وَالْكُسُوفَ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (لِلشَّيْخِ)

٣٣١ نُسَخَةُ مِائَةِ مَلِكٍ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوُرْدِيِّ نَظْمًا:
 بِاسْمِ اللَّهِ أَلْخَلَقَ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ سَعْدٍ
 مِنْ أَحَدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْدِ كُلَّهَا قَدْ عَرَفَا مِنْ جُلُو
 قَاعَهُ قِطْعَةً أَرْضٍ وَاقِفَةٍ بِمَوَلَةِ الْكُورَةِ وَهِيَ جَمِيعَةُ
 لِشَجَرٍ مُخْتَلِفِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْفَرَسِ
 وَدَرَعِ هَلْبِي الْأَرْضُ بِالْأَرْبَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِلَا رِجَاعِ
 وَدَرَعًا فِي الْوَسْطِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُتَبَرِّعَةِ
 وَحَدَّهَا مِنْ قِبَلِهِ مَلِكُ الْتَمِيمِ وَجَاوِزُ الرُّومِ حُدُّ الشَّرْقِ
 وَمِنْ شِمَالِ مَلِكِ الْأَوَّلِ عَلَى يَمِينِ صَحِيحًا لَا زِمًا شَرْعِيًا
 لَا شَرْطَ فِيهِ قَائِدٌ يُبْطِلُهُ وَلَا خِيَارَ لَهَا يُدَاخِلُهُ
 هَبْنِ مَبْلُغُهُ مِنْ قِصَّةٍ دَرَاهِمُ جَدِيدَةٍ مُبَيَّنَةٍ
 قَبْضُهَا الْبَائِعُ مِنْهُ وَاقِفَةٍ وَصَادَتْ الثَّمَنُ مِنْهَا خَالِيَةً
 وَسَلَّمَ الْأَرْضُ إِلَى مَنْ اشْتَرَى قَبْضُ الْقِصَّةِ مِنْهُ وَحَرَى
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ الْفَرَقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَمَلُّقُ
 وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةِ الْهَجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ ثَلَاثِي وَعَشْرَةِ

مروءة إسماعيل المزدحمي

٣٣٢ نَازِعَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِ قَوْمٍ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ قُورْتٍ وَأَتَتْهَا

فِي ذَلِكَ يَلِي أَن يَجْعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيُ مَنْ وَاصَّهُمْ عَلَى سُوءِ صَيِّمِهِمْ عَلَى
 أَن يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خِيَابَهُ لِيَلَا يَمُوتُوا. وَظَنُوا أَنَّ ذَلِكَ يُجْنِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ. وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُتِلَ وَلَمْ يَلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَادَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ. لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ. وَقَرَابَتُهُ وَأَوَّلَى النَّاسِ بِهِ.
 فَأَعْلَمَ بِمَا أَرَادَهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ ثَوْرٍ مِنْ خِيَارِهِمْ
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْمَرْزُوقِيُّ. فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَيَجِيبُ حَوَائِجَكَ
 عِنْدًا مَقْصِيَةً. قَالَ: أَن تَخْرُجَ عَنْ هَذَا الْخِيَابِ وَتَدْعَنِي أَيْتَ فِيهِ وَلَمْ
 يَلْمُهُ بِرَادِ الْقَوْمِ. فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِيهِ الْخِيَابَ لِأَنَّهُ
 أَجْبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ. فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أُولَئِكَ الْقَوْمُ فَقَتَلُوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى يَرَدَّ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يَصِبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرَأُوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَقَامُوا مَرَاكِشَ وَرَأَوْا الْفَيْلَامَ
 بِهَا. فَأَقَامُوا الْبَوَابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ.
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بَاقِيَهُمْ وَكَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ.
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَسِيدُ فَهَاتَلُوهُمْ فَتَلَا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. ثُمَّ إِنَّ الْعَسِيدَ قَلَبُوهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ. وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أَخَذُوا قِضًا بِالْيَدِ
 قَصَبُوا وَجَعَلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مَرَاكِشَ فَهَلَمَّ صَبْرًا. وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَقَةٍ بَلَّغَهُ أَنَّهُمْ

فَادْخُونِي مُلْكِهِ مَتَرَبُّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُتَقَدِّمُ
الَّذِي فِي الْحَيَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّاسِكِ إِلَى حَيْزِ الْجَزَعِ .
فَأَمَرَ يَنْفُسِلِهِ وَتَكْفِيهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ نَفْسِهِ وَذَفَنَ (العبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ : أَصَابَتْ سَنَةً انْتَشَرَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقَ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حَذَابًا حَدَابِيرَ . وَصَنَّتِ الْمُرَاضِعُ
إِلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبَضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيُّتُنَا بِالْمَلَاكِ . قَوْلَاهُ إِنَّا قَبِي لَيْلَةٍ صَبِيرٍ
بَيْدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرْقَيْنِ إِذْ تَضَاغَى صِينَتَا جُوعَا عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِي وَسَفَانَةٍ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّ وَقَفْتُ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ قَوْلًا لِلَّهِ مَا لَسْتُ كُنْتُ إِلَّا بَعْدَ
هَذَا مِنْ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يَمْلِكُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَأَوَّمْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتْ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَبَرَ الْيَتِيمِ ثُمَّ عَادَ . قَالَتْ مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارُكَ فَلَانَةٌ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَاوُونَ عَوَاءَ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعُولًا إِلَّا عَلَيْكَ مَا آكَ عَدِي . قَالَتْ : أَعْلِيَهُمْ قَدْ
أَسْمَكَ اللَّهُ وَإِبْرَاهِيمَ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَتَمِثِي جَنَابَهَا
أَرْبَعَةً كَانَتْهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى قَرِيْبِهِ فَوَجَأَ كَيْتَهُ بِمُدَّةِ
فَحْرٍ . ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَأَجْتَمَعَ عَلَى اللَّحْمِ تَشْوِي وَتَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمِثِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ يَتَا
يَتَا يَقُولُ : هُوَ أَيُّهَا أَهْلُكُمْ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَالتَمَعَ فِي نَوْبِهِ

تَاجِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْكَ. فَلَا وَهْدَ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مَرْعَةً وَإِنَّهُ لَأَخْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهَا.
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْقَرْسِ إِلَّا غَيْظُ وَخَافِرٌ. فَأَنْشَأَ حَامِيمٌ يَقُولُ:
هَلَّا نَوَارِثُ أَقْلِي الْقَوْمِ وَالْعَدْلَا وَلَا تَتَوَلَّى لِشَيْءٍ قُلْتَ مَا قَعَلَا
وَلَا تَتَوَلَّى لِمَالٍ كُنْتَ مُهْلِكُهُ هَلَّا وَإِنْ كُنْتَ أُعْطِيَ الْإِنْسُ وَالْجِبِلَا
بَرَى الْخَيْلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ بَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

ليث بن ملة الأيادي

٣٣٤ خرج كعب بن ملة الأيادي في قُفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّيَرِ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَنَجَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا
يَصَافِقُونَ الْمَاءَ. وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَصْبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ مَقْدَرٌ مَا يَنْفَعُ الْحَصَاةَ. فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرَ مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ.
وَلَمَّا تَرَلُّوا لِلشَّرْبِ وَدَارَ الْقَصْبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى كَعْبٍ رَأَى
الرَّجُلَ النَّيْرِيَّ يُحِدُّ نَظْرَهُ إِلَيْهِ. فَأَثَرَهُ بِمَآئِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي: أَسْنِي
لِخَاكَ النَّيْرِيَّ فَشَرِبَ النَّيْرِيَّ نَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ
تَرَلُّوا مِنْ الْقَدْرِ مَنَظَرُهُمْ الْآخَرَ فَصَافِقُوا بَيْعَةً مَا لَهُمْ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنْظَرُهُ
أَسْرًا. وَقَالَ كَعْبٌ كَقَوْلِهِ أَمْسِ. وَأَزْجَلُ الْقَوْمِ وَقَالُوا: نَاكِفُ
أَزْجَلُ. فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّهْوضِ وَكَانُوا قَدَرُوا مِنَ الْمَاءِ. فَضَالُوا لَهُ:
رَدَّ مَا كَعْبٌ أَنْكَ وَارِدُهُ فَمَحَزَ عَنِ الْجَوَابِ. وَلَمَّا أَسْوَأَ مِنْهُ جَمِيعًا عَلَيْهِ ثَوْبٌ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّعَةِ أَنْ يَأْكُلَهُ. وَتَرَكُوهُ مَكَاتَهُ فَمَاتَ. فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (أخبار العرب لابن قتيبة)

٣٣٥ من عجائب مدينة سوناة هيكَل فيه صم كان واقفا في
وسط أليت . لا بقائية من أسفل تدعوه ولا بعلاقة من أعلاه
تمسكه . وكان أمر هذا الصم عظيما عند الهند من رآه واقفا في
المواء تجب . وكانت الهند تجحون إليه ويحملون إليه من الهدايا
كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف
قرية . وكانت سدته ألف رجل من البراهمة لعبادة وخدمة الوقود .
وأما أليت فكان مبنيا على ست وخمسين سارية من الساج المنصع
بالرصاص . وكانت قبة الصم مظلمة وضوؤها كان من قناديل الجوهر
ألقاها . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حركت
فصوت الأجراس فيقوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن
السلطان يمين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصم أعجبه
أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصم ووقوفه في
المواء بلا عباد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت
العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من
حجر المغناطيس والصم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه
وراعى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب . فواضه قوم وحالته
آخرون . فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصم إلى أحد الجوانب .
فلم يزل يرفع الأحجار والصم ينزل حتى وقع على الأرض (الترغيني)

أَلْبَابُ السَّاعِ عَشْرٌ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ يُخَيِّرُ الْبِلَادَ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسِيرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَلَوْ جَسَّ أَهْلُكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْسَانِهِمْ أُنْسُكَ. وَتُخَيَّرُ وَطَنُكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رَبُّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظَّنِّ. وَتَعَدُّ فِي الْوَطَنِ قَضَاهُ الْوَطَرُ (اليواقيت للتحالفي) أَشَدَّ شُكْرُ الْعُلُوِّي:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانُهَا وَجَانِبِ الدَّلِّ إِنَّ الدَّلَّ يُجْتَبُ وَأَرْحَلُ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَقْصَةُ قَالِمُنْدَلِ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ قَالَ آخَرُ:

إِزْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضِ ضَمَامُهَا وَلَا تَكُنْ بِغِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِلَدَيْهِ فَلَا غُرَابَ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخَلْقِ أَكْثَلُ نَوْعٍ مِنَ الْأَخْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَأَنَّهُ يَدْوَعِي الطَّرْقُ لَمَّا تَرَبَّ قَالَ الْبَزْ أَجْمَهُ وَصَادَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَبَرِ وَالْمَلَقِ قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا غِيَتْ لِمَنْ يُعِيمُ بِدَارِ ذَلِكَ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَسِّمٌ قَضَاهَا

فَذَاكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَظِيمٌ يَلِدُ لَيْسَ يَلْمُ مَا ظَلَمَها
فَتَنَسَّكَ فَرْجُهَا إِنْ خُفَّتْ ضَمِيمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَمَيَّ مِنْ بَلَاهَا
فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسَكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : حَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
زَفَرَةٌ وَغَيْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامَ وَتَوَكَّلَ . ثُمَّ تَأَمَّلَ وَتَوَقَّعَ . وَفَجَّ اللَّهُ
الْبَلَّاقَ . فَمَا هُوَ مَسْرَّةٌ لِحُلَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَاتِّهَاجٌ سَاعَةٍ وَانْكِسَابٌ
زَمَانٍ . وَإِنِّي لَا أَكْزُهُ الْإِجْتِمَاعَ وَلَا أَكْزُهُ الْفِرَاقَ . لِأَنَّ مَعَ الْفِرَاقِ عَمَّةً
يُخْتَنِمُهَا تَوَقُّعٌ يُسَافِرُ بِطِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرَّجْوَى . وَمَعَ الْإِجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
الْفِرَاقِ وَقِصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الْفَرَاقَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
الرَّجِيلَ إِلَّا وَلِلَّيْنِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا . لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ الْبِلَاقِ
وَأَنْسُ الْفَقْدَ مَا كَانَ مَمْدُومًا أَيَّامَ الْإِجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافِحَةُ التَّسْلِيمِ .
وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَغِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشَّوْقِ . وَالْأَنْسُ بِالسَّكَاتَةِ (الْقُدْسِي)
قَالَ أَبُو نَعْمَانَ :

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى زَحْرِ الْوَدَاعِ
قَالَ ابْنُ الطَّرُوفِيِّ :

بَاتَتْ تَصَدُّعُ عَنِ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَنْقَرُبُ
إِنَّ الْحِلَّةَ مَعَ الْقَنَاسَةِ لِلدَّمَامِ الْأَطْيَبِ
فَاجْتِبِهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي يَقُولُكَ حَبَابُ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانِهِ إِذْ يُجَذَّبُ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِيْئُهُ نُصَاةُ يَتِيْبٍ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ، سَقَامُ الْأَلْبَابِ. حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطْيِرَ لَهُ الْقُلُوبُ، وَتَطْيِشَ مَعَهُ الْعُقُولُ، وَتَطْلِيحَ عَلَيْهِ الْقُلُومُ، وَفِرَاقُ
الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلَدَ، وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ، وَهَوْلُ السِّيَاقِ، أَهْوَنُ
مِنْ الْفِرَاقِ. وَقَالَ النَّظَّامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَيْتَ الْقُلُوبَ
وَهَدَّتْ الْجِبَالَ، وَلَحِمَرُ النُّصَاةِ أَهْوَنُ فَوْقَهَا مِنْ نَارِهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:
وَمَنْ يَتَأَنَّ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُغُودُ جَهَنَّمَ وَرُغُودُ
قَالَ ابْنُ الْهَلْبَرِيِّ:

قَالُوا أَقْتَمَ وَمَا رَزَقَتْ وَإِنَّمَا بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّيْبُ وَيَزْدَقُ
فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعٌ أَلْخَطُّ نَفْعٌ لَا الرَّجِيلُ الْمَلْقُوقُ
كَمْ سَفَرَةٌ نَفَعَتْ وَآخَرَى مِثْلَهَا ضَرَتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُخْشَقُ
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ إِسِيرُهُ وَبِهِ إِذَا حَرِمَ السَّعَادَةُ يُخْشَقُ

سفرة ابن جبر الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هـ و ١١٨٧ م) مسجحة

ذكر مدينة سبينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مُوسِمُ الْبَحَارِ، وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَقْطَارِ. كَثِيرَةُ الْأَرْقَاقِ بِرَحَاءِ الْأَسْعَادِ، لَا يَفْرُقُ فِيهَا مُسْلِمٌ قَرَارًا،
مَشْهُوْرَةٌ بَعْدَ الصُّلْبَانِ تَعَصُّ بِقَاطِنِيهَا، وَتَكَادُ ضَيْقُ دَرْعَائِهَا كُنِيهَا،
أَسْوَأُهَا نَاصِيَةً خَفِيَّةً، وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِأَرْغَادِ الْعَيْشِ كَفِيَّةً، لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارَكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَسَانِ .
 مُسْتَبِدَّةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ أَنْظَلْتَ حَضِيضَهَا وَخَلَدَهَا . وَالْبَحْرُ يَتَرَضُّ
 أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاهَا أَعْجَبُ مَرَاسِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
 لِأَنَّ الْمَرَائِكِ الْكِبَارَ تَدْفُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسُكُهُ . وَيُنْصَبُ
 مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحِمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
 يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْعِهَا وَلَا فِي تَقَرُّبِهَا إِلَّا مَا كَانَ مَرِيحًا عَلَى
 أَلْبَعْدِ مِنْهَا سِيرًا . فَتَرَاهَا مُصْطَفًى مِنَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِبَالِ فِي
 مَرَابِطِهَا . وَإِصْطَبَاحِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عَمَقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَقَاقُ
 مُعْتَرَضٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَنْدَارٍ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَتَقَابُلُهَا
 مِنْهُ بِلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرَبَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةُ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مِسِيحَةُ رَأْسِ
 حَزْبَةٍ صَقِيلَةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمَدُنِ وَالْعَمَارِ وَالضِّيَاعِ . وَطَوَّلَ هَذِهِ
 الْحَزْبَةُ صَقِيلَةً سِتَّةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
 الْبَرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتُرِدُ بِالسَّحْبِ لِإِفْرَاطِ تَمَوُّهِ وَيَعْتَمُ بِالْقَلْبِ شَيْئًا وَصِفَا
 دَاتِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْحَزْبَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَهْلِهَا
 الْأَنْدَلُسُ فِي سَمَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرِّقَاقَةِ . مُشْحُونَةً
 بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . تَمْلُوءُهُ بِأَنْوَاعِ الْهَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
 كُلُّهَا بَسَائِنُ مُثِيرَةٌ بِالْثَفَاحِ وَالشَّاهِ بَلُوطٌ وَالتَّنْدِقُ وَالْإِلَاصِ
 وَغَيْرُهَا مِنَ الْهَوَاكِهِ . وَلَيْسَ فِي مِيتَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَقَرُ
 يَسِيرُ مِنْ ذَوِي الْإِيمَنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مِنْهَا قَاعِدَةٌ مُلْكُهَا. وَالْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
يَعْرِفُونَهَا بِبَلَرْمَةِ. وَفِيهَا سَكَنَى الْخَضِرِيُّ بْنُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَبَلَرْمَةُ هَذِهِ مَسْكَنُ مُلْكِهِمْ غَلِيْلَمٌ. وَهِيَ أَهْلُ مَدْنٍ صِغْلِيَّةٌ
وَبَعْدَهَا مَسِينَةُ وَشَأْنُ مُلْكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ. وَهُوَ
كَثِيرُ النَّفَقَةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِمَخَاصِيهِ. وَعَلَيْهِمْ يُلَوِّحُ
رَوِّقٌ مُلْكُكَتِهِ. لِأَنَّهُمْ مُتَسَمِعُونَ فِي الْمَلَأْسِ الْقَائِرَةِ وَالْمَرَاكِبِ الْقَاهِرَةِ.
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَةُ وَالْحَوْلُ وَالْإِتْبَاعُ. وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْقُصُورُ
الْمُسَيَّدَةُ وَالْبَسَائِنُ الْأَيْعَةُ وَلَاسِيًا بِمَخَاصِرِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةُ الْمَذْكُورَةُ.
وَلَهُ مَسِينَةُ قَصْرٌ أَيْضُ كَالْحَمَلَةِ مُطَّلٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. وَلَيْسَ فِي
مُلُوكِ النَّصَارَى أَتَرَفٌ فِي الْمَلِكِ وَلَا أَنْتَمُ وَلَا أَرْفَعُهُ مِنْهُ. وَهُوَ يَنْشُبُ فِي
تَرْتِيبِ قَوَائِنِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْسِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَقْصِيمِ أَسْبَابِ
الْمَلِكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ. وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ الْأَطْبَاءُ
وَالْفُهَمَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْأَعْيَانِ بِهِمْ شَدِيدُ الْخَرِصِ عَلَيْهِمْ. حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فُهِمًا اجْتَاَزَ بِلَدِهِ أَمَرَ بِإِنْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
مَعِيشَتِهِ. وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ أَنْتَحَدَّثَ بِهِ أَنَّهُ يَرَأُو كِتَابُ بِالْعَرَبِيَّةِ
وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خَدَمَتِهِ الْمُخَصَّصِينَ بِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارُ صَنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَاكِبِهِ. فَكَانَ زُرُوقًا فِي أَحَدِ الْفَتَادِقِ وَأَقْنَابِهَا تِسْعَةُ
أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّلَاثِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْرَمَةَ . وَسِرْنَا هَرِيًّا مِنْ السَّاحِلِ بِحَيْثُ يُقْبِرُهُ
 رَأْيُ النَّاسِ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رَخَاءَ طَبَقَةِ رَجَبِ الزُّوْدِ
 أَهْنًا تَرْجِيَةً . وَسِرْنَا نُسْرِحُ الْخَطَّ فِي عَمَارٍ وَفَرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ
 وَمَعَاظِلٍ فِي قَنَنِ الْجِبَالِ مُشْرِقَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرٍ
 قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَبَعَةً عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ أَتْنَانٍ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهَا
 النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهَا وَيَظْهَرُ بِاللَّيْلِ نَارًا احْمَرَّتْ ذَاتُ
 النَّاسِ تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الَّذِي كَانَ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنْ خُرُوجَهَا
 مِنْ مَنَافِسِ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسٌ تَارِي بِقُوَّةٍ
 شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَدِيمًا قَلِفٌ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ قَتْلِي بِهِ إِلَى
 الْهَوَاءِ بِقُوَّةٍ ذَلِكَ النَّفْسُ وَتَمْنِيهِ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِتِّهَادِ إِلَى أَهْلِ
 وَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ الْمُسْتَوَاعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
 الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنْ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَالسَّلِيلِ
 النَّارِ . فَلَا تَرَى شَيْءَ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكُ نَبِيحِهِ
 عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَمُوتَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ عَمَلَاتِهِ
 وَحَلَّلْنَا عَشِيَّتَ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَمَى مَدِينَةَ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ شِفْلُودَى هِيَ مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخِصْبِ وَاسِعَةٌ
 الْمُرَافِقِ . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارُ الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا . رُبَّةُ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
 طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا قَنَةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٍ مُسْتَدِيرَةٍ فِيهَا قَلْعَةٌ لَمْ
 يَرْتَمَعْ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْهَا عِدَّةٌ لِأَسْطُولِ بَغْجَاهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ إِقْلَاعُهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَحِثْنَا مَدِينَةَ ثَرَمَةَ خُصُوفَةَ يَوْمَ
 الْحَمِيسِ بِسِيرٍ رَوِيدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَأَتَيْنَا
 مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزُّورِقِ إِلَى زُورِقٍ تَانِ أَكْثَرُ يَتَاهُ لِكُنُونِ الْبَحْرَيْنِ
 صَحْبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثَرَمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضَائِعٍ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ نَزَكَ الْبَحْرُ وَتَشْرَفُ عَلَيْهِ . وَالْمُسْلِمِينَ فِيهَا رِجْزٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيمَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْمَدِينَةِ أَجْمَعَةٍ قَدْ
 أَغْتَتِ أَهْلُهَا عَنْ اخْتِذَاذِ هَامٍ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسِعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى عَالِيَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَافٍ مِنْ أَنْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسِعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقْبَتْنَا بِهَا يَوْمَ الْحَمِيسِ الرَّابِعَ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدَّمُ الْبَحْرُ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَا
 بِهَا لَبَّةُ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَابَ الْهَوَاءُ غَرِيْبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِقْلَاعِ سَبِيلًا .
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُتْصُودَةِ الْمَرْوُوقَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِلَرَمَةِ خَمْسَةِ
 وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَحَشِينَا طُولَ الْقَامِ وَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّتِ الزُّورَاقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَيْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَتَمَّ عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُتَنَصِّفِ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْأَسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَحَمَلْنَا بَعْضُ أَسْيَابِنَا وَحَلَفْنَا بَعْضُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزُّورِقِ . وَبِزَيْنَا فِي طَرِيقِ كَانَتْهَا السُّوقُ عُمَادَةٌ وَكَثْرَةٌ
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَائِفُ النَّصَارَى يَتَّقُونَنَا فَيَسِيرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَلَوْ نَسَوْنَا قَرَأْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلَيْنَ مَقْصِدِهِمْ مَعَ السَّلَامَةِ مَا يَوْجِ
 الْحَبِّ حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ اخَذَ
 بِنَا الْإِعْيَاءَ فَلَمَّا إِلَيْهِ وَبَنَّا فِيهِ . وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدٌ
 الْبَنَاءُ عَتِيقُهُ قَدِيمٌ الْوَضْعُ مِنْ عَهْدِ مَلِكَةِ الْمُسْلِمِينَ الْحَزْرِيَّةِ . وَبِأَرَاغِهِ
 عَيْنٌ تُعَرَفُ بِعَيْنِ الْخَنُوتَةِ . وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ . وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
 وَعَلَالِي مُشْرِقَةٌ وَبُيُوتٌ مُسْتَظْلَةٌ . وَهُوَ كَامِلٌ بِرَأْفَةِ السُّكْنَى وَفِي
 أَعْلَاهُ مُسَجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بِهَا . مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
 مَفْرُوشَةٍ بِحُصْرٍ تُطِيفُهُ لَمْ يَرِ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنْعَةً . وَقَدْ عُلِقَ فِيهِ نَحْوُ
 الْأَرْبَعِينَ قَدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ . وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
 مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَرْ عَذْبَةٍ . فَبَيْنَا فِي هَذَا
 الْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيدٍ وَأَطْيَبَهُ . وَبِمَقَرَّةٍ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوُ أَمِيلٍ إِلَى
 جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرٌ عَلَى صِفَتِهِ يُعَرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ . وَدَاخِلُهُ بِقَايَةِ
 تَعُودٍ بِمَاءٍ عَذْبٍ . وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كَنَائِسَ مُعَدَّةً
 لِرَضَى النَّصَارَى . وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِ نَالَتِ
 الْمُسْلِمِينَ . وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَه وَبِصُورٍ مِثْلُ ذَلِكَ . فَعَبَّيْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
 بِهَذَا الْقَدْرِ . فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَبَعَثْنَا لِنَدْخُلَ فَنَبْنَا
 وَجَّهًا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِصُورِ الْمَلِكِ الْأَفْرَاجِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَدْنَاهُ إِلَى
 الْمُسْتَحْفِ لِنَسْأَلَ عَنْ مَقْصِدِنَا . وَكَذَلِكَ فَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ قَسْرَتَانِي
 سَكَّ حَرَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكَةٍ . وَأَبْصَرْنَا مِنْ الْقُصُورِ الْمَشْرِقَةِ

وَالْمُتَبَدِّلِينَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمِينَ
 أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلْ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرْنَا فِيمَا أَبْصَرْنَاهُ مُجْلِسًا فِي سَاحَةِ
 مَسْجِدِهِ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَانْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بِالْأَلْطَافِ. وَالْمُجْلِسُ قَدْ
 أَخَذَ اسْتِطَالَه تِلْكَ السَّاحَةُ كُلُّهَا. فَجِئْنَا مِنْ طَوْلِهِ وَإِشْرَافِ مَنَاطِيرِهِ.
 فَأُطْلِمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غَدَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْأَلْطَافُ وَالْمُرَافِ
 حَيْثُ تَقْدُ حُكْمُهُ وَأَهْلُ الْحُدُومَةِ وَالْعِمَالَةِ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
 السُّنْدُوفُ يَهْدِي بَيْنَ خَدَمَيْنِ يَحْمِلَانِ بِهِ وَوَقَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
 شَيْخًا طَوِيلَ السَّلَةِ أَيْضًا ذَا أَهْجَةٍ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
 بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَأَعْلَمَنَا. فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَبْصَرَانَا
 بَعْدَ أَنْ أَحْيَى فِي السَّلَامِ وَالنَّمَاءِ فَجِئْنَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
 لَنَا عَنْ خَيْرِ الْأُسْطُطُنِيَّةِ الْمَعْظَمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعَلِّمُهُ
 بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْقَادِقِ فَتَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِذِي حِجَّةٍ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِالْأَلْطَافِ
 مُتَّصِلًا مَسِيرًا فِيهِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
 عَظِيمَةٍ الْبِنَاءِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْأَلْطَافُ مَشَى الْمَلِكُ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 (ذِكْرُ بِلَرمَةِ) هِيَ يَهْدِي الْجَزَائِرَ أُمَّ الْحَضَارَةِ. وَالْجَمْعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
 غَضَارَةٍ وَتَضَارَةٍ. فَأَسَلَّتْ بِهَا مِنْ جَمَالِ تَحْيِيرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمَرَادُ عَيْشِ بَانِعٍ
 أَخْضَرَ. عَيْمَهُ أَيْقَهُ. مُشْرِقَهُ مُؤْنَقَهُ. تَطْلُعُ بِرَأْيِ قَتَانٍ. وَتَحْتَالُ
 بَيْنَ سَاحِلَاتٍ وَبَسَاطِطٍ كُلُّهَا بُسْتَانٌ. فَسَجَّهَ السَّكَّكَ وَالشَّوَارِعَ. تَرُوفُ

أَلَا بَصَارٌ يُحْسِنُ مَنْظَرَهَا أَلْبَارِجَ عَجَبَةِ الشَّانِ . قُرْطُبَةَ الْبَلْبَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا بِمَحْوَاتِ الْحَجَرِ الْعُرُوفَ بِالْكَذَّانِ . يَشْعَانَهُرَ مَعِينٍ وَيَطْرُدُ فِي
 جَبَابِهَا أَرْبَعَ عَيُونٍ قَدْ زُخِرَتْ مِنْهَا إِلَيْكُمَا دُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِكُمَا الْإِفْرَنْجِي . تَنْظُمُ بِلَتِيهَا قُصُورَهُ أَنْتِظَامُ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوَاعِبِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ زُرْهَةٍ وَمَلَاعِبِ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاطِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِجَاهَتِهَا مِنْ دِيَارَاتِ
 قَدْ زُخِرَتْ بِبِلَائِهَا . وَرَقَّةٍ بِأَلْفِ قَطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُهْبَانِهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صِيغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَلْبَانُهَا . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ أَنْزَلُوا فِيهَا سُكُنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقُ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ التَّجَارُ فِيهَا وَيَصْلُونَ الْأَعْيَادَ بِحُطْيَةٍ وَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا لِلْمَسَاكِينِ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطُبَةَ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْخَدِيدَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَوْضِعُ قُرْطُبَةَ . وَهَذَا الْقَصْرُ دِيَارُ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الشَّدِيدَةُ . لَهَا مَنَاطِرُ فِي الْحُجُومِ مَظْلَمَةٌ تُحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بَلَرْمَةِ) وَمِنْ أَعْجَبَ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةُ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِي أَبْصَرْنَا هَا يَوْمَ الْيَلَدِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِهِمْ عَظِيمٍ . وَقَدْ احْتَفَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بِلَائِهَا مَا رَأَى
 يَجْزِي الْوَصْفَ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْخَرَفَةِ .
 جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ أَلْوَانِ الرِّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يَر

مثله قط قد رصعت كلها بفضوص الذهب وكللت بأحجار الفصوص
 الخضر ونظم أعلاها بالتسبيات المذهبات من الزجاج. فحفظ الأنصار
 بساطع شعلتها وتحدث في النفوس فتنة. وأعلمنا أن بانيها الذي
 نسب إليه أنفق فيها قاطير من الذهب وكان وزير الجدي هذا الملك.
 ولهذا الكنيسة صومعة قد قامت على أعيدة سوار من الرخام
 وعليها قبة على أخرى سوار كلها فعرف بصومعة السواري وهي من
 أعجب ما ينصر من البنان. وزي النصرانيات في هذه المدينة زي
 نساء المسلمين. فصحات الألسن مفتحات مستعيات. خرجن في هذا
 العيد المذکور وقد لسن ثياب الحرير المذهب والتفنن اللحن الرائعة
 واتقن بالنصب الملوثة. وأعلن الأخفاف المذهبة. وبرزن
 كنانهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب
 والنمط. وكان مقامنا بهذه المدينة سبعة أيام. ورتلنا بها في أحد
 قناديها التي يسكنها المسلمون... وخرجنا منها صبحه يوم الجمعة الثاني
 والعشرين لهذا الشهر المبارك والثامن والعشرين لشهر دجبر إلى
 مدينة أطرابش بسبب مر كبير بها أحدهما توجه إلى الأندلس
 والثاني إلى سبته. فسلكتا على فرى متصلة وضباع متجاورة وأبصرنا
 محارث وزرايع لم تر مثل زيتها طيبا وكرما وأنساعا. فشبها بقنابة
 قرطبة أو هذه أطيب وأمن. وبنا في الطريق ليلة واحدة في بلدة
 تعرف بجمعة. وهي كبيرة متسعة فيها السوق والمساجد وسكانها

وَسَكَانُ هَذِهِ الصَّيَاحِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلُّهَا مُسْلِمُونَ. وَقَدْ نَامَتْ مِنْهَا سَحَرُ
 يَوْمِ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِحَرَّتِهِ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ اللَّهِ وَهُوَ
 بَلَدٌ كَثِيرٌ فِيهِ حُمَامَاتٌ. وَقَدْ تَجَرَّهَا اللَّهُ يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
 عَنَاصِرُ لَا يَكْادُ الْبَدَنُ يَحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجْرْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
 الطَّرِيقِ. فَتَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْخْنَا الْأَبْدَانُ بِالِاسْتِحْشَامِ فِيهَا.
 وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابِئِشَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ أَكْثَرُ تَابَهَا
 (مَدِينَةُ أَطْرَابِئِشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةٍ
 الْمَسَاحَةِ. مَسُورَةٌ بِيَضَاءِ كَالْحَمَامَةِ. مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَامِي
 وَأَوْفَقَهَا لِلْمَرَاجِدِ. وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصُدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا يَسِيحُ
 الْمُتَمَلِّقُونَ إِلَى بَرِّ الْمُدَوَّةِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةٌ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ.
 فَالْمَسْفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَمَطَّلُ شَيْءٌ وَلَا صَيْفٌ إِلَّا رَيْثَمَا تَهْبُ الرِّيحُ
 الْمُوَافِقَةُ. فَتَجْرَاهَا فِي ذَلِكَ تَجْرَى الْبَحَارُ الْقَرِيبُ. وَبِهِ الْمَدِينَةُ السُّوقُ
 وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدِينِ. لَكِنَّا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
 لَا حَاطَةَ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جَنَابٍ وَأَتَصَالُ الْبَرِّيَّاتُ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
 صَغِيرَةٍ. وَالْبَحْرُ قَلِيلٌ فَالْهَامُونَ سَائِرُ الْجَنَابِ. فَالْهَامُونَ أَنَّهُ لَا بَدَلَهُ
 مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَاخَى مَدَى أَبَابِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرَحَاءِ
 السَّيْرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَحَرِّ عَظِيمٍ. وَسَكَانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
 وَلِكُلِّ الْأَقْرَبِيِّينَ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَتَائِبُ. وَبَرَكْنَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
 أَمَّا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُقَرَّبٌ أَلَسْمُو مُنْسَجٌ فِي

أَعْلَاهُ قُمَّةٌ تَقَطُّعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَقْعَلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
 وَيَصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَبِهَذَا الْجَبَلِ الْكُرُومُ وَالزَّرَائِعُ .
 وَأَعْلَاهُ أَنَّ بِهِ تَحْوِ أَرْبَعِينَ عَيْنَ شَجَرَةٍ . وَهُوَ يُرْفُ بِجَبَلٍ حَامِدٍ
 وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ قَتْحُ
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتَرَكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
 فِيهِ ذَلِكَ الْمَقْعَلُ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسُوا بِمُحَادَّةِ حَصْنُوا حَرَمَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
 الْقَنْطَرَةَ . وَأَعْرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
 وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ قَدْ نَحِبُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الشَّجَرَةُ
 مَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُشُ فِي هَذَا الْبَلَدِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بئرٍ
 عَلَى الْبَعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا أَمَاةٌ قَصِيرَةٌ الْأَرْضِ مَاءُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
 لَا يُسَاقُ . وَأَقْبَنَا الْمُرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
 وَتَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَوْمُ رُكُوبٍ أَحَدِهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرْ الْأَنْدَلُسِ .
 وَاللَّهُ يَمْهُودُ صُنْعُهُ الْجَمِيلُ كَهَيْلِ بَيْتِهِ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
 أَطْرَابُشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى تَحْوِ قَرْتَحِينَ مِنْهَا . وَهِيَ صَنَارُ
 مُتَخَوَّرَةٌ . إِحْدَاهَا تُرْفُ بِعِلْطَةٍ وَالْأُخْرَى بِبَابَسَةٍ وَالثَّلَاثَةُ تُرْفُ
 بِالرَّهْبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحَصْنُ وَهُوَ
 مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَمُرُّ الثَّلَاثَةُ سِوَى
 الرَّهْبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ أَتَقَرُّ كَرَاتَانِي الْكُرْبُ الْمُتَوَجِّهَ إِلَى بَرْ الْأَنْدَلُسِ
 وَتَنْظَرَانِي الرِّادَ وَاللَّهُ الْمُتَكَمِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالْتَّهْلِيلِ (لَابِنْ جِير)

أَلْبَابُ الثَّامِنِ عَشَرَ فِي عَجَائِبِ الْخُلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجدات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِي: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَرِضُ لِلْإِنْسَانِ لُصُورُهُ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِمَدَمَ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَعَبَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحَدَتْ هَذِهِ الْمُسَدَّسَاتِ الْمُنَاسَاوِيَةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَاضِرُ مَعَ الْفَرَجَارِ وَالْمُسْطَرَةِ . وَمِنْ أَمْنٍ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ يَوْمَهَا الْمُنَاسَاوِيَةَ الَّتِي لَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَمَا نَحْنُ أَفْرَعَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَمْنٍ لَهَا هَذَا السَّلْسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةٌ لِلشِّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَقَعْدُ فِيهِ أَلْمَدَاءَ . وَكَيْفَ اهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ السَّلْسَلِ بِغِشَاءٍ رَفِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالسَّلْسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فَلَا يَتَشَفَّهُ الْهَوَاءُ وَلَا يَصِيبُهُ النَّبَارُ . وَتَبَقَّى كَأَنَّ لَبَنِيَّةَ الْمُقَصِّمَةِ الرَّأْسَ بِالْكَاعِدِ . هَذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ هَذِهِ الْمُلَاتَاةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صِبَاهٍ عِنْدَ قَعْدِ الشَّجَرَةِ . ثُمَّ يَبْدُو فِيهِ عَرِيَّةُ النَّعْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَعْرِقُ الْهَمِّ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أَيْسَ يُنْذِرُكَ بِهِ

وَحُسُومَاتِهِ قَسَمَطَ عَنْ تَنْظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسَرِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَشَّةً
حَوَاتًا غَرِيًّا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِلْمَادَاتِ أَنْطَلَقَ لِسَانُهُ
بِالتَّسْبِيحِ قَالًا : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمْرِهِ أَشْيَاءَ تَحْيَرُ فِيهَا
عُقُولُ الْعَالَمَاءِ وَتَدَهَشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بَيْنَ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَمَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيَرِ وَالْفَسَادِ فَإِنَّ
الْأَرْضَ وَالْمَوَاءَ وَالْجِبَارَ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَفْصَةِ مَلَقَةٍ فِي قَلْبَةٍ . ثُمَّ
يَنْظُرُ إِلَى دَوَارِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنَّسَةِ إِلَيْنَا رَحِيَّةً . وَبَعْضُهَا
حَمَلِيَّةً . وَبَعْضُهَا دَوْلَانِيَّةً . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا .
ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِسْكَانِهَا مِنْ غَيْرِ عَمَدٍ
تَعْمُدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَتَسْمِيهَا وَقَرَرِهَا
وَأَخْتِلَافِ مَسَارِقِهَا وَمَقَارِبِهَا لِأَخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
أَنْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَعْمَلُ إِلَى الْحَرَّةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
وَعُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ . لِأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَاتَتِهَا عَنْ وَسْطِ السَّمَاءِ
إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الصَّيْرِ وَكَيْفَةِ انْكِسَابِهِ الثُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيَسُوبَ

عَنَّا بِالْقِيلِ . ثُمَّ إِلَى امْتِلَآئِهِ وَانْفِصَافِهِ . ثُمَّ إِلَى كُفُوفِ الشَّسْرِ
وَكُفُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْحَجَرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرُجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنَّسْبَةِ إِلَى نَارِ حَوِيَّةَ . وَتَجَابُ السَّمَاوَاتُ
لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِي مَا ذَكَرْنَاهُ تَبَصُّرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُتَبَصِّرٍ
ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْفِصَاضِ الشَّهْبِ
وَالْقِيَمِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالثَّلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ لِلْهَابِ . وَلِنَتَأَمَّلَ السَّحَابَ الثَّقَالَ الْكَثِيفَ الْمُظْلِمَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَلَّ الْمَاءُ . وَتَخَيَّرَ الرِّيَّاحُ قَانَهَا
تَلَاعَبَ بِهِ وَتَسَوَّاهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَرَشَ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَرُسِلَهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةٍ . لَا تُذَرِّكُ قَطْرَةً مِنْهَا قَطْرَةً
لِيَصِيبَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِرَفَقٍ . فَلَوْ صَبَّ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِخَدِيشِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَرُسِلَهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنِ الْحَاجَةِ فَيَعْنُ
الْثَبَاتُ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ الشَّجَبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَبْصُرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يَبْجِعُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُرِي الزَّرْعَ وَالْأَثْمَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَمَلِهَا وَقُوْرَاتِهَا لِنَكُونَ فِرَاشًا وَمَهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ اكْتِنَافِهَا وَبُنْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَبَلٍ ظَهَرَهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنَهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ .
فَرَأَاهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَحْسَنَ الْمَعَادِنِ وَأَتَمَّتْ أَنْوَاعُ الثَّابِتِ وَأَنْفَرَجَتْ أَصْنَافُ الْحَيَوَانِ .
ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّائِخَةِ كَأَوْدَاقِهَا لِيَنْعَمَ مَنْ أَنْ يَمِيدَ .
ثُمَّ إِلَى إِبْدَاعِ الْمِيَاهِ فِي أَوْشَاقِهَا كَأَنْزَالَتِ لَتُخْرِجَ مِنْهَا قَلِيلًا فَكَثِيرٌ
مِنْهَا الْمَوْنُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَحَبَى بِهَا الْحَيَوَانُ وَالثَّابِتُ إِلَى وَقْتِ
زُلُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْقَائِلَةِ . وَيَنْصَبُّ فَاضِلُهَا إِلَى الْبَحَارِ دَلِمًا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْمَسْمُومَةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانٌ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ
الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمَعَ الْمَكْشُوفُ مِنَ الْبُودِي وَالْجِبَالِ
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
إِلَى حَاقِنِ اللَّوْلُوفِ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِبْنَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَيْمٍ
الصُّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَتَبُّ مِنَ الشَّجَرِ . ثُمَّ إِلَى
مَا عَدَاهُ مِنَ الْعَنَبِ وَأَصْنَافِ الْفَنَائِسِ الَّتِي يَمْذُهَا الْبَحْرُ وَتُخْرِجُ
مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ حَرَكِهَا بِالرِّيَّاحِ
وَالِىَ التَّحَاذِ الْأَلْبَنِي وَمَعْرِفَةِ النَّوَاقِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَالِكِهَا وَمَوَاقِفِهَا .
وَعَجَائِبُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَائِهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فَيَنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
كَالذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالنَّحَاسِ وَالرُّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
كَالْقَيْرِ وَزَجِّجِ اللَّيَاقُوتِ وَالزَّرَجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيَتِهَا
وَتَحَاذِ الْجَلِيِّ وَالْأَلَاتِ وَالْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّطَبِ

وَالْكَبِيرِ وَالْقِيَرِ وَغَيْرِهَا وَأَجْلَهَا الْحُجُ فَلَوْ خَلَّتْ مِنْهُ بَلَدَةٌ لَتَسَارَعَ
 النَّاسُ إِلَى أَهْلِهَا . ثُمَّ لِنَظَرٍ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْأَهْوَاكِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعْمِ وَالْأَرْبَابِ نُسْقِي بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَبِفَضْلٍ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَأَهْوَادِ الْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاحِي مَخْلَقَةٍ مُطَوَّقَةٌ بِمَقَادِيرِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَيَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةُ حَيَّةٍ . ثُمَّ لِنَظَرٍ إِلَى أَرْضِ أَنْبِيَائِهِ وَلِشَاهِدِ أَجْرَانِهَا
 فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ الْقَطَرُ عَلَيْهَا أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَعْضٌ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعْمِهَا وَرَوَائِحِهَا وَاجْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . فَلَمْ تَبْتَ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَّةً إِلَّا وَقَعِيَا مَنَافِعُهُ أَوْ مَنَافِعُ يَبْقَى
 فَهَمُّ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِنَظَرٍ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَانْقِسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَتَسْبُحُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
 تَدْعُو مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّمْلِ أَوْ النُّكْبُوتِ أَوْ النُّحْلِ قَائِمَاتُهَا
 مِنْ ضَرَافِ الْحَيَوَانِ لِيَرَى مَا يَتَّخِذُهُ مِنْ مِثْلِهَا أَلَيْتَ وَجْهًا أَلَذَّاءَ
 وَأَذْخَارَهَا لَوْفَتِ السَّنَاءُ وَطَفَحَتْ فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصَبَتْ الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ
 وَمِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَقَعِيَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ الْعَجَبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِيَانِ بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في حجم الشمس ووضعها

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ جَرِمًا وَأَشَدُّهَا حَرًّا . وَمَكَانُهَا

الطبيعي الكُرَّةُ الرَّابِعَةُ. (*) زَعَمَ الْمُتَحِمُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَالْمَلِكِ وَسَارَ الْكَوَاكِبُ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُودِ وَالْقَمَرُ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْهَيْدِ وَعُطَارِدُ كَالْكَاتِبِ. وَالرَّيْحُ كَهَاجِبِ الشَّرْطَةِ. وَالْمَشْرِيقُ
كَالْقَاضِي. وَزَجَلُ كَهَاجِبِ الْحَرَّانِ. وَالزُّهْرَةُ كَالْحَدَمِ وَالْجَوَارِي
وَالْأَفْلَاقُ كَالْأَقَالِمِ. وَالْبُرُوجُ كَالْبُدَانِ. وَالْدَّرَجَاتُ كَالْمَسَاكِينِ.
وَالْأَقَاتِقُ كَالْحِمَالِ. وَالثَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ جَدِّ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَمْلُ الشَّمْسِ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لَتَبْقَى الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَتِهَا عَلَى حَدِّهَا
إِلَّا عِتْدَالِي. إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ الثَّوَابِتِ لَفَسَدَتِ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ. وَلَوْ أَنَّهَا انْتَحَدَتْ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ لَأَخْرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكَلْبَةِ. وَلُطِفَ آخَرُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ حَلَقَهَا سَابِرَةً غَيْرَ مُوَاقِفَةٍ
وَالْأَشْتَدَّتِ السَّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
مَسَادُهَا. لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَرَالُ تَنْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَعَكُشُوفٌ مُوَازِلًا لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ خَطًّا مِنْ شَمَائِهَا. وَيَبْقَى فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِيَعْمَ قَائِدَتُهَا أَمَّا إِلَى الْجَنَةِ

(٥) ذَلِكَ زَعَمَ الْأَقْدَمِينَ أَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَعَمِلُوا أَنَّ الشَّمْسَ فِي جَوْفِ الْعَالَمِ وَمِنْ حَوْلِهَا
تَدُورُ سَارِ الْأَفْلَاقِ وَأَقْرَبُهَا إِلَى الشَّمْسِ عُطَارِدُ ثُمَّ الزُّهْرَةُ ثُمَّ الْأَرْضُ ثُمَّ الْمَرْجُ ثُمَّ الْمَشْرِيقُ ثُمَّ زَجَلُ
(٥) وَهَذَا مِنْ آرَاءِ الْأَوَّلِ. فَقَدْ بَيَّنَّتِ الْآنَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْأَفْلَاقَ تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ
وَأَبْطَلُ مَا اخْتَلَفَهُ الْقَدَمَاءُ مِنْ أَنَّ الشَّمْسَ تَدُورُ حَوْلَ الْأَفْلَاقِ

الْجَنُوبِيَّةُ قَبِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ الْقَرَبِ .
وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجَنَةِ الشَّمَالِيَّةِ قَبِيلُ حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاجِحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلَ يَوْمٍ فِي
السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ قَبِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِ نَازِلَانَّ
جِزْمِ الْقَمَرِ كَذَلِكَ فَيُجِبُّ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسُ
وَكَانَ فِي إِحْدَى نَقْطَتَيِ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُرَى تَحْتَ
الشَّمْسِ قِصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكْتُ لِيَنَّ قَاعِدَةَ تَحْرُوطِ الشَّمْعِ إِذَا انْطَلَقَ عَلَى
صَلْتِهِ الْقَمَرُ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْدِئُ الشَّمْسُ بِالْانْجِلَادِ . لَكِنْ
يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
النَّظَرِ . وَقَدْ لَا تُكْشَفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصْلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْمُلُوكِيَّاتِ وَالسُّلْطَانِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
الْمُلُوكِيَّاتِ فَلَاخْفَاؤُهَا جَمِيعَ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شَمَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ
النُّورَ . وَأَمَّا فِي السُّلْطَانِيَّاتِ فَنَتِجَاتُ تَأْثِيرِهَا فِي الْبَحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى
الْمَاءِ أَصْعَلَتْ مِنْهُ أَجْمَرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبَحَارُ إِلَى الْهَوَاءِ
الْبَارِدِ تَكَثَّفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْقَدَّ تَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيحُ إِلَى
الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبَحَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُخَيِّ بِهَ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْنًا . وَتَقْطُرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَالْعُمُونُ فَيَصِيرُ سَبَابًا لِقَلَاءِ الْحَيَوَانِ وَخُرُوجِ
 النَّبَاتِ . وَمِنْهَا أَمْرُ النَّبَاتِ فَإِنَّ الزُّرُوعَ وَالْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَ لَا يَنْبُتُ
 بِغَيْرِهَا إِلَّا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ . وَلِذَلِكَ لَا يَنْبُتُ تَحْتَ
 النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ الْعِظَامِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ وَاسِعَةٌ تَبْقَى مِنَ الزُّرُوعِ
 لِأَنَّهَا تَنْقُصُ شُعَاعَ الشَّمْسِ عَمَّا تَحْتَهَا . وَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَأْوِيلِ الشَّمْسِ
 بِحَسَبِ الْحَرَكَةِ الْيَوْمِيَّةِ فِي التَّيْلُوفِ وَالْأَذْرُونِ وَوَرَقِ الْخَرْجِ فَإِنَّهَا
 تَنْمُو وَتَزْدَادُ عِنْدَ اخْتِدَادِ الشَّمْسِ فِي الْإِرْتِفَاعِ وَالْانْحِثَارِ . فَإِذَا زَالَتْ
 الشَّمْسُ أَخَذَتْ فِي الدُّبُولِ حَتَّى إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ ضَمَمَتْ وَذَبَلَتْ
 ثُمَّ عَادَتْ الْيَوْمَ الثَّانِي إِلَى حَالِهَا . وَمِنْهَا تَأْوِيلُهَا فِي الْحَيَوَانَاتِ فَإِنَّمَا
 تَرَى الْحَيَوَانَ إِذَا طَلَعَ نُورُ الصُّبْحِ حَاقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبْدَانِهَا قُوَّةً
 فَتُظْهِرُ فِيهَا قَرَاهَةً وَاتِّمَاشَ قُوَّةٍ . وَكُلَّمَا كَانَ طُلُوعُ نُورِ الشَّمْسِ أَكْثَرَ
 كَانَ ظُهُورُ قُوَّةِ الْحَيَوَانِ فِي أَبْدَانِهَا أَكْثَرَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى وَسْطِ
 نَمَائِهَا . فَإِذَا مَالَتْ عَنْ وَسْطِ سَلَامَتِهِمْ أَخَذَتْ حَرَكَاتِهِمْ وَقُوَاهُمْ فِي
 الضَّعْفِ وَلَا تَزَالُ تَزْدَادُ ضَعْفًا إِلَى زَمَانِ غُيُوبِهَا . فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ
 رَجَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ إِلَى أَمَاكِنِهَا وَكُرْمَتِهَا كَأَلَمَوْقَى فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهَا
 الشَّمْسُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَادُوا إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى . (للتفريغ)

فصل في القمر وضوؤه وتأثيراته

٣٤٣ وَأَمَّا الْقَمَرُ فَهُوَ كَوْكَبٌ مَكَانُهُ الطَّبِيعِيُّ الْفَلَكَ الْأَسْفَلُ وَهُوَ
 جَرْمٌ كَثِيفٌ مُظْلِمٌ قَابِلٌ لِلضِّيَاءِ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُ عَلَى مَا يَرَى فِي ظَاهِرِهِ .

فَالْتَصِفُ الَّذِي يُوَاجِهُ الشَّمْسُ مُضِيًّا أَبَدًا فَإِذَا قَارَتِ الشَّمْسُ كَانَ
التَّصِفُ الْمَظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَدَعَ الشَّمْسُ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَالَ التَّصِفُ الْمَظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُظْهِرُ
مِنَ التَّصِفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةً هِيَ الْهَالِلُ . ثُمَّ يَتَزَايِدُ الْإِنْخِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَزَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ التَّصِفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُعَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ التَّصِفُ الْمُوَاجِهَ الشَّمْسِ هُوَ التَّصِفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَتَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَقْصُرُ الضِّيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ يُوَعَى التَّرْتِيبُ الْأَوَّلُ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُعَادَرَةِ الشَّمْسِ يَتَحَقُّ نُورُهُ وَيَبُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نِقْطَتَيْ الرَّاسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطَ الْأَرْضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيَرَى مُخْتَصَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ غَيْبَةٌ . دَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اعْتِبَارُ أَهْلِ الْفَجَارِيبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبَحَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَقْبَى مِنَ آفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَآوُهُ فِي الْمَدْمُومَةِ مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَتَتْهُ الْمَدْمُومَةُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنَ وَسْطِ سَمَاءِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مِنْهَا . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَةِ الْبَحْرِ وَقْتُ انْتِشَاءِ الْمَدِّ

أَحْسَنَ لِمَاءَ حَرَكَةٍ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهَجُّجًا فِيهَا
 رِيَاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَوَّاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجَزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
 كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاوِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِمَاءَ زِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرًّا
 وَعُلُوجًا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَابْتِدَاءُ
 قُوَّةِ الْمَدِي فِي الْبَحَارِ إِنْهَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

فِي الْخَبْرَةِ وَالْمَرَكَبِ الثَّلَاثِ

٣٤٤ وَهِيَ الْيَاسُ الَّذِي يَرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ إِلَى
 زَمَانَتَاهُذَلِكَ يُسَمَّى فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلٌ شَافٍ. دَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَنَادٍ
 مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْأَرَبُ يُسَمِّيَهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
 فِيهَا. وَدَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْخَبْرَةِ فَطَلَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
 وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تُرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ
 السَّمَاءِ وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشِّمَالِ إِلَى
 الْجَنُوبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوَارًا حَوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
 مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ...
 وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّلَاثُ فَإِنَّ عَدَدَهَا يَمَّا يُقَصِّرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
 صَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ صَبَّطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
 ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجَمْعِ إِلَى تِسْعِمَائَةٍ وَسَبْعَةِ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْظُمُ
 مِنْهَا ثَمَانٌ وَارْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
 الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِيمُوسُ فِي كِتَابِ الْخُسْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

الشمالي من الكثرة وبعضها على منطقة فلك البروج التي هي طبيعة
السيارات. وبعضها في النصف الجنوبي. فسمي كل صورة باسم
الشيء الذي يشبه بها فوجد بعضاً على صورة الإنسان كالخيزان.
وبعضاً على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان. وبعضها على
صورة الحيوانات البرية كاللحم. وبعضها على صورة الطير كالغراب.
وبعضها خارجاً عن شبه الحيوانات كاليزان والسقينة. ووجد من هذه
الصور ما لم يكن تام الخلقه مثل القوس ومنها ما بعضه من صورة
حيوان والبعض الآخر من صورة حيوان آخر كالرامي... وإنما
ألقوا هذه الصور سموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم
يعرف به متى أشاروا إليه وذكروا موقعه من الصورة. وموقعه من
فلك البروج وبه من الشمالي أو الجنوبي عن الدائرة التي تمر
بأوساط البروج لمعرفة أوقات الليل والنهار في كل وقت

فصل في اربع السنة

٣٤٥ من جملة لطف الله بعباده أن أعطى لكل فصل طبعاً مناسباً لما
قلبه في كيفية أخرى ليكون ورود الفصول على الأبدان بالتدريج.
فلو ابتدل من الصيف إلى الشتاء دفعة لأدى ذلك إلى تشيير عظيم
في الأبدان. فحسبك ما ترى من تشيير الهواء في يوم واحد من الحر
إلى البرد كيف يظهر مقتضاه في الأبدان. فكيف إذا كان مثل هذا
التشيير في الفصول. فسبحانه ما أعظم شأنه. وأكثر امتنانه

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلُ بَرَجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَسْتَوَى الْقَيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ . وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
وَهَبَّ الشَّمِيمُ . وَقَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
وَنَبَتَ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشجارِ وَنَبَتَ
الشَّجَرُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَّأَ الزَّهْرُ . وَأَوْدَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ النَّوْرُ .
وَأَخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَلَبَ عَيْنُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكُونُ الْحَيَوَانَاتُ
وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَلَبِثَتِ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضُّرُوعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
الْبِلَادِ عَنْ أوطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّجَتْ وَتَرَبَّتْ
لِلنَّاطِقِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَأْبُهَا وَدَأْبُ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَيُحْتَسِدُ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ
وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرْحَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
تَقْصُرُ طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ الْقَيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ
الْحَرُّ وَتَحَنَّنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ الثَّيَابِ وَالْحَيَوَانُ . وَأَذْرَكَ الثَّنَادُ
وَجَبَّتِ الْحُيُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَصَابَتِ الدُّنْيَا وَجِثَتِ الْبَهَائِمُ .
وَاشْتَدَّتْ قُوَّةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
وَجْهِهِ الْأَرْضِ لِعُيُونِ الْحَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْنُ أَهْلِ
الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السُّعُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَبَسَّتِ
الْأَشْجَارُ وَأَذْرَكَ الْخَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَانْتَسَعَ لِلنَّاسِ الْقَوْتُ
وَالطَّيْرِ الْحَبُّ وَاللِّبَاهِمِ الْعَلْفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَانَتْهَا عُرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِأَقْفَةٍ كَامِلَةٍ ذَاتُ جَمَالٍ وَدَوَّقِي . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنَةِ مُجْتَمِدَةً أَقْبَلَ الْحَرِيفِ
 وَأَمَّا الْحَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوِي
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ أَبْدَأُ اللَّيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَأَنَّ
 الرَّبَّعَ زَمَنُ نُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتُ وَظَهَرَ الْأَزْهَارُ فَلِلْحَرِيفِ
 زَمَانُ ذِيُولِ النَّبَاتِ وَتَنْبِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . مُجْتَمِدَةً بِرَدِّ الْمَاءِ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَبَيَّرَ الزَّمَانُ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَبَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعُيُونُ . وَبَيَسَتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتْ أَشْجَارُهُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالتَّمْرَ وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَرْضِ مِنْ دَيْبِهَا . وَمَاتَتِ الْمَوَامُ وَانْتَحَرَتِ
 الْحُشَرَاتُ . وَانْتَصَرَفَ الطَّيْرُ وَطَلَبَ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِقَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ اللَّطِيفَةَ مِنْ
 الثِّيَابِ . وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَمَا كَانَتْ كَهَلَا قَدْ وُلَّتْ أَرْبَعُ شَهْرِيهَا
 إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْعُيُونِ وَقَدْ انْتَهَى الْحَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجُدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 زُيُولُ اللَّيْلِ وَفُصِّرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ
 وَخَسِنَ الْهَوَاءُ وَتَبَيَّرَ الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتْ بَطُونُهَا وَقَاتَ
 أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَانْتَحَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَتَخَوَّفَ
 الْجَمَالُ مِنَ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثُرَ الْأَنْدَاءُ . وَنَشَأَتِ النَّيُومُ وَأَعْظَمَ الْجُودُ
 وَكَلِمَةُ وَجْهِ الزَّمَانِ . وَهَزَلَتِ الْبِهَامُ وَضَعُفَتْ قُوَّةُ الْإِبْدَانِ . وَنَمَتْ

الْبَرْدُ النَّاسَ عَنِ النَّصْرِفِ وَمَرَعَيْشِ أَكْثَرُ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ الْقَيْلُ
الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرْدَ الْمَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَأَنْقَطَعَ
الذَّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَغَدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْقَوَامِ . وَطِيبُ فِيهِ
الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرِّاحَةِ وَالِاسْتِغْنَاءِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
زَمَانُ الْكَدِّ وَالْعَبَسِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَنْتَلِ دِمْلَغُهُ صَائِنًا لَمْ تَنْتَلِ
قِدْرُهُ شَائِنًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَتْ دَنَاءُ مِنْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ أَتَتْهُ الشِّتَاءُ
وَأَقْبَلَ الرَّبِيعَ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالْثُلُوجُ عَلَى الْجِبَالِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
الْمَعَارَاتِ وَتَذُوبُ الثَّلُوجُ وَتَقِضُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
مُخْرُوفَةٌ فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْسَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ
مَتَاعِدُ صَيِّفَةٍ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْسَالِ فِي تِلْكَ الْمَتَاعِدِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا
جَدَائِلُ . وَتَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
كَانَتِ الْخِرَائِثُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ حَرْمَانُهَا أَبَدًا لِإِنْ مِيَاهَهَا
تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتُهَا لِيُصُولَ مَدَدُهَا مِنْ
الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتِ الْخِرَائِثُ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُضُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعٌ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَاجِئِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْدِئُ مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبَحَارِ أَوْ الْبُلَاحِ . وَفِي مَرَجِهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقَرْىَ وَمَا
فَضْلُ يَنْصَبُ إِلَى الْبَحَارِ . ثُمَّ يَرْتَفِعُ وَيَلْطَفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُحَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ السُّيُومُ وَتَسُوقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ . وَيَمُطِرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ قَاضِيَهُ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبُهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَى فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الأرض ودورانها وهبتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاقُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ النَّظْمِ وَالتَّمَاكُكِ إِذْ قَوْلَاهُمَا لَمَّا أُمِمَّ كُنَّ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمِقْدَارَ الْبَارِدَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيْ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ بَعْضَهَا وَإِذَا
انْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارٌ آخَرَ خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ أَلْحِيطَ الْأَعْظَمَ لِحَاطٍ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقِيَ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةِ
غَانِصَةٍ فِي الْمَاءِ يَخْرُجُ مِنْ الْمَاءِ مُحْدَثُهَا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةٌ مَسَاءً
وَلَا مُصْبَحَةً بَلْ كَثِيرَةٌ الْأَرْتِقَاعِ وَالْإِنْخِطَاصِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْكَوَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكَهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِدُ وَخَلجانُ . وَكُلُّهَا

نُتِجَتْ بِمِائِهَا وَبُخَارَاتِ وَرُطُوبَاتِ دُهْنِيَّةٍ . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
 شَيْءٍ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَالِهَا
 وَصُورِهَا وَبَرَاجِهَا وَأَوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
 وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
 وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آراءُ الْعُلَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
 إِنَّمَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْكُرَةِ وَلَوْلَا
 ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بَنَاءٌ وَلَا شَيْءٌ عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَتَّبِعُ عَلَيْهِ
 حَامِيهِمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ . وَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَصْحَابُ
 فَلَاقُورُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْإِسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
 يُرَى مِنْ دَوَرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بها

٣٤٨ زَعِمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءٌ
 لَطِيفَةٌ مَائِيَّةٌ تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءٌ لَطِيفَةٌ أَرْضِيَّةٌ تُسَمَّى دُخَانًا .
 فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعَتُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
 وَتَكُونُ مِنْ قَدَامِهِمَا جِبَالٌ شَاحِئَةٌ مَائِيَّةٌ وَمِنْ قُوَّتِهَا يَرْدُ الزَّهْرِيرُ وَمِنْ
 أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُصَلَّةٌ فَلَا يَرَالُ الْبُخَارُ وَالسَّحَابُ يَكْتَرَانِ وَيَنْظُرَانِ
 فِي الْهَوَاءِ وَتَدْخُلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَخْتَنَ قَتَكُونُ مِنْهَا
 سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَاكِمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْقَسَمَتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتِمُ تِلْكَ الْأَشْرَاءَ الْمَائِيَّةَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ قَتَصِيرَ قَطَرًا . فَخَلَّتْ
وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى آسْفَلٍ . فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبَخَارِ بِاللَّيْلِ
وَالْهَوَاءِ شَدِيدًا الْبَرْدُ مَنَعُهُ مِنَ الصُّعُودِ وَأَجَدَهُ أَوْلَا قَصَارَ بَخَارًا رَفِيقًا .
وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرَطًا أَجَدَ الْبَخَارُ فِي النَّفْمِ وَكَانَ ذَلِكَ تِلْكَ لِأَنَّ الْبَرْدَ
يُجْعِدُ الْأَشْرَاءَ الْمَائِيَّةَ وَتَخْلُطُ بِالْأَشْرَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرَّفَقِ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقْعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْمَطَرِ وَالْبَرْدِ . وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَائِمًا ارْتَفَعَ الْبَخَارُ فِي النَّوْمِ وَتَرَاكَمَ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
مَنْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدٌ أَرْتَمَ مِنْ فَوْقِ غَاظِ الْبَخَارِ وَصَارَ مَاءٌ
وَأَسْمَتْ أَجْرًا وَهَائِصَ رَقَطَرًا . وَعَرَضَ لَهَا الْثِقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
تَحْتِ السُّحَابِ وَبِئْسَ تَرَاكُمًا تَلْتِمُ تِلْكَ الْقَطَرَاتِ الصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطَرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرَطٌ مِنْ طَرَفِهَا جَدَّتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ . وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْأَشْجِرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ صَبَابًا وَإِنْ
كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ يَجْعِدْ رَلَّ طَلًا وَإِنْ أَتَجْعَدَ رَلَّ صَقِيمًا
فِي الرِّيحِ وَالْبَرَقِ وَمَا يَتَّبَعُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَلَّتْ مِنْهَا أَشْرَاءٌ
نَارِيَّةٌ تَحُلُّطُوا أَشْرَاءَ أَرْضِيَّةً وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجَمْعُ خُفَّانًا . ثُمَّ الدُّخَانُ
يَازِجُهُ الْبَخَارُ وَيَرْتَعَانُ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ . فَيَتَعَدُّ

الْبُحَارِ سَحَابًا وَيَحْتَسِبُ السَّحَابُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصِدَ الصُّعُودَ
 وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصِدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمُرُّ السَّحَابُ تَقْرِيقًا عَنِيًّا
 فَيَعْدُ مِنْهُ الرُّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَمِلُ نَارًا لِشِدَّةِ الْحَاكِمَةِ فَيَعْدُ مِنْهُ الْبَرْقُ
 إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِمَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَبِيرًا (*) فَخَرَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَأَصَابَتْهُ
 قَرْنًا تَذَوَّبَ الْحَدِيدُ عَلَى الْبَابِ وَلَا تَصُرُ الْحَشَبَةُ وَرُبَّمَا تَذَوَّبَ الذَّهَبُ
 فِي الْحِرَّةِ وَلَا تَصُرُ الْحِرَّةُ وَقَدْ تَمَّ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتَعِلُ وَقَدْ تَمَّ عَلَى
 الْمَاءِ فَيَخْرُقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَخْدَعَانِ مَا
 لَيْسَ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرُّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَمُضُ
 لِحَاذَةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوعِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
 وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى قُوَّةِ الْمَوَادِّ . وَذَهَابَ النَّظَرُ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوعِ
 الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَصَارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجَرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
 يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجَرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .
 وَالرُّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشَّمَاءِ لِقِلَّةِ الْبُحَارِ الدَّخَانِي . وَلِهَذَا لَا
 يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ زُلُولِ أَشْفَجٍ لِأَنَّ الْبَرْدَ يَطْفِئُ الْبُحَارَ
 الدَّخَانِي . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِكَثَافَةِ أَمْزَاجِ الْعَنَامِ .
 فَإِنَّمَا إِذَا تَكَثَّرَتْ انْحَصَرَ الْمَاءُ فَإِذَا تَزَلَّ زَلَّ شِدَّةً كَمَا إِذَا احْتَبَسَ الْمَاءُ
 ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَمْرِي جَرِيًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْخُلُقَاتِ لِلْفَرَوْنِيِّ)

(٥٠) قد اتفق الآن للطيبيين المحدثين أن البروق والبرود مسببة عن الكهرباء وقد
 أنواع شرح ذلك في كتبهم

أَلْبَابُ الْكَاسِبِ عَشْرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والأمراء

كتاب المحقق الطوسي إلى صاحب حلب بعد فتح بغداد

٣٥٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ رَزَقْنَا بِبَغْدَادَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَبِشِمْكَانَةَ قَسَاءَ
صَاحِبِ الْبُخَارِ فَقَدَعُوا مَا لَكُمْهَا إِلَى عِلَاقَتِنَا. فَإِنْ أَتَيْتَ قَرَوْحَ وَرَبَّحَانَ
وَجَنَّةَ نَيْمٍ. وَإِنْ أَتَيْتَ فَلَا سُلْطَانَ مِنْكَ عَلَيْكَ. فَلَا تُكُنْ كَأَنْ لَبِثْتَ
عَنْ حَقِّهِ يَظْلَمُهُ. وَالْجَادِعِ مَا رَنَ أَنْفَعُ بِكَفِّهِ. وَالسَّلَامُ

ذكر رسالة تيمور سلطان عراق العجم إلى القوارس شاه شجاع

٣٥١ إِنْ أَلَّهِ تَعَالَى سُلْطَانِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ
مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ تَأَوَّاهِي وَتَصَرَّفِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَخَدَّ
رَأَيْتَ وَتَمَحَّتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنَعَمْتَ. وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّ قَدَامَ
قَدِيمِي ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ الْخُرَابَ وَالْقَحْطَ وَالْوَبَاءَ. وَإِنْ كُلِّ ذَلِكَ عَارِضٌ
عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (أخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن ذكرية إلى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ الْمُهْدِيِّ الْمُنْصُورِ النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الدَّاعِي جَمْعُ بْنُ حَمِيدٍ الْكُرْدِي سَلَامٌ عَلَيْكَ.
فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَنْبَغِي إِلَيْنَا مَا
حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكَفَرَةِ وَمَا قَعَلُوهُ بِأَجْحَنِكَ مِنْ

الظلم والتبذ والفساد في الأرض . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نَنْفِذَ إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَتَّقِمُ لَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَانَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفِذْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ حِمَصَ وَنَحْنُ فِي أَفْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْأَصِيرِ إِلَى بَاجِحَتِكَ لِطَلَبِ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجِيرَنَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْتَالِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقَلْبُوبُ مَنْ أَتْبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَثِقًا بِاللَّهِ وَبِصُرَةً الَّتِي لَمْ يَزَلْ يَعُودُنَا فِي كُلِّ مَنْ مَرَّقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَانْحَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتُبَادِرْ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ وَمَا يَجْدُدُ فِيهَا وَلَا تَحْفَرْ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حبيب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صَدَرَهُذَا الْكِتَابُ الْعَلِيِّ الْإِمَامِيِّ عَنِ الْأَمْرِ الْمَلُوكِيِّ الَّذِي دَانَتْ لِعَاطَتِهِ الْكَرِيمَةِ تَمَالِكُهُ الْإِسْلَامِيَّةُ . وَأَتَقَادَتْ لِدَعْوَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْأَقْفَارُ الْمَغْرِبِيَّةُ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَالِيَةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ الْأَسْوَادِيَّةِ . وَأَقْفَارُهَا الْقَاصِيَّةُ وَالذَّائِبَةُ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْمُلُكِ الْمَسِيحِيَّةِ الرَّتْبَةُ الْعَالِيَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَّةُ . سُلْطَانُ قَرَانِصَةِ لُورْدِ ابْنِ السَّلَاطِينَ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَاتَةُ الْعَالِيَةُ الْمُنَارُ أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحْتَمَةٌ فَكُنَّا بِهَا هَذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَاتِنَا الْعَالِيَةِ مَدِينَةِ مَرَاكُشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَاهُ لَا يَأْتِلَا الشَّرِيفَةُ مِنْ عَوَائِدِ

التَّبَصُّرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَّا لَكُمْ إِلَهَ الْحَمِيلَةِ الْمُنْعَمَةِ السَّجَالِ الْمُنْتَكَرَةِ فِي الْبُكْرِ
 وَالْآصَالِ. إِلَهَ الْبَلَّةِ وَالْكَرْ. هَذَا مُوجِبٌ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمْ يَرَدْ
 خَدِيعُكُمْ الْمَرْغِي الْمَحْوَطُ الرَّزِيلِي عَلَى مَرَسِي ثَمَرِ آسَفِ الْخُرُوسِ بِاللَّهِ
 وَأَسْلَمَ كِتَابُكُمْ الْمَحْصُوبُ مَعَ خَدَائِمَتِنَا الَّذِينَ بِالْقَرِّ بَادَرُوا بِوُصُولِهِ إِلَيْنَا
 فِي الْقَوْرِ. فَوَقَعْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْحَيَّةِ وَتَأْيِيسِ
 الْمُدَّةِ بَيْنَ اللَّجَائِينَ إِلَى مَا أَشْرَفْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْقَرَأْتُمْ فِيهِ
 الَّذِينَ رَغِبْتُمْ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَتَمَّ الْأَخِذِ
 وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ اسْتَوْفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجَلِهِ. وَاجْتَنَبْنَا
 عَنْ فُصُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ بِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ خُصَّةً خَدِيعَتِنَا
 الْوُجْهِ الْأَثِيرَ النَّبِيلَ النَّبِيَّ أَقَائِدَ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَنَائِي. فَصَدَّ أَنْ
 يَلْتَقِيَ مَعَ خَدِيعِكُمُ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْاجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
 تَعَدَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثْ خَدِيعَتِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ هَوِثْلَةٍ وَبَكَاتِهِ
 فِي أَعْرَاضِكُمْ لِيَسْلَمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَجَمَعَهُمْ مَعَهُ فِي أَعْرَاضِ
 الْجَلَائِينَ. ثُمَّ إِنْ خَدِيعَتِنَا الْمَذْكُورَ لَمْ يَبْلُغْ ثَمَرِ آسَفِ فَقَدْ خَدِيعَكُمْ مِنْ
 الْمَرَسَى فَسَالَ عَنْهُ قَبِيلُ لَهُ: قَدْ أَقْلَعْنَا مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْصِ بَعْضُ
 الْخَدَائِمِ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيعُكُمْ عَلَى عِلْمِ
 وَبَعَيْنِ أَنْ خَدِيعَتِنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَيْمَانِ الطَّرِيقِ فَهَاتِي قَبْلَ
 وَصُولِهِ. وَالْحَدِيدُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَعْرَاضِ ضَيْفِهِ لَا يَسْتَمِرُّهُ شَيْءٌ
 عَنْ قَضَائِنَا وَلَا يَنْبِي لَهُ إِلَّا رُطَاجٌ قَبْلَ اسْتِيفَائِنَا. فَمَرَقْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

تُؤَقِّفُوا أَلْتَأَلَّمُ تُقَصِّرُ فِي أَغْرَاضِكُمْ الْمَطْفَأَةَ لَدَيْنَا بِأَقْبُولَ وَيَهْ وَجَبَ
الْكَتَبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَجَبِ النَّبَوِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١١٣٠ م)

كتاب سلطان مرکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسا

٣٥٤ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَاكَشٍ وَنَاسٍ وَكَافَّةِ الْأَقَالِمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ مُسَوِّدَ وَجْهِهِ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَكِ
السَّعَادَةِ نَمْسَهُ وَبَدَرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جَنْسِ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَلِّي
أَمْرَهُمُ الْيُوزُفُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهَدَى
أَنَا بَعْدَ قَدْ وَرَدَ عَلَى خَضِرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَارِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمُسْتَعْمِنِ الْإِخْبَارِ
يَمُوتُ جَدُّكَ الْيُوزُفُ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ تَابِ قَوْصُوكُمْ بِرِطْلِي
دِ بَطْنِي . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوزُفُ كَبِيرٌ أَحَبُّ كَانَتْ لَهُ حُبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ يَمُنُ بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ خِدَانَةٌ فِي رِجْلَيْهِ
وَحِظُّ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرَحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ مَخْلَقَةٍ
فِي الْمُلْكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْتَعِدُّ بِكَ
رِعَايَتُكَ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَتَحْنُ مَمْلُوكَ عَلَى الْمَهَادَةِ وَالصَّلَاحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سَفْهًا مِنْ سَفْهِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَّوْا
بِأَقْصَى آيَاتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّغَرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلَمٍ مِنْ آلِهِ وَ
مِنْ الْقَصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرَتَا بَعْضِ

خُدَامَنَا الصَّغَرَاءِ إِنُوجَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيَا لِلْمُعَادَةِ
وَالصَّلَاحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَصِلْكَ سِتَّةً مِنْ الْخَلِيلِ مِنْ عِتَاقِ خَلِيلِنَا
صِلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخَدِينَا الْمَذْكُورَ لَا تُبْطِئُوهُ عِنْدَكُمْ وَوَجْهَهُ إِلَيْنَا عَزَمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرْضِ الَّذِي وَجَّهْنَا إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُعَادَةِ وَالصَّلَاحِ .
أَتَتْهُ . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكُتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الرِّثْوَنِ فِي عَاشِيرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامَ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥) لِلْمَسِيحِ

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَائِيِ الطَّرَفِ تَحْوِكَ وَذِكْرُكَ مُلَصَّقٌ بِلِسَانِي .
وَأَسْمُكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهْوَانِي وَتَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِجُلَامِيعِ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مُحْمَدٍ عَلَى الْإِنْفَادِ لَكَ يَنْبِرُ زِمَامٌ لِأَنَّ النَّفْسَ يَفُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِدِسُ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديقه له يدعو له الى مادية

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةٍ لَمَّا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةِ ضَاحِكِ الشَّمْسِ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تُعَلِّمُ فِيهِ مُشْرِقَةَ بِلَاحِهَا . حَالِيَةَ بُنَوَارِهَا . فَرَأَيْكَ
غَيْنًا لِنَكُونُ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ أَسْتِمَاعِ بَعْضِنَا بَعْضًا

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ) هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجِبَ
اِتِّبَاعُهَا وَحَثُ الْمَطِيرِ فِي ابْتِنَائِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
وَتَجْمَعُ إِلَى أَيْنِ مَنَظَرِهِ حُسْنَ وَجْهِكَ وَطِيبَ شِمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُبَارَكِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: الْمَوَدَّةُ تَجْمَعُنَا
مَحَبَّتُهَا. وَالصَّنَاعَةُ تَوَلِّفُنَا أَسْبَابُهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَخُّلٍ فِي لِقَاءِ أَوْ
تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْمَذَرِفَةَ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشُّوقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ آيَاتِنَا الَّتِي حَسَفَتْ كَانَتْهَا أَعْيَادُ.
وَقَصُرَتْ كَانَتْهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّمَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكَثِّرُهُ وَاعِيَهُ
تَصَافُّ الدَّيَّارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. ثُمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةُ الْمُجَدِّدَةُ فَيْكَ بِالْغَطْرِ
إِلَى النَّفْسِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَا بِنَ عَدْرِهِ)
٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخِي لَهُ): أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِنْ عَالِي
الظُّلَمِ يُفَرِّقُكَ اسْتَوْجَبَ الرَّيِّ مِنْ رُؤْيَيْكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
لِي مِعَادًا بِرِيَازَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَيْكَ وَتُوَسِّلُنِي إِلَى جَنِّ
لِقَائِكَ فَلَمْتُ. (فَلَجَابُهُ): أَخَافُ أَنْ أَعْدَكَ وَعَدًا يَتَرَضُّ دُونَ الْوَقَاءِ
بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفَرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمًا طَلَبَ أَوَّلُهُ وَحُسْنَ مُسْتَمْلُهُ وَأَتَتْ
السَّمَاءُ بِطَارِدِهَا. فَحَلَّتِ الْأَرْضُ بِأَوَارِهَا. وَبِكَ تَطِيبُ الشُّوْلُ وَيُسْنِقُ
الْقَلِيلُ. فَإِنْ تَأَخَّرَتْ قَرَفَتِ شِمَائِلُنَا. وَإِنْ تَجَلَّتِ إِلَيْنَا نَظَمَتْ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ ضَعْفِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَصَلَتْ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرِفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَلِيكَ
(القبرواني)

كتاب زبدة الى المأمون بعد قتله بها الادين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ ذَلٍّ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَقَّ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةُ الْوَالِدِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِتَوَاسِعَ الدَّهْرُ . وَفِي الْمَوَاتِ
لِجَمِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعْفِي وَأَسْتَكَانِي وَقَلَّةَ جَبَانِي
وَأَنْ تَصِلَ رَجَائِي وَتُحَسِّبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَأَقْبَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأدين ورقا لما وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتِكَ يَا أَمَاهُ (حَاطَكَ اللَّهُ) وَقَوْلَاكَ بِالرَّعَابَةِ
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ فِي شَهِدِ اللَّهِ جَمِيعُ مَا أَوْصَحْتَنِي فِيهَا . لَكِنَّ الْأَقْدَارَ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمَخْلُوقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَاللَّهُ نَبَأُ كُلِّهَا إِلَى شَتَابٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَى تَمَاتٍ
وَلَتَعْدُو وَالْبَنَى حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَقْضِ مِنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر بزيده ضاعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها وأعادها إلى حالتها الأولى
في الكرامة والمنة

(حديقة الأبرار البيهقي)

فصول في الهدايا

كتب ربيع إلى المتوكل وقد أهدى إليه قارورة من دهن الأترج:

٣٦٤ إن الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير كلما طقت
ودقت كانت أبهى وأحسن. وكلما كانت من الكبير إلى الصغير
كلما عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع. وأرجو أن لا يكون قصرت
في همة أمارتني إليك ولا أحرى إرشاد دلي عليك وأقول:
ما قصرت همة بلنت بها بآبك إذا ألداء وألكرم
حسني بؤلك أن ظفرت به ذخراً ويزايا واحد الأهم

كتب أحمد بن أبي طاهر مع هدية:

٣٦٥

من سنة الأملالك فيما مضى من سالف الدهر وإقباله
هدية العبد إلى ربه في جدة الدهر وإجلاله
قلت ما أهدي إلى سيدي حالي وما خولت من حاله
إن أهدي نفسي فهي من نفسه أو أهدي مالي فهو من ماله
فليس إلا الحمد والشكر والمدح الذي يبقى لأمثاله
أهدت جارية من جوارى المؤمن تفاعلة له وكنت إليه:

٣٦٦ إني يا أمير المؤمنين لما رأيت تكافس الرعية في الهدايا إليك
وتواتر الطافهم عليك فكرت في هدية تخفف موتها وتهنئ كفتها
وتعظم خطرها ويحل موقعها. فلم أجِدْ ما يجتمع فيه هذا ألفت

وَيَكُنْ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاتُحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
الْمَدَدِ كَثِيرَةٍ فِي التَّعَرُّبِ. وَأَخْبَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَعْرَبَ لَكَ عَنْ
فَضْلِهَا وَأَكْثَفَ لَكَ عَنْ تَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا. وَمَا
قَالَتْ الْأَطْيَابُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى رَمَمَهَا بَيْنَ
الْجَلَالَةِ وَتَحَفَّظَهَا بِمُغَلَّةِ الصِّيَانَةِ. فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ: أَحْسَنُ
أَهْلِ الصِّكْمَةِ التَّفَاتُحَ أَجْمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْقِصَّةِ وَلَوْنُ التَّيْرِ. يَلْذُّ بِهَا مِنْ
الْحَوَاسِ السَّيْنُ يَهْجِنُهَا وَالْأَنْفُ يَرِيحُهَا وَالْقَمْرُ يَطْعُمُهَا

فصول في التنبؤ

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان:

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامُ حَرَّتْ فِيهَا الْمَادَّةُ بِالطَّافِ الْغَيْدِ السَّادَةِ. وَإِنْ
كَانَتْ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهَمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَلْبِغُ
مِقْدَارَ الْوَاجِبِ. فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَيَّامَ وَهِيَ:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي الْقَصَائِي تَبَارَدُوا فِي هَدَايَا الْمَهْرُجَانِ
جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقْبِيًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالْزَّمَانِ
وَعَبْدًا حِينَ تَكْرُمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنَّ لَا يَبْزُ عَلَى أَمْوَاجِ
نَيْلِكَ حِينَ تُطْغِيهِ خُصُوعًا وَيَرْضَى مِنْ تَوَالِكَ بِالْأَمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصارى سنة ٦٦٠ من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِ سَلَامَةِ اللَّهِ سَلَامُ اللَّهِ الطَّيِّبِ
وَأَتَمُّ النِّعَةِ عَلَيْهِ. وَصَلَّتْ إِلَيْنَا الْبَشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّيِّبِ

وَرَبِّهِ، وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصَّحْبَةِ فِي
جَنَّتِنَا أَقَابَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ. وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجَسَمِ وَطِبَةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعَيْشِ بِمَحَلِّهِ وَقُوَّتِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

في الترمذية

كتاب أبي بكر إلى يزيد ابن أبي سفيان

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعْفَ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبَ قَوْمَكَ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ. وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ.
فَإِنَّهُ مَا أَفْخَقَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نُصِرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ. وَإِذَا لَقِيتُ الَّذِينَ
كَفَرُوا رَحِمَةً لَأَتُوبُ لَهُمْ الْأَذْيَارَ. وَمَنْ يُولِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَّةً إِلَّا مَخْرُفًا
لِقِتَالٍ أَوْ مُخْتَبِرًا إِلَى وَتِي فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبِ اللَّهِ. وَإِذَا نُصِرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا أَوْلِيَاءَ وَلَا شِيخًا وَلَا أَمْرَةً وَلَا طِفْلًا. وَلَا تَقْرُبُوا الْخُلَا
وَلَا تَخْرِفُوا زُرْعًا. وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُشْرَأً. وَلَا تَغْرُبُوا بِهَيْبَةً إِلَّا
بِهَيْبَةِ الْمَأْكُولِ. وَلَا تَعْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا إِذَا صَالَحْتُمْ.
وَيَسْتَرْشِدُونَ عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهْبَانٍ تَرْهَبُوا لِلَّهِ قَدْعُوهُمْ وَمَا
أَنْقَرُوا إِلَيْهِ وَارْتَضَوْهُ لَا نَفْسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابن عبد الله

٣٧٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ. وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ. وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَرَاهُ. فَأَجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِنَا لِيَنَّا لَهُ . وَلَا أَعْمَالَ لِحَسَنَةِ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِنَا لَا خَلْقَ لَهُ (القيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتب بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ قَلْبُكُمْ لَكَ وَأَمْرُكُمْ قَلْبُكُمْ أَمْرُكُمْ .
فَيَا لَهَا نِعْمَةً إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُعْطِيكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَأَحْسَنَ
مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنْ أَحْتَرَايِكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ
سَقْطَةً لَا شَوْىَ لَهَا وَتُتْرَعَّرَ لَهَا لَهَا (أَيْ لَا إِقَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَمْرُكُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ مِنَ الْأَجْنَادِ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنْ تَعَوَّى اللَّهُ أَفْضَلَ الْمَدَةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَأَمْرُكُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ أَحْتَرَايًا مِنَ الْعَالِيَةِ
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنْ ذُنُوبَ الْحَيْشِ أَخَوْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عَدَدُنَا
كَعَدَدِهِمْ . فَإِنْ أَسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَكُمْ أَفْضَلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْهِمْ نَفْسُنَا لَمْ تَنْصُرْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَأَعْمُوا أَنْ عَلَيْكُمْ فِي سِيرَتِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَلْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللَّهَ أَلَمْ يَنْزِلْ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَتَرْفُقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا تَحْشَمَهُمْ مَسِيرًا تَعِيَهُمْ . وَلَا
تُقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلٍ يَلْقَى بِهِمْ حَتَّى يَلْقَوْا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّلَامُ يُعْصِرُ

قَوْمَهُمْ فَأَتَتْهُمْ سُلَيْمُونُ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ حَاجِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَامِ . وَأَقَمَ
عَنْ مَمْلَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً . حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يَجْئُونَ فِيهَا
أَنْفُسَهُمْ وَيَدْعُونَ أَسْبَحَتَهُمْ وَأَمْتَمَتَهُمْ . وَنَحَّ مَسَاكِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ
الضِّلَعِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ يَتَّقُ بَيْدِيهِ . وَلَيْكِنْ عِنْدَكَ
مِنْ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَعِيهِ وَصِدْقِهِ . فَإِنَّ
الْكَذُوبَ لَا يَتَقَمَّكَ خَبْرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلَيْكِنْ مِنْكَ عِنْدَ
دُؤُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَاغُ وَتَبْتَ السَّرَايَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذْكَ أَمْرًا سَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَيَقْطَعُ مِنَ الْبَيَاتِ جِهْدَكَ .
وَاللَّهُ وَبَى أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَبَى النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الدم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ لِلْمَعْرُوفِ طَرِيقًا أَوْعَرُ مِنْ طَرِيقِهِ
إِلَيْكَ . فَأَلْمَعُوفُ لَدَيْكَ صَانِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ . وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي
الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْفَرَهُ . وَفِي وَلِيهِ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب إلى المتأخية إلى الفضل بن من بن زائدة

٣٧٤ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي قَوَّسْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ
وَدَرَانِ الْحَمْدِ فَرَارًا مِنْ الْفَقْرِ وَرَجَاءً لِنَفْسِي وَازْدَدْتُ بِهَا بُعْدًا بِمَا
فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَفَرَّيَا بِمَا فِيهِ تَبَعَدْتُ . وَهَذَا قَسَمْتُ اللَّائِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
لَأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي . أَمَرْتُ بِالْإِلْسِ مِنْ

أَهْلُ الْبُحْلِ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنُهِيتَ عَنْ مَنَعَ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فَمَنَعْتُهُمْ .

فصل لايهم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذِّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرِّفُ
فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَجِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحُلِّ النَّفِيسِ وَأُزِلُّهَا بِالْمَنْزِلِ
الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الضَّمَةِ وَضَرَعَتِكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَوَكَّرَكَ
عِنْدَ الْإِسْتِنَاءِ وَأَطْرَحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى
أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطْعِكَ عِنْدَ مَنْ يَصْغَحُ أَمْرِي وَأَمْرُكَ بَيْنَ عَدْلٍ
لَا يَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى أَهْمِيحَ حَسَنًا

فصل في الكتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا عَاقِبِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ .
أَتَبَدَّأْتُ بِالطُّفِ عَنْ غَيْرِ خَيْرَةٍ وَأَعَقَبْتُ جَهْدًا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَالطُّفَئِي
أَوَّلَكَ فِي إِحَابَتِكَ وَأَيَّسِنِي آخِرَكَ مِنْ وَقَائِكَ . فَسَيَجَانُ مَنْ لَوْ شَاءَ
لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْرَأْ عَلَى اخْتِلَافٍ .
وَأَقْرَأْ عَلَى اخْتِلَافٍ

وله أيضا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَحْتَجِّجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِحَابَتِكَ
وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي مَلِكُكَ فِي قَوَائِرِ كُنُيِّ وَأَحْتِاسِ جَوَابَتِيهَا
عَنِّي . وَلَكِنْ أَلِيْمَةٌ بِنَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعْدِرُكَ وَتَحْسِنُ مَا يُعْجِبُ جَهْدَكَ .
وَاللَّهِ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلِنَا بِكَ

صل لابن المنذر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابَكَ أَلَمَّحُ بِالْعَبَابِ الْجَمِيلِ وَاتَّقِرِمِ الطَّيْفَ
فَلَوْلَا مَا غَابَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَمَطَمْتُ عَمَّا بَعَثَكَ إِلَيَّ
لَطَفٌ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْقَطِئَةِ . وَعَلَّظَ حَتَّى كَادَ يَهْمُهُ
أَهْلُ الْجَلِيلِ وَالْبَلَدِ . فَلَا أَعْدِمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيَا بِهِ عَلَى مَا اسْتَحَقُّهُ
عَنِّيكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعَتَابُكَ لِي الْخُرُجُ مِنْهُ (لابن عبد ربه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنْ أَلْفُضَلْ بِنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِذْ مَنِ اللَّذَاتِ عَنْ
النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرِّعِيَّةِ

فلما قرأه الرشيد روى به الى يحيى وقال له : يا بني اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه بما يردك
عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفَظَكَ اللَّهُ يَا بَنِي وَأَمْسَحَ بِكَ . قَدْ أَتَيْتَنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوِمَةِ اللَّذَاتِ عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
الرِّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ قَعَاوِدُ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَأَنْتَ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَرِيهِ أَوْ
يَشِيئُهُ لَمْ يَبْرَفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن حلكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أنشد بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكُتِبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنَاتِ الْخِلَافَةِ
بِفَرَكْلَامِ الْإِمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَارِلُ الْهَوَى
وَالرَّأْيِ لِلتَّائِبِ الْخُلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّمَا بَلَّغَنِي هَدِيلٌ مَا كُتِبَتْ بِهِ
لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَرَكَاةُ. وَقَدْ كَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا قَدَّرَهَا :
 وَكَوَلْتُ الْهَوَلَ مَا لَمْ تَلْقَ فُرْصَتَهُ جَهْلَ رَحْمِي بِكَ بِالْإِفْهَامِ تَغْيِيرُ
 أَهْوَنِ بِدُنْيَا صِيبِ الْخَطُوبِ بِهَا حَظُّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَرْوُودُ مَرْوُودُ
 قَازِرِغِ صَوَابًا وَخَذَ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ قَلَنْ يُدَمُّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَذْيِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذِي الْأَلْبَابِ مَذْذِيرُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ قَفِزْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَاتِهِ الْمَقَادِيرُ

فصول في اللدح والشكر

فصل لحمد بن الجهم

٣٨١ إِنْكَ لَزَيْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَتَابِعَهَا
 وَشَهَرْتَ بِحَاسِنِهَا . فَتَنَاقَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَتَدَرُونَ وَذَكَ
 وَيَتَسَكَّرُونَ بِحِيلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عَيْنُكَ وَدَا وَضَعَ حَلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المبرور :

٣٨٢ إِنْ جَمِيعَ أَكْثَابِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ أَفْضَلَ فَإِذَا اتَّهَمُوا
 إِلَيْكَ أَقْرَأُوا لَكَ . وَيَتَنَاقَسُونَ الْمَسَازِلَ فَإِذَا بَلَّغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ .
 فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلَنَا مِنْ بَقَلِهِ رَأْيُكَ . وَيَعِدُّهُ
 اخْتِيَارَكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِفِ بُمَوَاقِفِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) . إِنْ مِمَّا يُطْمَعِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
 بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَائِحِهَا لَدَيْكَ أَنْتَ أَخَذْتَهَا بِحَبْطِهَا وَأَسْتَوْجِبْتُهَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْسَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَأَوَّمْ . وَكُلُّ فَيْءٍ يَصْلُقُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيُخِنُّ إِلَى عُنْصَرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مَنَّتَهُ وَرَزَلَ فِي مَغْرِبِهِ ضَرْبَ بَعْرِقِهِ وَسَبَقَ بَعْرِعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةِ وَتَمَكَّنَ تَمَكَّنَ الطَّيْمَةِ

فصل لآلئ مكرم

٣٨٣ أَلْسِفُ التَّيْقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَقَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَمُودَ جِدَّتُهُ وَيُظْهَرَ فِي نَدَاهُ لآلِئُ طَلِيسِيهِ وَكَرَّمَ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَيْرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) قَالَ :
زَادَ مَرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَيْرٌ
تَذَنَّاسَاهُ كَانَ لَمْ تَأْتِيهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للتالي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمَسْدُودِ بِهِ تَأْلَهُمُ الْعُجْدُودُ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْحَيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ كُنْتِ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ أَعْلَامُ مَنْ كُنْتَ سَالِكُ
سَبِيلِهِ . وَلَا أَنْصَحْتَ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التمازي

فصل لسبوين بحر الملاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمَاسِيَّ فَبَلِّكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَأْجُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ آخِرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ الْغَزَاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَّعِزْ بِغِزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وله) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ يُعْبَهُ الْأَجْرُ وَالْخَيْرُ يُعْبَهُ الْمُلْكُ . فَتَمَسَّكَ بِحَبْلِكَ مِنَ الصَّبْرِ تَمَلَّكْ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتَذَرِكْ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (لاين عبد ربه)

كتب ابن السكك الى هارون الرشيد يعزوه بوليد :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَقْمِلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَرَزَّ لَكَ هَيْبَتَهُ . وَتَوَبَّقِي بِمَنْ تَسْلَمُ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَهَفُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ أَلَدَارَ
لِنَفْسِكَ قَرَضَاهَا لِأَتْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكُدْرِ وَبَقِيَ أَنْتَ
مُتَعَلِّمًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامُ (الكثر المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المتصور على اخيه لي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ تَوَابَ مَا رَزَدْتَ بِهِ لَكَ أَمْراً . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْراً .
وَخَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَةٍ . فَتَوَابُ اللَّهِ خَيْرُ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ
رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْإِعْتِمَادِ بِمِلَّتِكَ حَالَ الْمَشَارِكِ
فِيهَا إِنْ يَأْتِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلَى أَجْمَعُ عَلَيَّ مِنْهَا آتِي
مُخْصَرُوسٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَمِّلٌ مِنْهَا بِمَا يَوْزُلُكَ . فَأَنَا عَليْلٌ مُصْرُوفٌ أَلْعَانِيَةِ
إِلَى عَليْلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يَخْصِنِي بِمَا فِيكَ فَلَهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنْ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمَدَاقِفَةِ عَنْ حَوَائِكَ .
قَالَتْ إِنْ الْحَقُّ قَدْ سَطَعَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لَا تَنِي عَلَيَّ يَمْلِكُ لِقَامِ
بَذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَارِدٌ فِي حَالِي لَمَسِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وفاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طارق يوصي ابنه في الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطُهُ يَسِينِي وَفَرَعَتْ لَهُ ذَهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْقِعًا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبَلَ الْمَذَرَفَهَا وَأَقْصُرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَكَسَبَهُ وَصَفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسُطُ يَدَيْهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بَيْنَ كُتُبٍ لَهُ وَأَتَى بَيْنَ كُتُبٍ إِلَيْهِ . وَلَكِنْ يُضِيعُ بَيْنَ
الْثَمَةِ وَالنَّائِيَةِ شَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فَلَنْ قَدْ اسْتَعْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِي إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةً لِلْمَضُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةً إِلَى مُصْطَنِعِهِ . فَسَطَّ اللَّهُ
بِكَ بِالْخِيَرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَلَهَا . (وَلَهُ) : مُوَصَّلٌ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ مُشَاهِدَتِي وَخَلَّتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصُرَتْ فِيهِ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

أَلْبَابُ الْعُشْرُونَ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ

قُلْتُ فِي أُمَّةِ الْعَرَبِ وَطِبَاعِهِمْ وَسَكَاتِهِمْ

٣٩١ عِلِمُ أَنَّ الْعَرَبَ مِنْهُمْ الْأُمَّةُ الرَّاحِلَةُ النَّاجِيَةُ : أَلْيَامُ
لِسُكْنَاهُمْ وَأَلْيَلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَتَوَمَّنُونَ عَلَيْهَا وَيَتَأَوَّنُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَخَذُونَ الدَّفَّ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَسْمَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَنْعَامَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ جَلَلًا مَقْتَرَةً وَيَتَفَنُّونَ الرِّزْقَ فِي
غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ الْقَصَصِ وَيَخْطُبُ النَّاسُ مِنَ السُّبُلِ . وَيَقْبَلُونَ
دَائِمًا فِي الْمَجَالِاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَةِ الْقَيْظِ نَارَةً وَصَبَارَةً الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأَنْتِجَاعًا لِمَا رَاعِي عَنْهُمْ . وَأَرْيَادًا لِمَصَالِحِ إِيْلِهِمْ الْكَفِيلَةِ بِمَنَاسِبِهِمْ وَحُلِ
أَنْعَامِهِمْ وَدَقِيقِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَانْتَحَصُوا لِذَلِكَ يَسْكُنِي الْإِقْلِيمُ الثَّلَاثُ .
قَعَمُوا بِالْبَيْنِ وَالْحِجَازِ وَتَحْدَا وَتَهَامَةً وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِاخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْأَلْبَابِ بِالرَّمَالِ وَالْقَعَارِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْإِلَهَةِ بَيْنَ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأَنْعَامِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ . وَزُخْرُفِ الْأَرْضِ لِرُغْبِي الْأَكْلَانِ وَالْعُشْبِ
فِي مَتَابِعِهَا وَالتَّشَلُّلِ فِي تَوَاجُعِهَا إِلَى فَصْلِ الصَّيْفِ لِمُدَّةِ الْأَقْوَاتِ فِي
سَتْنِهِمْ مِنْ جُوبِهَا . وَرَبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلُ الْعُمَرَانِ أُمَمَاءَ ذَلِكَ مَرَّاتٍ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّابِلَةِ وَرُغْبِي الرِّزْقِ مُخْتَصِرًا وَأَتْمَتَانِهِ قَائِمًا وَحَصِيدًا .
وَالْأَمَّا حَاطَتُهُ الدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ الْحَاطِيَةُ فِي الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلشَّاطَرَانِ عَلَيْهِمْ

فيها. ثُمَّ يَتَّبِعُونَ فِي فَصْلِ الْحَرْفِ إِلَى الْقَارِ لِرَمِي تَجَرُّهَا وَتَنَاجِ
إِلَيْهِمْ فِي رِمَالِهَا وَأَلْحَاطِ بِهِ عَمَلَهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا. وَفَرَارًا مَا نَفْسِهِمْ
وَعَظَمَانِهِمْ مِنْ أَدَى الْبَرْدِ إِلَى دَفْءِ مَشَاتِبِهَا. فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
صَاعِدِينَ وَمُنْخِدِينَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ. شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخِطِّ فِي الثَّلَاثِ
وَلُبْسُ الْعِمَامَةِ تِيْبَانًا عَلَى رُؤُسِهِمْ. لَقِنُوا مِنْ أَمَمِ الْبَرْدِ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ
أَحْتِمَالُ الرِّمَاحِ الْخَطِيطَةِ وَهَجْرُوا تَتَكَبَّ الْقِسِي (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقسيمهم

٣٩٢ قَالَ الطَّرِيزِيُّ: اختلف في نسبهم وقيل إنَّ أَسْمَهُمْ أَشَقُّ مِنْ
الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبُ الرَّجُلُ عَمَّا فِي صَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ. وَالْأَصَحُّ
أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فِيهِ مِنْ نَهْمَةٍ وَدُعِي جِيلُهُمْ جِيلُ الْجَاهِلِيَّةِ لِأَنَّ
كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَلِيلِ بِاللَّهِ وَشَرَّاعِ الدِّينِ وَالْكِبَرِ وَالْقَبِيرِ. وَقَدْ
قَسَمَ الْمَوْرُثُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَهْصَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتَعَرِبَةٍ وَمُسْتَعَرِبَةٍ.
أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهُمْ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
لِتَعَادُلِ عَهْدِهِمْ. وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرِبَةُ فَهُمْ عَرَبُ الْبَلَدِ مِنَ وَلَدِ قُطَّانٍ.
وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرِبَةُ فَهُمْ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الأرب للتوري)

أخبار العرب العاربة والبنانة وهم القسم الأول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ هُمْ عَادٌ وَثَمُودٌ وَطَسَمٌ وَجَدِسٌ وَجَرُّهُمْ
الْأَوَّلَى. وَقَدْ نَسِيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَانَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ نَبِيْ أَهْلُ هَذَا الْجِيلِ
 الْمَارِيَّةَ إِمَّا يَمْتَنِي الرِّسَاخَةَ بِالْمَرْوِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلُ الْبَلِّ وَصَوْمُ
 صَائِمٍ أَوْ يَمْتَنِي الْقَاعِلَةَ لِلْمَرْوِيَّةِ وَالْبَيْتِيَّةِ لَهَا عَمَّا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأَوَّلَى بِأَخْصَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى خَضْرُمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنْ
 الْغَرَبِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَادُ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْمَهَالِكِ وَاسْتَوَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْتَانِ أَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْغُرَى فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَنْتَوُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يَصْبِرُوا إِلَى دَعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي النَّارِ

وَأَمَّا جَدِيسُ وَطَسَمُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةُ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ
 أَنْحَسِبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَأَكْثَرَهَا قَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ عَشُومًا مُعَارًا الْجَدِيسِ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلَهُ عِدْلَهُ
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأَوَّلَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلَمَّا دُمِ انْقِرَاضُهُمْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَانْقَطَعَتْ عَنْهُمُ أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَنْبَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةِ

فَلْيَسْأَمِ الْبَانِدَةُ بَلْ هُم مِّنْ وَلَدِ قُحْطَانَ وَهِي أَمَّصَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِدْرِهِيمَ

العرب المتربة بقحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَهِي هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَرَبَّةُ لِقُرُونِهِمْ بِالْبَادِيَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَرَبِيَّةِ وَتَحَلُّفِهِمْ بِأَخْلَافِهِمْ . وَهُم بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالِحَ بْنِ
أَرْغَشَةَ بْنِ سَامَ . وَقُحْطَانَ هَذَا مُرَبٌّ يَهُطَانُ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ الْيَمَنِ وَلَيْسَ التَّلَاحُ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُتَسَرِّينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَبِيَّةِ وَمُطَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي جِبَالَاتِ الْبَادِيَةِ مُبْعِدِينَ عَنْ رِثْيَةِ الْمَلِكِ وَرَضِيهِ
الَّذِي كَانَ لِأَوَّلِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَجَاهِدٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ الْتَرَفُ
وَالْتَضَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَصَا فَصَا لَهُمْ وَتَمَدَّدَ فِي جَوِ الْقَمَرِ
أَخْصَانُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَهِيَ عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَالَمَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَادَهُمْ بَيْنَاكِيَهُمْ وَأَسْتَجِدُّوا خَلْقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عِرْيَتِهِمْ . وَكَانَتْ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لَا بَنَ خَلْدُونَ)

ملك يرب ويسحب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَرْبُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعَاظِمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَلِاسْمِي بَيْنَاوِيهِ
تُمِيتُ الْيَمَنَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَيْبَتُ اللَّعْنِ وَأَنْعَمُ صَبَاحًا .
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :
تَلَّمْتُ مِنْ مَنْطِقِ الشُّعْبِ يَرْبُ أَيْبَتَا قَصْرْتُمْ مُعَرِّبِينَ دَوِي نَفَرٍ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامُ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَمَرِ

وَمَلَكَ بَعْدَ يَرْبَ أَبْنَاهُ يَشْجِبُ . وَكَانَ وَاهِي الزَّيْمَةِ وَأَسْتَدَّ أَعْمَالُهُ بِمَا
فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ أَبْنَاهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَكَثُرَ
الزُّرُوفِي أَقْطَارُ الْإِلَادِ فَسَمِّيَ سَبَاءً وَكَانَتْ قَاعِدُهُ مَلِكُهُ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
وَمِنْ مَدِينَةِ مَارِبَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاكِلَ مِنْهَا (للتويزي وابن الأثير)

سَدَّ مَارِبَ وَتَفَرَّقَ بَنِي سَبَاءَ

٣٩٦ فَبَنَى سَبَاءُ فِي مَارِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصُّغْرِ وَالْقَارِ فَحَنَ
بِهِ مَاءَ الْغُيُورِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
عَلَى قَدَرٍ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَفِينِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الذَّرَمُ وَمَاتَ
قَبْلَ إِقَامِهِ فَأَتَتْهُ مَلُوكُ حِمَرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي حِجَابِهِ عَنْ الْيَمِينِ
وَالشِّمَالِ . وَدَوَّلَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتَرَفُ وَأَبْذَخُ وَأَعْلَى يَدَا
وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَعَنُوا وَأَعْرَضُوا أَخْفَضَهُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَابَهُمْ وَخَرَبَتْ
أَرْضَهُمْ وَتَفَرَّقَ مَلِكُهُمْ . وَصَارُوا لِحَادِيثٍ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّابِعَةُ مَلُوكًا عِدَّةً
فِي عَصُورٍ مُتَعَاوِيَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْطَبْهُمْ الْحَصَرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَجَاوِزُونَ مَلَكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنْ
الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ .
فَلَنَابَ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُمْخَرًا بِجَهْدِ الْإِسْطَاعَةِ عَنْ طُمُوسٍ مِنَ الْهَمْرِ وَأَقْفَاءِ
الْقَائِدِ لِلرُّجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأَصُولِ الْمُسْتَدِّ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةٍ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَاءَ مِنَ الْوُلَدِ كَثِيرٌ وَأَشْهُرُهُمْ
حِمِرٌ وَعَمْرُوٌّ كَهْلَانُ فَبَغَزَى التَّابِعَةُ إِلَى حِمَرَ وَالْمُنَادِرَةُ إِلَى عَمْرٍو وَيَتَّبَعِي

النَّسَائِيَّةُ إِلَى كَهْلَانٍ . وَنُورِدُ بِالْخِيَصِ أَخْبَارَهُمْ (لَا بَنَ خَلْدُونَ)

ملك التباة بني حمير في اليمن

ذكر حمير وشأنه ومع الأول

٣٩٧ قَالَ السُّعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمَلِكِ الْيَمَنِيِّ تَبَاةً لِأَنَّهُ يَبِيعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا هَلَكَ وَاجِدٌ قَامَ آخَرُ . وَلَمْ يَكُونُوا يَسْمُونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ يَبِيعُ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيُّ وَالشَّجَرُ وَحَضْرَتٌ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ مِنْ هَذَا قَبَسِي مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ نَبِيعٌ . وَأَمَّا جَبْرِ هَذَا يُزَفُّ أَيْضًا بِالرَّحْمِجِ (٤٣٠ ق ١ م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَجَّجَ بِالنَّبِّ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنُو وَائِلُ . وَلَمْ يَذَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَدَادٍ فَغَزَا الْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبْقَى الْأَنْارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حَمِيرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ نَبِيعُ الْأَوَّلِ وَفِي يَدِهِ التَّبَاةُ . وَقَدْ لَقِبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِشِ لِأَنَّهُ رَأَسَ النَّاسَ بِالْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَايِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالنَّائِمِ (حِزْمَةُ الْأَصْهَانِي)

ملك الفريس وذو الازعار وشرجيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةَ ذُو الْمُنَارِ ثُمَّ أَفْرِيسُ (١٠٩٨ ق ١ م) وَذَهَبَ يَبْقَا إِلَى الْمَغْرِبِ إِلَى أَفْرِيقَةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقِ الْبَرِّيَّةِ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَعْنَانَ فَأَنْزَلَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمِيَ الْبَرِّيَّةَ بِهَذَا الْأَسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَابَتَهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ رِيحَتَهُمْ . فَسَمَوْا الْبَرِّيَّةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَقْرِئِسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَمُوتُ بَوَصَاةِ أَبِيهِ أَرْهَةً وَكَانَ أَلْسَدُهُ عِنْدَ وَقَاتِهِ .

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جَلْتَ وَصِدِّي إِيَّاكَ فَانْصَظْهَا فَإِنَّكَ تَرُشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَعْنَى إِلَّا الْمَعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي النَّالِي بِوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا حَالَةَ يُحْصَدُ
وَلَمَّا ذُعِرَتْ حَمِيرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَدَتْ الْمَلِكَ شَرْحِيلَ .
فَجَرَى بَيْنَ شَرْحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
وَأَسْتَقَلَ شَرْحِيلُ بِالْمَلِكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ الْهَذَا . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس واثار النعم وثمر مرعش ومزينا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةَ الْهَذَا وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَفَدَتْ
عَلَيْهِ بِنَقِيسَ الْهَدَايَا وَبَقِيعَتِ فِي مَلِكِ الثَّيْنِ عَشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمَلِكِ مَالِكُ نَاشِرِ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَدْ أَغْنَاكَ رَعِيَّتُهُ أَطْوَأَ الْإِنْعَامِ وَأَثْنِ
وَسَادَ قَازِيَا إِلَى الْغَرْبِ فَلَمَحَ وَادِي الرَّمْلِ وَلَمْ يُجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكَثْرَةِ
الرَّمْلِ وَعَبَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَلَمٌ بِرَجْعِهِ . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ نُصِبَ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ السَّنْدُ : هَذَا الصَّنَمُ لِناشرِ
النِّعَمِ الْخَيْرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيُعْطَبُ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ سَمُرُ مَرْعَشِ ثَمِي بِذَلِكَ لِأَرْثَاشَ كَانَ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبِيعُ الْآخَرِ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَايَعَةِ ذُو الْمَغَارِي

وَالْأَنْدَالُ الْعَبْدَةَ. فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ بَكَاءَ فِي الْأَعْدَاءِ.
وَأَبْلَغِهِمْ مَنَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَقَارِسَ وَغَرَّاسَانَ أَهْجَعَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّفْدِ وَرَأَى
جَيْشُونَ. فَهَاتِ الْعَجْمَ سَمَرَ كَذَّيْ سَمَرَ خَرَّبَ. وَبَنَى مَدِينَةَ هُنَالِكَ
فَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ هَذَا وَغَرَّبَهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمَرْقَنْدَ. وَتَخَصَّصَ مِنَ الْبَنِينَ
غَازِيَا وَصَرَّ بِالْخَيْرَةِ فَخَيَّرَ عَسْكَرَهُ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَنِينَ وَهَاجَهُ الْمُلُوكُ
وَهَاجَ نُوهُ. وَأَخَذَ بَيْنَ الْيَهُودِ يَبَاغِرَادَ بَعْضَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ. ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ قَارِسَ قَوَطًا أَلْمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمِدَ إِلَى
الصِّينِ. قَالَ النَّوْزِيُّ: وَكَانَ لِلْمَلِكِ الصِّينِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَاسِ سَامِي أَمِيَّةٌ. فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ الْمَلِكِ الْبَنِينَ جَدَعَ أَنْفَهُ وَخَقَّ بِأَيِّ
كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنَ الْمَلِكِ الصِّينِ. وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرِبَ عَلَى خَلِّ يُمْكِنُهُ الْفُرْصَةُ لِإِلْقَاءِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا. فَسَرَّ
بِهِ تَبَعٌ وَنَالَتْ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ. فَتَهَضَّبَ الْوَزِيرُ بِمَجِيشِهِ وَهُوَ
يَقْدُمُهُمْ حَتَّى أَتَاهُ بِهِمْ إِلَى أَرْضِ سَجِيَّةٍ. فَوَعَّلُوا فِي قُلُوبِهِمْ سَجِيَّةً
لَأَمَاءٍ فِيهَا فَأَجْبَدَهُمُ الْمَطْنُ فَهَلَكُوا. ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ. وَتَلَقَّيْتُ الْمُلُوكَ عَلَى الْبَنِينَ دَهْرًا طَوِيلًا
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيًا. لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ حَوْلَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فَزُقَتْ لِلْأَجْنَدِ
أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ. وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ق م).

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ اَنْفُسَهُمْ وَغَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَقَرَّبَتْ اَلْقَابِلُ الْخَاجِرَةَ لَهُ اَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسدودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجوان

٤٠٠ ولم تزل تتوالى الملوك على جبر حتى صار الملك إلى ذي نواس.
(٤٨٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نَوَاسٍ هُوَ ابْنُ ثُبَّانٍ
أَسْعَدَ وَأَسْمُهُ زُرْعَةُ. وَأَنَّهُ لَمَّا تَلَبَّ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّابِعَةِ لِسَمِيِّ
يُوسُفَ وَتَصَبَّ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْإِيمَنِ. فَاسْتَجَمَعَتْ مَعَهُ
جَمِيعٌ عَلَى ذَلِكَ. وَأَرَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَتَّبِعُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ. وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَأَسْتَقَامَةٌ عَلَى أَهْلِ حُكْمِ الْإِسْلَامِ.
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِسٍ. وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْخَوَارِجِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَمَّطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ الشَّعْبَةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ. وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِدًا لِلدَّعْوَةِ
وظَهَرَ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى. وَكَانَ يَطْلُبُ الْخُلَاءَ عَنْ
النَّاسِ جَهْدَهُ. وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنَ الْإِمْنِ كَسَبَ يَدَهُ وَيُعْظِمُ يَوْمَ الْأَحَدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا. فَهَظُنَ إِشَانُهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحُ
عَلَزِمَهُ وَخَرَجَا قَارِنَيْنِ بَأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِلَادَ الْعَرَبِ. فَاخْتَصَمَتْهُمَا
سَيَّارَةُ قَبَاعُوهَا نَجْرَانُ. وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَتَّبِعُونَ
فَحْلَهُ لَهُمْ طَوْلَانَهُ وَيُحْفُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّمْ وَثِيْبِهِمْ
وَيَعْبُكُونَ عَلَيْهَا أَيْامًا. وَكَانَ قَدْ اتَّبَعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَاتَّبَعَ

مَالًا آخَرُ. فَكَانَ فَيُؤْنُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتِ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
 سَيِّدُهُ اسْتَسْرَجَ لَهُ أَلَيْتُ نَوْرًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مَصْلَحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
 الصَّبَاحُ. فَأَتَجِبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ. فَأَخْبَرَهُ بِهِ
 وَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَصُرُّ وَلَا تُقَعُّ. وَلَوْ
 دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَنْدُ لَهُ. فَقَالَ لَهُ
 سَيِّدُهُ: أَقْبَلْ فَإِنَّكَ إِذَا قَمَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا مَنَعُ
 عَلَيْهِ. فَلَمَّا فَيُؤْنُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَمَعَتِ النَّخْلَةَ مِنْ أَصْلَاهَا. وَأَطْبَقَ
 أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَى أَتْبَاعِ دِينَ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ.
 وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيُؤْنُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْتَمِعُ مِنْهُ شَرَائِعَ
 النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى هَمَّ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ وَالْمُخِزَاتُ وَدَانِ
 الْكُلِّ يَدِينَهُ. فَسَادَ إِلَيْهِمْ ذُو نَوَاسٍ يَحْنُوْدِيَّةً وَأَسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ: أَفْسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي
 وَدِينَ آبَائِي. ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُتِّلَ وَعَرِضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ أَقْبَلَ فَلَمْ
 يَزِدْهُمْ إِلَّا جَاهًا. فَحَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَاذِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ أَمْتَمَّعَهُمْ.
 فَجَمَعَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ: إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْدِفَكَ فِي
 النَّارِ فَيَقُولُ: مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي لِشَيْءٍ فَيَقْدَفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ. فَبَقِيَتْ
 أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِي رَضِيعٌ عَمْرُهُ سَبْعَةُ أَشْهُرٍ فَجُرِعَتْ وَتَمَيَّتْ. فَقَالَ لَهَا
 النَّارُ: يَا أُمَامَةُ لَا تَنَاقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ.
 فَأَحْرَقَتْ. وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نَوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عشرين ألفاً أو يزيدون . وأقلت منهم وجل من سبأ يقال له دوس ذو
 ثلثان فسلكت الرمل على فرسه فأعجزهم . فقدم على قصر صاحب
 الروم يستصره على ذي نواس (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فبعث قيسراً إلى ملك الحبشة يأمره بصره . فجاءته السفن
 وأجاء فيها السراكر من الحبشة وأمر عليهم أرباط رجلاً منهم . وعهد
 إليه بقتلهم وسبيهم وخراب بلادهم . فركبوا البحر وركلوا ساحل
 اليمن فلقبهم ذو نواس فبين معه فأنهزم . فلما رأى ذو نواس ما رآه به
 ويقومه وجهه يقرسه إلى البحر وقاض صحف صاحبه . ثم أقضى به إلى
 غمرة فألقه فيها فكان آخر الهدى به وأنقض أمر التباينة .
 (٥٢٩ ب م) ووطئ من ثم أرباط اليمن بالحبشة وأذل رجالات
 خير وهدم حصون الملك . ثم انتفض على أرباط أريهة أحد رؤساء
 جيشه وجذب معه رعاا الحبشة وعصى أرباط ودعاه للحرب فأتوا
 إلى أرباط عظماء الحبشة وعطاريهم فاقبلوا . فحمل أرباط على
 أريهة وعلا وجهه بالحرية فشرم أنفه وبذلك لقب بالاشرم . وحمل
 أريهة على أرباط بالسيف وعلا به رأسه فأسرع السيف في دماغه
 وسقط عن جواده . قالوا حينئذ جميعاً وصاروا مع أريهة وأقاموه ملكاً .
 وكان أريهة رجلاً قصيراً حادراً حليماً دحداً ذا دين في التصراية .
 فبني بستاناً إلى جانب عُمَدَان كنيسته محكمة العمل وسماها

الْقَلْبِ (٥) فَأَتَشَرَ خَيْرُ بَنَاءٍ هَذَا أَلَيْتَ فِي الْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَرْبَعُهُ
(٥٧١ ب م) مَلَكَ مَكَانَهُ أَبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَأَسْتَحْلَ مَلِكُهُ
وَأَذَلَّ حَمِيرَ وَقَبِيلَ الْكَيْنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومُ فَهَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ مِيرَاثُهُ وَكَثُرَ عُسْفُهُ (لَا ذَرْقِي)

اخيار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَلَمَّا طَالَ أَلْبَلَاءُ مِنَ الْجَبَشَةِ عَلَى أَهْلِ الْكَيْنِ خَرَجَ سَيْفُ ذِي يَزْنَ
لِحَمِيرِيٍّ مِنَ الْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبَ أُولَئِكَ الْمُلُوكُ . وَبِإِلَالِ
الدَّوْلَةِ الْوُفُضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَبْصَرِ (بُوسْتِنِس) لِيَسْتَعِجِدَ عَلَى
الْجَبَشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْجَبَشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كَسْرَى
وَقَدِمَ الْحِيرَةَ عَلَى الثُّعْمَانِ بْنِ النُّذَيْرِ عَامِلِ قَارَسَ عَلَى الْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَأَسْتَمَعَهُ الثُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
كَسْرَى وَأَوْقَدَ مَعَهُ وَسَالَهُ النَّصْرُ عَلَى الْجَبَشَةِ وَشَاوَرُ أَهْلِ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي مُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسَهُمْ لِلْقَتْلِ . إِيْبَهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(٥) وَكَانَ الْقَلْبُ مَرِيئًا مَسْتَوِيًّا قَرِيبًا وَجِوْلًا طَوِيلًا فِي الْبَهَاءِ سَتَيْنِ ذَرَاكَ وَحَوْلَهُ
سُورٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَلْبِ مِائَتَا ذِرَاعٍ مَطِيفٌ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَجِوْلٌ بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ حِمَارَةٌ
تَسْمِيهَا أَهْلُ الْبِلَادِ الْجُرُوبَ مَقْفُوتَةٌ مُطَابِقَةٌ لَا يَدْخُلُ بَيْنَ طَبَاقِهَا إِلَّا رَجُلٌ مَطْبُوعٌ بِهِ . وَكَانَ
أَلْفُ بَابٍ مِنْ تَحْتِهَا يَقْضِي إِلَى بَيْتٍ فِي جَوْفِ طَوْلِهِ ثَمَانُونَ ذَرَاكَ فِي أَرْبَعِينَ ذَرَاكَ مَلَقَى الْمَعْلُ
بِالسَّاحِ الْمَقْفُوشِ وَسَامِيرِ الذَّهَبِ وَالْقَفْصَةِ وَعَقْدُهُ مَضْرُوبَةٌ بِالْفَيْسَاءِ شَجَرَةٍ بَيْنَ أَضْغَاثِهَا
كُرَاكِبُ الذَّهَبِ ظَاهِرَةٌ . ثُمَّ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى قَبْضَةٍ جُدْرَانُهَا بِالْمَيْسَاءِ وَفِيهَا صُلْبٌ مَقْفُوتٌ
بِالذَّهَبِ وَالْعَصَى وَفِيهَا رُخَامَةٌ مَا يَلِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ مِنَ الْبَلْقِ مَرِيئَةٌ تَمُشِي عَيْنَ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنْ
بَطْنِ الْقَبْصَةِ . تَوْدِي ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِلَى دَاخِلِ الْقَبْصَةِ . وَكَانَ تَحْتَ الرُّخَامَةِ مِثْرٌ مِنْ خَشَبِ
الْجَنْجِ وَهُوَ الْأَبْيُوسُ مَقْصَلٌ بِالْمَاجِ وَدَرَجُ الْمِثْرِ مِنْ خَشَبِ السَّاحِ مَلْبَسَةٌ ذَهَبٌ وَفَضَةٌ (لَا بِنَاحِي)

الَّذِينَ أَرَدْتُمْ وَإِنْ مَلَكُوا كَانَ مُلْكًا أَرْزَدْتُمْ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَحْصُوا
 ثَمَنَاتِهِمْ وَقَدِّمُوا عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَكَبِيرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
 وَهَزْرُ الدَّيْلَمِيِّ . فَوَاقَعُوا لِلْعَرَبِ وَأَمْسَ وَهَزْرُ ابْنِهِ أَنْ يُبَاوِسَهُمْ أَلْقِيَالُ
 فَهَتَوْهُ وَأَخْطَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مُلْكَكُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فَيْلٍ عَلَيْهِ
 نَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَأْقُوتهُ خَرَاهُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَلَبَتْ أَلْيَا قُوتهُ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِ وَتَمَلَّلَ فِي دِمَاعِهِ وَتَكَسَّرَ عَنْ دَاخِلِهِ وَدَارَاهُ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنْهَزَهُمُ الْحَبْشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مُلْكِهِمْ فِي الْيَمِينِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَتْهُ مِنْهُمْ
 أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَأَنْصَرَفَ وَهَزْرُ إِلَى كِسْرَى
 بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَفَا عَلَى الْيَمِينِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسِ صَحْبِهِمْ إِلَيْهِ . عَلَى
 فَرِيضَةٍ يُودِيهَا كُلُّ عَامٍ . وَجَمَلُهُ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَرْزَلُهُ بِضْعَانِ .
 وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَتَزَلَّ قَصْرُ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُمْدَانِ .
 يَهَالُ إِنْ أَصْحَاكَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْيُوبِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
 عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوكَبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْقَفَ
 لَدَى يَزْنَ الْمَلِكُ جَمَلَ يَتَسَفَّ الْحَبْشَةُ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
 الْقَلِيلُ جَمَعَهُمْ حَوْلًا وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَائِيرَ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْجَرَابِ .
 فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنْ النَّاسِ رَمَوْهُ
 بِالْجَرَابِ فَهَتَوْهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمِينِ وَأَتَتْهُرَتْ عَمَالَهُ إِلَى أَنْ
 كَانَ آخِرُهُمْ بِأَذَانٍ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمِينُ لِلْإِسْلَامِ (لَا بِنَ خَلْدُونَ)

خبر الملوك المتأخرة بني كهلان في العراق
تلك ملك بن فهم وجنية اليرش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجليل الأول فلم يصل إلينا
تفاصيلها وشرح حالها. إلا أنه لما حدث سيل العرم تفرقت عرب
أئمن من مدينته مأرب إلى العراق والشام. فكانت تنوخ وقضاعة
وهما حيان من أحياء الأزد من بني كهلان يمتن تنوخ إلى العراق.
فقال ملك بن فهم الأزدى لملك بن القضايعي: نقيم بالبحرين
ونتحالف على من نؤا فتقاتلوا. فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك
الطوائف فظفروا إلى العراق وعلوها طائفة من ملوكها وهي ساغرة
فخرجوا عن البحرين وسارت الأزد إلى العراق مع ملك بن فهم
الأزدى. وسارت قضاعة إلى الشام مع مالك القضايعي

٤٠٤ وأول من ملك على تنوخ في العراق ملك بن فهم (١٩٥ للمسيح)
وكان مثله بالأنبار فقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل
وهو لا يعرفه. فلما علم أن سليمة رمايه قال:

حراني لأجزأه الله خيرا سليمة إنه شر أجزاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فآظ وهرب سليمة ثم ملك من بعد ملك
جذيمة الأبرش (٢٥١ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المعارف شديد
النكابة ظاهر الحزم. وهو أول من غزا بالخيوش وشن الغارات على

قَبِيلُ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ رِصٌّ فَأَكْبَرَهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تُنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ
فَسَمَّاهُ جَذِيَّةَ الْأَيْشِ وَجَذِيَّةَ الْوَضَّاحِ . وَاسْتَوَلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
الْحَيَّةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَارَ الثَّرَى الْمُجَاوِرَةَ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يَجْمَعُ
أَمْوَالَهُمْ . وَغَزَا طَسْمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهِمَا مِنْ الْيَمَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
أَتَحْيَى جَذِيَّةً فِي أَشْرَفِ مَنَازِلِهِ قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
فَطَالَ مَلِكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكُ سَابُورَ بْنِ أَشْثَكَ . وَكَانَ جَذِيَّةً
مَلِكَ مَعْدٍ وَبَعْضَ الْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عَمْرِهِ الشَّامَ فَهَلَكَ عَمْرُو بْنُ حِصَانٍ
ابْنُ أَدِيَّةَ وَالِدُ الزُّبَاةَ مَلِكَةَ الطَّوْأَفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزُّبَاةُ عَلَى طَلَبِ النَّارِ
حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيَّةَ ثَمُودَ سِتِينَ سَنَةً بِالْقُرَيْبِ (الحِزْمَةُ الْأَصْفَهَانِي)

ملك عمرو بن حدي

٤٥٥ قَوْرَثَ الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
رَقَاشَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ الْحَيَّةَ مَنَزَلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
بَعْدَهُ الْحَبِيرِيُّونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْإِرَاقِ وَمُلُوكِ الْإِرَاقِ إِلَيْهِ
يَنْسَبُونَ وَهُمْ عَمْرُو وَطَلَبُ النَّارِ مِنَ الزُّبَاةَ بِجَاهِ جَذِيَّةَ . فَلَمَّا أَحْسَسَتْ
الزُّبَاةَ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابِ قَسِدِ عَمْرُو إِلَى
قَصِيرٍ وَزَيْدٍ فَجَدَعَ أَنْفَهُ عَوَاطِئًا مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا بَلَغَ الزُّبَاةَ يَشْكُومًا
أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَأَنَّهُ أَتَمَّهُ بِدُخَانِ الزُّبَاةَ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيَّةَ فَقَالَ :
وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا قُتِلَ بِي أَنْكِيَ لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَمْلُوكًا . فَأَكْرَمَتْهُ وَفَرَّبَتْهُ
حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُفُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حَصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَخَمَمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَرَ رَاجِعًا، فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
 مِدَّةَ عَمْرِهِ مُتَرَدِّدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَنْزُو الْمَنَازِي وَيُصِيبُ النَّتَائِمَ
 وَيُنْجِي إِلَيْهِ الْأَمْوَالَ وَتَقْدُ طَلِبَ الْوُفُودِ ذَهْرَهُ الْأَطُولَ . لَا يَدِينُ
 لِلْمُلُوكِ الطُّوَارِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ قَارِسَ
 أَرْضِ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَهَرَمَ مِنْ كَانَ لَهُ بِهَا مَتَاوِنًا حَتَّى حَلَمَ عَلَى مَا
 أَرَادَ بِمَا بَوَّاهُ لَهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ . فَكَّرَ كَثِيرٌ مِنْ تَوَخُّعِ مُجَاوَرَةِ الْعِرَاقِ
 عَلَى الصَّخَرِ . فَخَرَجَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قِبَالِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
 مَعَ مَلِكٍ فَلَحِقُوا بِالنَّشَامِ وَأَنْفَضُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنَاثُ
 مِنَ الْعَرَبِ يُخَدِّثُونَ أَحَدَانَا فِي قُوَّهِمْ أَوْ ضَيْقِ مَيْسَتِهِمْ فَيَعْرِجُونَ
 إِلَى رَيْفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هَجْنَةً .
 فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلَثُ الْأَوَّلُ تَوَخُّعُ وَهُمْ مَنْ كَانَ
 يَسْكُنُ الْمَطَالَّ وَيُوتِ الشَّعْرَ وَالْوَيْرَ فِي غَرْبِ الْقُرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
 إِلَى الْأَنْبَارِ قَافِقُوهَا . وَالْأَثْلَثُ الثَّانِي الْأَبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقَصَةَ
 الْحِيرَةِ فَأَبْتَقُوا بِهَا . وَالْأَثْلَثُ الْأَخْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ
 مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بِاتِّخَاذِهِ مَنَزِلًا لِإِيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وَضَعَتْ
 الْكُوفَةُ وَزُلْغَمَ عَرَبُ الْأِسْلَامِ .

(للتويزي وحمزة الاصغفاني)

ملك لعمرى القيس البداءة والحق والنعمان الامور السامح

٤٠٦ ثم ملك من بعد عمرو بن عدي امرؤ القيس البداءة وهو الأول
 في كلامهم (٢٨٨-٣٣٨ ب م) وهو أول من تنصر من ملوك آل

نَصْرَ وَعَمَالَ الْفَرَسِ. ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعَلِيقِيُّ خَمْسَ سِنِينَ. ثُمَّ تَارَ بِهِ حُجَّاجٌ أَحَدُ بَنِي
قَازَانَ قَتَلَهُ. (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الْثَّانِي). (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَبَصَرَفَ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالْبَنْدَرِ وَالْحَرِيقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسُودُ
أَنَّهُ يَمُرُّ فِي قَوْلِهِ: مَاذَا أَوَّلُ بَعْدَ الْإِلْحَاقِ. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
الْثُّمَانُ الْأَعُورُ السَّاحِجُ وَهُوَ بَابِي الْحَوْرَتِ وَالسَّيْدِ (*) وَكَانَ
الْثُّمَانُ هَذَا فِي أَيَّامِ يَزِيدَ فَقَدَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بِهَرَامَ لِيُرِيَهُ وَأَمَرَ
بِحَبْأِ الْحَوْرَتِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ. وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ.
وَجَاءَهُ يَمِنْ يَلْفُهُ الْخِلَالُ مِنَ الْمُلُومِ وَالْأَدَابِ وَالْقُرُوسِ حَتَّى اكْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ عَمَارِضُهُ. وَكَانَ الثُّمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَالَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَأَبَدَهُمْ مَنَارًا قَدْ أَتَى الشَّامَ مَرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَابِ
فِي أَهْلِهَا وَسَمَى وَغَنِمَ. وَكَانَ مَلَكَ فَارِسَ يُنْفِذُ مَعَهُ كَذِبَتَيْنِ الشَّهْبَاءَ
وَأَهْلَهَا الْفَرَسَ وَدُوسَرَ وَأَهْلَهَا تَوْخَ. فَكَانَ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا مَنْ لَا يَلْبِسُ لَهُ مِنَ
الْعَرَبِ. وَكَانَ صَادِرًا حَارِمًا ضَاطِحًا لِلْمَلِكَةِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ الْأَمْوَالِ
وَالْحَوَالِ وَالرِّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحَيَرَةِ. وَالْحَيَرَةُ يَوْمَئِذٍ
سَائِلُ الْفَرَاتِ. وَلَمَّا أَتَى عَلَى الثُّمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَصَرَّ عَلَى بَعْضِ
وُزَرَاءِهِ ثُمَّ زَهَّدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسُوحُ وَفُتِحَ قَلَمٌ يُوجَدُ لَهُ الْفَرَسُ (*)

ملك المنذر الأول والنعمان الثاني والأسود وامرؤ القيس الثالث

٤٠٧ ولما تزهد النعمان تولى الأمر ابنه المنذر الأول (٤٧٠ ب م)
 وكان أهل فارس ولوا عليهم نخساً من ولد أزدشير وعدلوا عن بهرام
 لئلا يشبه بين العرب وخلوه من آداب العجم. واستجند بهرام بالعرب
 فجهز المنذر الساساني ليهزم طلب ملكه. وحاصر مدينة الملك فاذعن
 له فارس وأطاعوه. واستوهب المنذر ذنوبهم من بهرام ففاد عنه واجتمع
 أمره. ورجع المنذر إلى بلاده وشغل باللهو إلى موته (٤٦٢ ب م)
 وملك مكانه النعمان الثاني وكان وزيره عدي بن زيد النصراني
 فترهدا (٤٦٩). (*) وملك مكانه أخوه الأسود وهو الذي انتصر
 على عساكر عرب الشام وأسر عدة من ملوكهم ثم هلك (٤٩١). وملك
 أخوه منذر الثاني سبع سنين ثم ابن أخيه (٤٩٨) نعمان الثالث. ثم
 استخلف أبو يعفر بن طعنة التميمي (٥٠٣) وذميل بطن من لحم. ثم
 ملك امرؤ القيس الثالث (٥٠٩) هذا هو الذي غزا بكر يوم أودة
 في دارها فكانت بكر قبله تقيم أود ملوك الحيرة وتصددهم. وهو
 أيضاً باني العذيب والصنبر وفيهما يقول جبير بن بلوغ:
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى نَحْبُ يَا نَأَا فَهْ نَحْوُ الْعَذِيبِ وَالصَّنْبِرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قايس

٤٠٨ ولما هلك امرؤ القيس الثالث ملك المنذر الثالث ابنه وهو ذو

أَقْرَبَيْنِ لَصْفِيرَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأَمَّهُ إِهَ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَلْبَانِيُّ :
وَكَانَ هَذَا السَّابِلُ لَا بِي عَامِرِ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرِ أَيِ
عَطَاءٍ وَجُودًا قَلَبَ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُوهُ مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةً بَنَ كَثُومٌ
قَتَلَ لِحْسِينَ سَنَةَ مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٧ ب م) ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ الْحَارِثُ
ابْنُ عَمْرِو الْكِنْدِيِّ الْمَلَبُّ بِأَكْلِ الْإِرَارِ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا بِجَمِيعِ
فِي دَارِهِمَا قَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةَ يَوْمٍ أَوَّارَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ
الْمُنْدَرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشُرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا . هَبْنَا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْدَرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ ثَلَاثَ سِنِينَ
ثُمَّ التَّمَعَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الَّذِي بَاتِي الَّذِي بَنَى الثَّرِيدِينَ وَتَوَصَّرَ (لِلنُّوَيْرِ وَالْمَسْعُودِي)

خبر تضرع التبعان

٤٠٩ كَانَ الْمُنْدَرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمَلَبُّ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلِّ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْصَبَاهُ فِي بَعْضِ النُّطْقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُخْرِجَ كُلُّ وَاحِدٍ حَصِيرَةً
يُظْهَرُ الْجَبَرَةُ ثُمَّ يُجْعَلَانِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَانِي الْخَفَرَتَيْنِ . فَعَمِلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأَخْبَرَهُمَا بِمَا كَمَا . فَقَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَتَمَّ
وَفِي عَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلِّ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَهْرَ بْنَ ثُبُوتٍ أَلْ تَحْرِقِي جَادَتْ عَلَيْكَ دَوَاعِدُ وَرُوقُ

أَمَّا الْبُكَاءُ فَهَلْ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَنْ يَكُنَّ قَلْبُكَا حَلَسَ
ثُمَّ رَكِبَ الْمُنْدُوحَى نَظَرَ إِلَيْهَا فَأَمَرَ بِنَاءَ الْتَرَيْنِ عَلَيْهِمَا قُبَا
وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْتَرَيْنِ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلَ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
مِائَةً مِنَ الْأَبْلِ شَوْمًا أَيْ سُودًا . وَأَوَّلَ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
يُعْطِيهِ رَأْسَ ظُرْبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيَتَرَى يَدِيهِ الْغُرْبَانَ .
فَلَيْتَ بِذَلِكَ بَرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طِيٍّ يُقَالُ لَهُ
حَنْظَلَةٌ بَنُ أَبِي غَفْرَاءَ . كَانَ أَوَى الثُّعْمَانِ فِي خِيَابِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
الصَّيْدِ وَانْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطَرِ . فَحَرَّبَ بِهِ حَنْظَلَةً وَهُوَ لَا
يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
الثُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ
هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : آيَيْتَ الْغَنَمَ لَمْ يَكُنْ لِي ظِلٌّ بِمَا أَتَيْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
أَبَشِّرْ بِعَتَاكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلٍ مِنْ خَيْرِكَ
مَا أَرَا قَلًا تَكُنْ مِثْرَهُمْ قَتْلًا . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَأَسْأَلُ حَاجَةً
أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ : تَوَجَّعْنِي سَنَةً أَرْجِعْ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكُمُ مِنْ أَمْرِهِمْ
مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذَ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ
حَتَّى تَعُودَ فَظَنَّرَ فِي وَجْهِهِ جُلَسَاءَهُ فَمَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بَنُ عَمْرٍو فَأَشَدَّ :
يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرٍو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه
يَا أَخَا شَيْبَانَ فَكَ أَلَيْسَ مِنْهُمْ قَدْ أَنَا لَهُ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَجَاءَ مِنْ لَا حَيَاةَ
 إِنَّ شَيْبَانَ قَبِيلُ أَكْرَمَ اللَّهِ رِجَالَهُ
 وَأَبْوَكَ الْخَيْرُ عَمْرُو وَشَرَّاجِيلُ الْحَمَلَةِ
 رَقِيكَ الْيَوْمَ فِي التَّجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

قَوَّبَ شَرِيكَ وَقَالَ: أَبَيْتَ الْفَنَ يَدِي بِيَدِهِ وَدَدِي بَدَمِهِ
 وَأَمَرَ الطَّادِي بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لَشَرِيكَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءَ لِحَظَلَةٍ.
 فَقَالَ شَرِيكَ: فَإِنْ بَكَتْ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنْ غَدًا لِنَاطِرِهِ قَرِيبٌ.
 فَلَذَبَ قَوْلَهُ مَثَلًا. وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيْ نَدِيئِهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ
 يَوْمُهُ. فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُنْجِيَ الطَّادِي. فَلَمَّا
 كَادَتْ الشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسَّيَافِ
 إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَأْسِهِ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حَظَلَةُ الطَّادِي قَدْ تَكَنَّنَ وَمَحْنَطٌ وَجَاءَ بِنَادِيَّتِهِ. فَلَمَّا رَأَى
 النُّعْمَانُ قَالَ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَقْلَتَ مِنَ الْقَتْلِ. قَالَ: الْوَقْدُ.
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَقْدِ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَتَعْنِي مِنَ الْقُدْرِ. قَالَ:
 وَمَا دِينُكَ. قَالَ: النَّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَعَرَضَهَا فَتَصَرَّ
 النُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَمَّا عَنِ شَرِيكَ وَالطَّادِي.

وَقَالَ : مَا أَذْرِي أَبْنَاءَكُمْ أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَّاهُ مِنَ السَّفْهِ فَمَا
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي ضَيَعْتُمْ وَأَنَا لَا أَكُونُ الْإِلَهَ قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَصَرَّ
مَعَ التُّعْمَانِ أَهْلَ الْخَيْرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى التُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكَتَائِبَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَمْرُورَ (٤٠٤ ب م) وَأَنْقَطَعَ الْمَلِكُ
عَنْ حِلْمِهِ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الافاني)

٣ التسلية ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عَمَالَ الْقَيْصَرَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُتَأَذِّرَةُ آلُ تَصْرِفٍ فِي آخِرِ أَمْرِهُمْ عَمَالًا لِلْكَبِيرَةِ عَلَى عَرَبِ الْبَرَقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنْ أَيْمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمْ أَحْسَبْ
بِمَا رُبَّ أَنْتَاصِ الْعَرَمِ وَخَشِيَتْ السَّبِيلَ تَقَرَّقَتْ . فَتَشَامَ قَوْمٌ فَزَلُوا
عَلَى مَا يُقَالُ لَهُ عَسَانَ فَصَيَّرُوهُ شَرِيهَمَ فَمَسُوا عَسَانَ . ثُمَّ أَرْزَلَهُمْ ثَعْلَبَةُ
ابْنُ عَمْرِو النَّسَائِي بِإِدَارَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقَيْصَرَةِ . وَكَانُوا
يَدْشُونُ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا تَزَلَّتْ عَسَانَ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ لَهَا قَوْمٌ
مِنْ سُلَيْمٍ فَضَرَبُوا عَلَى النَّسَائِيَةِ الْإِثَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي يَلِي جِبَاتِهَا سَيْطَا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَاوَهُ . فَصَدَّ سَيْطَا ثَعْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتَجْعَلَنِي فِي الْإِثَاوَةِ
أَوْ لَا خُذْنِ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيًّا قَالَ : هَلْ لَكَ فِيمَنْ يَرْجِعُ عَلَيْكَ
بِالْإِثَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جَذَعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جَذَعٌ قَائِمًا .
فَأَتَاهُ سَيْطَا وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُنْهَبٌ وَقَالَ فِيهِ عَوْضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِثَاوَةَ . قَالَ :

نَمَّ . قَالَ : فَخَذَهُ . فَتَاوَلَ سَيْطُ حَنْ السَّيْفِ وَأَسْتَلَّ جِدْعُ نَصْلِهِ
وَضَرَبَهُ بِهِ . قَبِيلَ : خَذَ مِنْ جِدْعٍ مَا أَعْطَاكَ فَذَهَبَتْ مَثَلًا . وَقَوَّصَتْ
الْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيمٍ وَعَسَّانَ فَأَخْرَجَتْ عَسَّانَ سَلِيمًا مِنَ الشَّامِ وَصَارُوا
مُلُوكًا . وَاسْتَمَرَ مُلْكُ النَّسَائِنَةِ ٤٠٠ سَنَةً يَنْفِي (*) (الحزبة الأصغرية)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا إليها أخبار كندة) م نو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم بنو مليك فاكل القوي الضيف حتى ملكك
حجر وكان تبع حين أقبل سائر إلى العراق استمسله عليهم فسدد أمورهم وباسهم احسن
سياسة واقترع من اللخمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعا لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى
طرده أنوشروان وتبعه تلب وبعث قبائل قظفروا واماو وبارميين نفسا من بني حجر . فقتلهم
المنذر من آخرهم وكان منهم ابنان من ولد الحارث . وفي ذلك يقول امرؤ القيس :

نُو أَسَدٌ قَتَلُوا رَجُلًا أَلَا كُلُّ نَبِيٍّ سِوَاهُ خَلَّلَ

ثم استغفده امرؤ القيس بكر وتطلب على بني أسد فأجده وهرت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر
بهم . ثم تخاذلت عنه بكر وتطلب وتطلب المنذر من ماء الساء . فتفرقت جموع امرؤ القيس
خروفا من المنذر وخالف امرؤ القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب ويقتل من
أنسب إلى أناس حتى قصد السموءل بن طاديه اليهودي فأكرمه وأقره . وأقام امرؤ القيس
عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امرؤ القيس إلى قصر ملك الروم مستقيما به وأودع أدماره
عند السموءل بن طاديه المذكور . وير على حماة وشيخه وقال في سيره قصيدته المشهورة

بَكَى سَاحِيًّا لِمَا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَالْحَقُّ إِنَّمَا لِأَحْقَابٍ بَقِيصُهَا
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكُ حَيْثُكَ إِنَّمَا تَحَاوِلُ مَلِكًا أَوْ غَوَتْ فَعُدَّادُ

فأت امرؤ القيس بعد عودته من عند قيصر عند جبل وقال له عيب . ولما لم يجوت هناك قال :
أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخَطُوبَ تَمُوتُ . وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَيْبُ

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر السائي إلى السموءل وطالبه بأدراع
امرؤ القيس وما له عنده وكانت الأدرع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما
امتنع السموءل من تسليم ذلك إلى الحارث قال الحارث : إِنَّمَا أَنْ تَسْلِمَ الْأَدْرَاعَ وَلِمَا قَتَلْتُ
ابْنَكَ . فقال السموءل : لست أخفر ذنبي فاصع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر إليه

ذِكْرُ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرَةِ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَهُمْ الْقَسَمُ الثَّلَاثُ

٤١١ وَهُمْ يَبْعُدَانِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَتَزَلُّوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سِدَانَةَ
 الْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَالْكَتَافُ كَانَتْ دِيَارَ الْعَمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
 هُنَالِكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَيْمِينَ مَعَ
 إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضَرٍ مَوْتٍ . وَأَصَابَ أَيْمِينَ قَحْطٌ فَهَرُّوا بِأَحْوَى تَهَامَةٍ يَطْلُبُونَ
 الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَحْتَلَوْا
 أَسْفَلَ مَكَّةَ وَاقْتَلَوْا مَعَ الْعَمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَسَا إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
 جُرْهُمُ وَتَكَلَّمَ بِلِسَتِهِمْ وَزَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَوَفَّى لِمَائَتِهِ
 وَتَلَايِينَ سَنَةٍ مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمُ يَعْظُمُ مَكَّةَ وَيَسْتَعْلِي حَتَّى
 وَلَّوْا أَلَيْتَ الْحَرَامِ . وَكَانُوا وَلَايَةً وَحِجَابَةً وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ مَكَّةَ . وَلَمَّا
 طَلَّتْ وَلَايَةُ جُرْهُمُ اسْتَخْلَوْا مِنْ الْحَرَمِ أُمُورًا عَظِيمًا وَاسْتَخْلَفُوا بِحُرْمَةٍ
 أَلَيْتَ الْعَتِيقِ فَطَعَّ اللَّهُ دَارَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
 ابْنُ طَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ لَا يَطْوُونَ بِلَادًا إِلَّا أَغْلَبُوا عَالِيَهَا . فَلَمَّا
 قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْتَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
 مَا نَحِبُّ أَنْ تَزَلُّوا أَقْضَيْتُمْ عَلَيْنَا مَرَاتِنَا وَمَوَارِدَنَا فَأَرْحَلُوا عَنْهَا حَيْثُ

وانصرف الملك طي بأس . فضرب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموذلي :

وَيْفَتْ بِأَدْرَجِ الْكَتْدِي إِيَّيْ
 إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ
 بَنِي لِي مَادِيَا حَصِيًّا
 وَمَاءٌ كَلَّمَا شَفْتُ اسْتَقْبِتُ
 رَفِيمًا تَزَلُّوا الْعُقَابُ حَتَّى
 إِذَا مَا تَلَفَنِي ضَمُّ أَيْدِي
 وَأَوْصَى مَادِيَا قَدَمًا بِالْأَلَا
 خَدَمْتُ يَا سَمُودَ مَا بَنَيْتُ

(لَايَ الْفَدَا)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجَوَارِكُمْ . فَأَقْتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلْتَهْزَمْ جُرْهُمُ فَلَمْ
 يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ صَدِيدُهُ . (٢٠٧) ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْبَنِي
 وَالتَّحْزَمَتِ خُرَاعَةُ بَيْكَةَ . قُولُوا أَمْرُ مَكَّةَ وَحِجَابَةُ الْكُتَيْبَةِ . وَسَالَ بَنُو
 إِسْمَاعِيلَ الْبُسْكَتَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَيْبَعَةٌ
 ابْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بَيْكَةَ مِنَ الشَّرَفِ
 مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
 وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَاقَ
 الْأَيْلِ وَلَحْنَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
 بِثَلَاثَةِ أَوَابٍ مِنْ رُودِ الْبَنِي وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ . وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
 وَحَى الْحَسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ . وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكُتَيْبَةِ . فَكَانَتْ
 قُرَيْشُ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحُسَيْفَةَ
 دِينَارَهُمْ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ آلِيتٍ حَتَّى
 قَامَ فَصِي الْقُرَيْشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرْفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَهْوَى
 بِالْكُتَيْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْكُتَيْبَةِ لِأَبِي غَنْشَانَ الْخُرَاعِيِّ
 قَبْلَهَا مِنْ فَصِي بَرْقٍ خَرَجَ فِيهِ أَخْصَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَنْشَانَ .
 ثُمَّ دَعَا فَصِي إِلَى رِجَالِ قُرَيْشٍ وَاجْتَمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَرُوا
 وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحْكَمُوهُ الْكُتَيْبَةُ (٥٠٧ م) . فَصَارَ
 لِفُصَيٍّ لُؤَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ آلِيتٍ وَبَيِّنَتْ قُرَيْشُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
 مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلِ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَأَتَّخَذُوا دَارَ الْتَدْوَةِ إِزَاءَ

الْكَمِيَّةُ فَكَانَتْ مُجْتَمَعِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مَشَاوَرَتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
 ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْمَلَأِ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَجًا يُودُّونَهُ ثُمَّ
 هَلَكَ فَصِي وَظَمَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
 جَاءَ الْإِسْلَامُ (مُلَخَّصٌ عَنْ كِتَابِ أَخْبَارِ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ)

(ملخص عن كتاب أخبار مكة للأزرقى)

١ اديان العرب

٥١٢ كانت العرب في أول أمرها على دين إبراهيم وإسماعيل حتى قدم عمرو بن لحي بضم
 يقال له هَبل . وكان من أعظم أصنام قُرَيْشٍ عندها فكان الرجل إذا قدم من سفر بدأ يذبح
 على أهل بيته كوافيه بالبيت ويطبق رأسه عنده . وكان هَبل من خزَر المقيط على صورة إنسان
 وكانت يده اليسرى مكسورة فأدركته قُرَيْشٌ فبعلت له يداً من ذهب . وصككت له خزنة
 للقرآن . وكانت له سعة قدام ضريرين جاءا إذا سئمتهم الحاجة ويقولون : إنا اختلفنا فهب
 السراخا . إن لم تنقله هُر القيدا . ولا تدخل محمد الكعبة يوم فتح مكة كان جاءا تلاقئة ويشون
 منسكاً فبعل يطوف على راحتيه ويطمئنها ويقول : جاء الحق وزمن الباطل . فبعلت ثم فرقت
 بالنار . وكان بالكعبة على يمينها حجر أسود . وما زال هذا الحجر معطماً في الجاهلية والإسلام .
 تبرك الناس به وقُرِ دونه وتقبله . وكان أسفل مكة قد نصب صنم يُعرف بالكعبة فكانوا
 يلعبون بها التلائد ويصدون إليها الشخير والحيلة . ويصنون عليها اللبس ويذبحون لها
 عليها بضع النعام . وكان لهم أصنام نصبوها على اسم السيارات من الكواكب . وهي المتنري
 وقيل إن أصل اسمه ذو شرار أي ساطع النور . والزهري وزحل والمريخ وغيرها من التورات .
 ومن محبوباتهم أيضاً اللئنة واللات وعزى . وصككت اللئنة على ساحل البحر ما يلي قنيد .
 وكانت صنعة تراق عليها دما . الفلحج ولتسمون منها المطر في الحذب . وكانت اللات أيضاً
 صنعة منسك الشمس إذا مر عليها الحاج يتوخا بالسوق . وقيل أصلها من لاء أي علا وطم
 ومنه اسم الحلالة . وأما البرى فكانت بحيرة بظلمة قُرَيْشٍ ويسمونها . ويطوفون بها يصد
 طوافهم بالكعبة ويسمكون عندها يومياً . قال الكلبي : وصككت اللات والزهري وساة في كل
 واحدة منهم شيطان يكلمهم . وتراهي للسدة وهم الحنيفة وذلك من صنيع إبليس وأمره . وكان
 بنو حنيفة في الجاهلية يحذروا الحما عبده دهرًا طويلاً ثم أصابهم مجاعة فاكلوه . فقيل في ذلك :

أكلت حنيفة رَجًا زيس التَّحْمَمِ والمجاعة
 لم يجدوها من رَجَمِ سوء العقوبة والتَّجَاهِ

عن اديانهم الجوسية او الصابئية ونصبوا مجسم تلك الآراء الصابئية اصنام الذهب للشمس
 واصنام الفضة للشمس . وقسوا المادن والاقاليم للكوكب . وزعموا ان قوى الكوكب
 تقضي على تلك الاصنام . فتكلم تلك الاصنام وتوحي للناس اعني الاصنام . وتعلم
 الناس منافعهم وكذلك قالوا في الانبياء التي هي من فسمه تلك الكواكب . اذا افردت تلك
 الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاصبت روحانية ذلك الكوكب على تلك
 الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن اديانهم اليهودية في حيدر وكنانة وبني الحارث
 ابن كعب وكعدة . واما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال العبرون اباذي : ان قبائل شق من
 بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وم البعاد . وان كثيراً من ملوك اليمن والحيرة
 تنصروا . واما ملوك غسان فكانوا كلهم صابري وكانت النصرانية في ريمة وقضاة وجسر
 وتبوخ وتبعل وبضطي . وكانت قريش نصبت في جملة اصنامها في الكعبة خثال من مريم مرقا
 وابنها عيسى في حجرها قاطعا مرققا . وذلك في السمود الذي يلي باب الكعبة ولم تخلص
 صورهما لما دخل محمد الكعبة بل بليت الى عهد ابن زئير فهلكا في الحريق (الثوري والازدي)

علوم العرب وادابهم

٦١٣ قاضا علم العرب الذي كانوا يتساحرون به فلم لاسم واحكام لغتهم ونظم الاشعار
 وتاليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والقصاصة في الملقق والذلاقة
 في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومسايرها وعلم بانواء الكواكب
 وامطارها . على حسب ما أدركوه ففرد العناية وطول التجربة لاخياجهم الى معرفة ذلك في
 اسباب الحيشة لا على طريق تعلم الحقائق . واما علم الفلسفة فلم يحسم افة شيكامة ولا حياً
 طائفتهم العناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب وسوى حكمتها والمثلوم من كلامها
 والمقيد لأفهامها والشاهد على حكمائها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا يحشون الا بخلام
 يولد او شاعر يفهم اوقر سنج . قل الصفيدي : بل ما كان للرب ما تنقز به الا السيف
 والضيف والبرساعة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون
 ويتناخرون ويتعاطفون . ولقد بلغ من كآف العرب بالتمتع ونفضها له ان عمدت الى سبع
 قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القبايطي المدوحة . فقبل لها مذهبات وقد يقال
 لها مقلات لانها خلقت في اسرار الكعبة . واما الكتابة فحكموا ان ثلاثة نعر من طيء كانوا على دين
 عيسى قوضوا الخط وقلوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فعمله قوم من الأبرار وجاء
 الإسلام ولين أحد يكتب بالعربية غير ضمة عشر اسماً . ولقطة القراطيس عندهم جمدوا الى
 كتيف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والاميون . والاني من كان
 لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى واللدنية والانيون بكة (لاي النرج والجهوري)

فهرس الجزء الثالث من كتاب عجاني الادب

وجه	وجه
٦٣ ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره	٣ الباب الاول في التدين
٦٤ اشعار جارية بحرى المثل	٣ في كالاتو تعالى
٦٥	٤ الدعاء لله
٦٥ الباب السادس في امثال عن السنة	٥ مقتب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨ الحيوانات	٩ بحجة الله والثقة به
٦٨ البازي والديك برغوث وبعوضة	١٢ الاستغفار الى الله
٦٩ الذبابة والغزال والقرد	١٥ العالم العقلي
٧٢ ساعة	١٦ الباب الثاني في الزهد
٧٦ فرد وغليم	١٦ في الحرف زهد النعمان بن امرئ القيس
٧٩ الضبعة والرجل اسد وذئب وغراب	١٧ عدي بن زيد والتمان
٨٣ الجدي السالم والذئب النادم	١٨ ذلة الدنيا وزوالها
٨٥ قارة ومر	١٩ الراهب الجرجاني ولسنج عمر الصنفي
٩١ المدهد القير المقدوي	٢٩ حفظ الخواص
٩٢ مالك الحرين والسكة	٣٠ الدهر وحوادثه
٩٤ الديك والطيب	٣٢ ذكر الموت
٩٧ الحسل والحم	٣٥ التوبة الى الله
٩٩ البستاني والارسة العابتون بحته	٣٨ الباب الثالث في المرافى
١٠٣ الباب السابع في الضائل والردائل	٤٦ الباب الرابع في المنكم
١٠٣ الصبر	٥٠ نوادر بزرجمهر حكم الفرس
١٠٥ الفتاة	٥٢ حكم ثقاتي الهندى
١٠٧ العدل	٥٤ اشعار حكيمية
١٠٩ الكرم	٦٢ الباب الخامس في الامثال
١١٠ الوفاء الراي والمشورة	٦٢ فصل من نوادر كلام العرب
١١٣ الحمد	٦٣ بيد من كلام المصنفي والبقي
١١٤ حفظ اللسان وكتمان السر	
١١٧ النية	
١١٩ الصديق والكذب	

وجه	وجه
١٨٢	الباب الثاني عشر في الانغاز
١٨٧	الباب الثالث عشر في الوصف
١٩٤	الباب الرابع عشر في الحكايات
١٩٤	ابن الزبير ومعاوية
١٩٥	المصور ومحمد بن جعفر
١٩٦	عن بن الخطاب والعبور
٢٠٠	معاوية والرواق
٢٠٣	كريمان حلاط الامارة بكرهما
٢٠٨	يريد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك
٢٠٩	احسان كرم الى من قتل اباه
٢١١	جود من بن زائدة
٢١٢	ابرهيم الموصل والمهدي
٢١٤	المرأة المتخلة وابن المأمون
٢١٥	المرأة الكريمة
٢١٨	الاعرابي ومالك بن علق
٢١٩	الخارجي والمعتصم
٢٢٠	قصة رجل اجار رجلا استغاث به
٢٢٥	الباب الخامس عشر في الحكايات
٢٢٥	سيد العرب ابن المغازلي عند المعتضد
٢٢٨	ارهم الموصل طبريم المهدي عند الرشيد
٢٣٠	ثقل وتزريق
٢٣١	ستان بن ثابت والطبيب القروي
٢٣٢	حذاء ابي القاسم الطيوري
٢٣٥	الباب السادس عشر في النوادر
٢٣٥	ابن مقلة والواشي
١٢٠	الزجاج
١٢١	الصدقة وغلوس المودة
١٢٧	الطل في الوعد التواضع والكبر
١٢٩	الباب الثامن في الذكاء والادب
١٢٩	في البقل وما يشبهه وتزريق
١٣٣	في العلم وشرفه
١٣٨	وصف الكتاب
١٤١	في البيان والبلاغة والفصاحة
١٤٢	في الشعر
١٤٤	في الأدب
١٤٧	الآداب الفاضلة
١٥٠	الباب التاسع في العاطف
١٥٠	الحذاء والامير
١٥١	الحجاج والعشة
١٥٢	ابو العلاء وكتاب الفصوص
١٥٣	فقي فصيح علي بن الحنم والمتوكل
١٥٤	درواس بن حبيب وعشام
١٥٥	الشاعر القروي
١٥٦	المصور وابن هيرة
١٦٠	ابو عباد القهري عند المتوكل
١٦٢	الركاض والرشيد
١٦٤	الأنبي والأعور
١٦٦	اولاد تزار عند الافعي
١٦٧	الباب العاشر في المدح
١٧١	الباب الحادي عشر في الفخر والعجب
١٨١	ابن كندة عند كسرى

وجه	وجه
٢٨٧	هجرة الهرت في حصار مدينة ويد
٢٨٨	مشهد الخليلين
٢٩٠	مروعة الحياجل المزجي
٢٩١	جمود جاتم الطائي
٢٩٢	إنتار ابن مامة الايادي
٢٩٣	صنم صومانة
٢٩٤	الباب السابع عشر في الاسفار
٢٩٥	مدح السفر
٢٩٦	ذم السفر
٢٩٧	سفرة ابن خنير الى جزيرة صقلية
٢٩٨	الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات
٢٩٩	في شرح عجب الموجودات
٣٠٠	في جرم الشمس ووضعها
٣٠١	في كسوف الشمس وبعض خواصها
٣٠٢	فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته
٣٠٣	في الهجرة والكرآكب الثروات
٣٠٤	فصل في ارباع السنة
٣٠٥	فصل في تولد الاعمار
٣٠٦	جسم الارض ودورانها وحياتها
٣٠٧	في السحاب والمطر وما يتعلق بها
٣٠٨	في الريد والبرق وما يتعلق بذلك
٣٠٩	الباب التاسع عشر في المراسلات
٣١٠	في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١١	في الاتواق وحسن التواصل
٣١٢	فصول في التهئة
٣١٣	في التوصية
٣١٤	فصول في اللام
٣١٥	فصل في المدح والشكر
٣١٦	فصول في التنازي
٣١٧	فصول في وصاة
٣١٨	الباب العشرون في تاريخ العرب
٣١٩	تطرق في امة العرب وطباعهم وسكنام
٣٢٠	ذكر نسب العرب وتقليداتهم
٣٢١	اخبار حرب العاربة او البائدة
٣٢٢	العرب النضرية بنو قحطان
٣٢٣	ملك يعرب ويثجب وسباي قحطان
٣٢٤	سدمأوب وتقرع بني سبا
٣٢٥	ملك التباة في حمير في اليمن
٣٢٦	ملك شداد وتبع وافريقس وذو الازهار
٣٢٧	ملك بلقيس وتاجر التعم وشمر مزعت
٣٢٨	ذو نواس وبنو هذيل الصرائية في نجران
٣٢٩	استيلاء الحبشة على ملك اليمن
٣٣٠	اخبار سيف من ذي يزن
٣٣١	ملك المماذرة بني كهلان في العراق
٣٣٢	ملك بن فهم وجذبة الابرش وابن حدي
٣٣٣	امرؤ القيس البدو والحرق والتيمان
٣٣٤	لنذر والتيمان والاسود وامرؤ القيس
٣٣٥	ملك المنذر الثالث والتيمان قابوس
٣٣٦	خير تنصر التيمان
٣٣٧	القباسة ملوك الشام بنو كهلان
٣٣٨	ملوك كندة
٣٣٩	ذكر العرب المستعربة بنو اسحاق
٣٤٠	طبق بتاريخ العرب
٣٤١	اخبار العرب
٣٤٢	عظم العرب وآدابهم

